13337

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران

كلية العلوم الإنسانيّة والحضارة الإسلامية

قسم الحضارة الاسلامية

عنوان البحث

لا يستعار

الإمام البخاري مفسرا

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والدراسات القرآنية

من إعداد:

الطالب:

فلاح خير الدين

تحت إشراف:

الدكتور:

زعراط محمد

السنة الجامعية

(1425هـ - 1426هـ) / (2004م - 2005م)

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً، وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ، إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً.

إهداء

إلى اللذين غرسا فيّ رقائق الأخلاق، وبعثا بي نحو العلم والآفاق.

إلى اللذين ربياني على نور الرشاد و الهداية منذ فجر الصبا و البداية.

إلى والدتي العزيزة قدس الله روحها بقدرته، ونور ضريحها برحمته، وجعل أجر المذكرة في ميزان حسناتها بقبوله.

إلى والدي العزيز بارك الله في عمره، ورعاه في الحياة بحفظه، وأكرمه في الآخرة بمنه وفضله.

إلى أهلي ورحمي الأعزاء صغارا وكبارا ذكورا وإناثا.

إلى زوجتي العزيزة.

إلى شيوخي وأساتذتي من الصغر إلى الكبر.

إلى الأحبة الأخلاّء رفقاء الطريق وأعوان الخير.

إلى هؤلاء جميعا أهدي مذكرتي.

شكر وتقدير

أتوجه إلى الحق سبحانه وتعالى بالشكر العظيم، "فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه"، ثمّ أثنّي بالشكر الجزيل لوالدي اللذان ربياني على الخلق والعلم صغيرا، وأسأل الله أن يجعل نفع البحث للمسلمين، وأجره إن شاء الله في ميزان حسنات الوالدة رحمها الله، وأن يضع وزر الخطأ عن صاحبه، وأتوجّه كذلك بالشكر والتقدير للأستاذ المشرف **الدكتور: زعراط محمد** الذي فتح لي أبواب صدره، وصرف لي من نفيس وقته، وغمرني بحسن توجيهه رغم كثرة أشغاله، فقد سبق إلي معروفه قبل طلبي إليه، فهو شجر لا يخلف ثمره، وبحر لا يخاف كدره، كما أشكر كل مسلم قدّم لي نصيحة مرشدة، أو مشورة خير هادفة، أو صحيفة حكمة نافعة، أو دعوة توفيق خالصة، ولا خير فيمن لا يشكر أهل المعروف، قال صلى الله عليه وآله وسلم: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"[1]، وقال كذلك: "من أسدى إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه"[2].

---

[1] حديث صحيح رواه أبو داود، السنن، حديث رقم: 4177، ج2، ص: 555 – الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة، رقم الحديث: 1877، ج3، ص: 228 – أحمد بن حنبل، المسند، كتاب باقي مسند المكثرين، رقم الحديث: 7598. انظر: الألباني، السلسلة الصحيحة، بيروت، المكتب الاسلامي، ط4/1405هـ، 1985م، ج1، ص: 702، رقم: 416.

[2] أبو داود، السنن، ج1، ص: 389.

المقدمة[1]:

لقد منّ الله على الأمة الإسلامية بنعمتين عظيمتين؛ نعمة القران الكريم -الوحي المعصوم-، ونعمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم -البشير النذير-. قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُومِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنَ انفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمُ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [2].

وإنّ أعظم ما بذلت فيه الجهود، وأنفقت فيه الأوقات، وأفنيت فيه الأعمار، فهم القرآن الكريم؛ ذلك لأنه مصدر الهداية وأصل السعادة. وأعظم علوم القرآن منزلة علم التفسير، إذ به يحقق المسلم مقصدين عظيمين:

- الفهم السليم لنصوص القرآن الكريم.
- الإقتداء الصحيح عند العمل بأحكام الشريعة الإسلامية.

ولو لم يكن لطالب التفسير إلا مجرد العلم لكفاه فخرا وعزا، روى الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري[3] رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "لا يقعد قوم

---

[1] اعتمدت في ترتيب عناصر المقدمة على:
- د.محمد زيان عمر، البحث العلمي مناهجه وتقنياته، بيروت، دار الشروق، ط4/83.
- Madeleine GRAWITZ, Méthodes des sciences sociales, 10e édition, dalloz, paris, 1996.
- د. أحمد بن مرسلي، أساليب تحليل المضمون في المعالجة التوثيقية، المجلة الجزائرية للاتصال، عدد17، السداسي الأول 1998 (مجلة يصدرها معهد العلوم والاتصال بالجزائر العاصمة)، ص: 108 .
- محمد عبد المجيد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983.
- أحمد بدر، مناهج البحث والرأي العام والإعلام الدولي، القاهرة، دار قبا "عبده غريب"، 1998.

[2] سورة آل عمران، الآية: 164.

[3] أبو سعيد الخدري اسمه سعد بن مالك الأنصاري، من أعيان الصحابة وفقهائهم، روى عنه خلق كثير، شهد الخندق وبيعة الرضوان ومات سنة 74هـ. محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1349هـ، ج1، ص: 46 - أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، طبقات الفقهاء، تحقيق: علي الميس، بيروت، دار القلم، ج1، ص: 33 - أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، المعين في طبقات المحدثين، تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد، عمان، الأردن، دار الفرقان، ط1، 1404هـ، ج1، ص: 21.

يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده"[1].

ولقد تفرد الصحابة رضوان الله عنهم بسهم السبق في إدراك أغوار الفهم، والإحاطة بمقاصد الشرع، واستنباط أسرار التنزيل، وإن تفاوتت درجاتهم، وتباينت مراتبهم. قال مسروق[2] رضي الله عنه: "جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فوجدتهم كالإخاذ، فالإخاذ يروي الرجل، والإخاذ يروي الرجلين، والإخاذ يروي العشرة، والإخاذ يروي المائة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم"[3].

ولما كان الصحابة بنص الحديث أمة مصطفاة[4]، صحّ أن تكون سيرتهم منهجا للحياة، وأقوالهم دليلا عند الاجتهاد. روى ابن عبد البر عن قتادة[5] في قوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا

---

[1] رواه الإمام مسلم، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر، صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، لبنان، طبعة/1401هـ-1981م، ج9، ص: 22، و رواه كذلك في كتاب البر والصلة والآداب، رقم 4645 ،وفي كتاب الذكر والدعاء والتوبة، رقم: 4867- رواه أبو داود، كتاب الصلاة رقم: 1243 - وابن ماجة القزويني في الحدود، رقم: 2534. انظر الألباني، صحيح ابن ماجة، بيروت، المكتب الاسلامي، ط1408/3هـ-1988م، ج2، ص317 - الدارمي في المقدمة، رقم: 348 - أحمد في المسند، رقم: 8906 - رواه الترمذي، كتاب الحدود رقم: 1345، وكتاب البر والصلة، رقم:1853.

[2] أبو عائشة مسروق بن الأجدع الهمداني، الفقيه العالم، العابد الزاهد، تابعي ثقة، شهد القادسية واعتزل الفتنة بين علي ومعاوية، مات سنة 62هـ ودفن بواسط . محمد بن طاهر القيسراني، تذكرة الحفاظ، تحقيق: حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي،الرياض السعودية، دار الصميعي،ط1، 1415هـ، ج1، ص: 49 - أبو الحسن أحمد بن عبد الله العجلي، معرفة الثقات، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي،المدينة المنورة، مكتبة الدار، السعودية،ط1، 1415هـ-1985م، ج2، ص: 273.

[3] أبو عبد الله محمد بن سعد البصري الزهري، الطبقات الكبرى،بيروت لبنان، دار صادر،ج2، ص: 343 - أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، صفة الصفوة، تحقيق: محمود خافوري، محمد رواس قلعة جي،بيروت دار المعرفة ، ط2، 1399هـ-1979م، ج1، ص: 403.

[4] روى البغوي بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "إن الله اطلع على قلوب العباد فاختار محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فبعثه برسالته وانتخبه بعلمه، ثم نظر في قلوب الناس بعد فاختار له أصحابا فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، فما رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن، وما رآه المؤمنون قبيحا فهو عند الله قبيح". شرح السنة للإمام البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وزهير شاويش،بيروت المكتب الاسلامي ط1403/2هـ-1983م، المكتب، ، ج1، ص: 214.

[5] أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي البصري ، تابعي جليل، حافظ ثقة، مفسر عالم، مات سنة 117هـ.
أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، الكنى والأسماء، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري،المدينةالمنورة مطابع الجامعة الإسلامية، ، ط1، 1404هـ، ج1، ص: 286 - أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، المقتنى في سرد الكنى، تحقيق: محمد صالح عبد العزيز مراد، المدينة المنورة، مطابع الجامعة الإسلامية، ، ط 1408هـ، ج1، ص: 216 - أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1405هـ، ج2، ص: 335 - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، التاريخ الصغير، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، حلب سوريا، دار الوعي، ، ط1، 1397هـ-1977م.

العِلْمَ الذِّي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ﴾ [1] قال: أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم[2].

ولما كان المقصد من نزول القرآن العمل بأحكامه، وجب العلم بتفسيره، وبيان أحكامه. قال ابن كثير: "فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله، وتفسير ذلك وطلبه من مظانّه، وتعلُّم ذلك وتعليمه لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الذِّينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِيسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [3]"[4]، روى الطبري بسنده عن أبي مليكة قال: "رأيت مجاهد يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه، فقال ابن عباس: أكتب. حتى سأل عن التفسير كله"[5].

ولقد حرص أهل القرون الخيرية على فهم القرآن ومعرفة أحكامه، إذ بذلوا الجهد كله في ذلك. قال مجاهد[6]: "عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها"[7]. وعلى هذا فكل فهم للقرآن لا يقوم على أساس التفسير فهو اجتهاد أعرج، يفقد روح البقاء، ويحمل بذور الفناء. قال إياس ابن معاوية[8]: "مثل من يقرأ القرآن

---

[1] سورة سبأ، الآية: 06.

[2] ابن عبد البرّ، جامع بيان العلم وفضله، لبنان، دار الكتب العلمية، ،ج2، ص:29.

[3] سورة آل عمران، الآية: 187.

[4] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مقبل بن الهادي الوادعي، ط/ 1414 هـ-1993م، ج1 ص: 06

[5] ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: صديق جميل العطار، بيروت لبنان، دار الفكر، ط/1415هـ-1995م، ج1، ص: 90.

[6] أبو الحجاج مجاهد بن جبر ، تابعي جليل، عالم مفسر، عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضة، أما تفسيرا فثلاث، ولد سنة 21هـ، ومات سنة 104هـ. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج2، ص: 208 – محمد بن طاهر القيسراني، تذكرة الحفاظ، ج1، ص: 92 – أبو الفضل عبد الرحمن السيوطي، طبقات الحفاظ، بيروت لبنان، دار الكتب العليمية، ، ط1، 1403هـ، ج1، ص: 42 – محمد ابن حبان التميمي أبو حاتم، مشاهير علماء الأمصار، بيروت، لبنان دار الكتب العلمية، ، ط 1959م، ج1، ص: 82 – أبو الحسن علي بن عمر الدار قطني، ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم، تحقيق: بوران الضناوي و كمال يوسف الخوت، بيروت، لبنان دار الكتب الثقافية، ، ط1، 1985م، ج2، ص: 246.

[7] ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، الجزائر، دار الفجر، ط1، 1422هـ-2001م، ص: 112.

[8] أبو واثلة إياس بن معاوية بن قرة ، التابعي الثقة، العالم القاضي، سمع من أنس بن مالك، روى عنه شعبة وحماد بن سلمة وخلف. أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، المقتنى في سرد الكنى، ج2، ص: 133 – أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، الأسماء والكنى، ج1، ص: 871 – أبو عبد الله محمد بن احمد الذهبي، المغني في الضعفاء، تحقيق: نور الدين عتر، ج1، ص: 95.

ومن يعلم بتفسيره أو لا يعلم، مثل قوم جاءهم كتاب من صاحب لهم ليلا وليس عندهم مصباح، فتداخلهم لمجيء الكتاب روعة لا يدرون ما فيه، فإذا جاءهم المصباح عرفوا ما فيه"[1].

ولقد حاولت أن أختار بحثا يخدم النص القرآني بالدراسة، فيجمع بين مصدري التشريع الإسلامي –القرآن والسنة–، ولقد وسمته بالعنوان التالي: "الإمام البخاري مفسرا"، وبذلت جهدي الزهيد لإبراز خصائص منهج التفسير عند البخاري وجهوده العلمية التي أسهمت في بناء المنظومة المعرفية للأمة الإسلامية.

تحديد موضوع البحث:

وبعد أن منّ الله تعالى علي بنعمة الالتحاق بقسم الدراسات العليا، تسامت همتي إلى البحث واشرأبّت إلى العلم، ولمّا كان التخصص حول الدراسات القرآنية حرصت أن يكون موضوع البحث تحقيقا لمخطوط، فوقع اختياري على مصنف –التفسير الكبير– للإمام البخاري، لكن وبعد التحقيق التاريخي تبيّن لي أن المصنَّف قد دُرس وأن التراث قد ضاع. قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: "وقد ألّف –البخاري– تأليفا مستقلا سماه التفسير الكبير لم يصل إلينا ولا إلى القرون التي مرت قبلنا ..."[2].

ولما تأكد لدي ضياع التفسير الكبير رجعت إلى مصنفات البخاري فألفيتها على النحو التالي:

① – مؤلفات في علوم السنة النبوية وهي أنواع:

أ– مؤلفات في رواية الحديث: كالجامع الكبير، والأدب المفرد.

ب– مؤلفات في تراجم الرواة: كالتاريخ الكبير، والضعفاء والمتروكون.

② – مؤلفات في العقيدة الإسلامية: ككتاب خلق أفعال العباد، وكتاب التوحيد.[3]

---

[1] ابن الجوزي، زاد المسير، بيروت لبنان، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة/1404هـ–1984م، ج1، ص:04.

[2] الطاهر بن عاشور، التفسير ورجاله، تونس، دار الكتب الشرقية، ط2، 1972م، ص: 63.

[3] فؤاد سركين، تاريخ التراث العربي، ترجمة: فهمي أبو الفضل، مراجعة: محمود فهمي حجازي، القاهرة، الهيئة العامة للتأليف والنشر، ط1، 1971م. ج1، ص: 349

③- مؤلفات فقهية على طريقة المحدثين: ككتاب الأشربة، وكتاب الكلام في القراءة خلف الإمام.

ولما نظرت إلى الجامع الصحيح وجدته موسوعة علمية في الشريعة الإسلامية، فقد جمع بين الحديث والفقه، وبين العقيدة والتفسير، وبين السير والفضائل، بل إنه زبدة جهود البخاري المعرفية كلها. قال البخاري رحمه الله: "أخرجت هذا الكتاب من نحو ستمائة ألف حديث، وصنفته في ست عشرة سنة، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله"[1].

ولما كان كتاب التفسير يشغل حيز الثمن من الجامع الصحيح، كان أقرب لموضوع البحث هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهو خلاصة كتاب التفسير الكبير الذي أملاه البخاري على تلميذه الفريابي كما ذكر السبكي في الطبقات[2]، ومما يؤكد ذلك أن معلقات كتاب التفسير من الجامع الصحيح وصلها كاتب التفسير الكبير الفريابي. والله أعلم.

ولقد اخترت الجامع الصحيح كموضوع للبحث لأنه:

①- أكثر استيعابا لجوانب التفسير، وأقرب المؤلفات البخارية إلى مشروع الدراسات القرآنية.

②- أصح المصنفات العلمية بعد القرآن، وأوسعها انتشارا بين المسلمين مما يسهل الاستفادة من ثمرة هذا البحث.

③- أعطى الأولوية للقرآن، خاصة آيات الأحكام. قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله: "واعترافه -الجامع الصحيح- بآيات الأحكام، فانتزع منها الدلالات البديعة، وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السبل الوسيعة ..."[3].

④- أعظم المؤلفات التي التزم صاحبها شروط القبول على مستوى الرواية، وأسس التوثيق على مستوى الدراية.

---

[1] أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي، القاهرة، مطبعة عيسى الباجي الحلبي، ط1، 1383هـ-1964م، ج2، ص: 221.

[2] المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.

[3] الأمين الخولي، تاريخ فنون الحديث، ، بيروت، دار القلم ، ص: 55.

⑤- يسهل عملية انضباط البحث، ويحدد التحليل مع إمكانية الاستقراء بواسطة تقييد دائرة النماذج التطبيقية في إطاره.

أهمية البحث:

إن أعظم مشقة على الباحث في ميدان الدراسات القرآنية، أن يلج بحرا عميقا من التراث العظيم الذي يتجه كله لخدمة النص القرآني، و تظهر بوادر التيسير حينما تتعين قواعد العلم والبحث، وتصدق النية في الطلب، وتتأكد العزيمة على النجاح، ويخلص العمل لله وحده، فعندئذ تهون المصاعب وتتذلل العقبات، خاصة إذا ابتغى بجهده المقل نفع المسلمين. قال ابن الجزري رحمه الله: "وينبغي لمن أراد التصنيف أن يبدأ بما يعّم النفع به، وتكثر الحاجة إليه بعد تصحيح النية، والأولى أن يكون شيئا لم يسبق إلى مثله، وليحذر ما استطاع، وليحسن الثناء على من يذكره من الأئمة والشيوخ..."[1].

والبحث يهدف إلى تحقيق مقاصد متعددة أهمها:

①- الإطلاع على بعض الجهود العلمية لأعلام الأمة الإسلامية.

②- المساهمة المتواضعة في إبراز جوانب المعرفة القرآنية عند أعلام المحدثين على الخصوص.

③- معرفة مناهج المفسرين العلمية عند تعاملهم مع نصوص القرآن والسنة.

④- الدفاع عن القرآن برد جحود الملحدين، وانتحال المبطلين، وتأويل الغالين، من خلال التزود بمختلف المعارف العلمية المساعدة على فهم نصوص القرآن.

⑤- بيان قواعد الفهم الصحيح لنصوص القرآن التي تقوم عليها العقيدة الصحيحة وأحكام الشريعة الصادقة.

---

[1] أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، وضع حواشيه: زكريا عميرات، بيروت، لبنان دار الكتب العلمية، ، ط1، 1420هـ-1999م، ص: 14.

إشكالية البحث:

لقد خاطب الله بالقرآن أمة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وبيّن لها أن أسمى درجات الإبداع تحقيق معنى الهداية الربانية، ولقد كان السلف الصالح أعظم الخلق فهما للقرآن، وأشدهم وقوفا عند الأحكام، فرزقهم الله العلم والإيمان، فنشروا حقائق الاسلام في الأنام. ولقد بلغ مسار الحركة العلمية في القرن الهجري الثاني أوسع نطاقه، خاصة على مستوى العلوم الشرعية، ولقد كان لعلوم السنة النبوية البروز الأكبر على مستوى حركة التدوين على أيدي أعلام المحدثين، و لقد كان لمنهجهم النقدي -قواعد دراسة السند والمتن- الأثر البارز في تمحيص الرواية، بينما كان التفسير في هذه المرحلة مجمعا لأخبار أهل الكتاب، وحكايات القصاصين وتواريخ العجم، مما سهل على أهل الزيغ والضلال الوضع، قال أحمد ابن حنبل رحمه الله: "ثلاثة ليس لها أصل: التفسير، والملاحم، والمغازي"[1].

إن الناظر في تراجم المحدثين يجدهم أعلاما في التفسير، وأئمة في فهم القرآن، ذلك لأن الحديث بيان للقرآن، ومسلك لتفسيره، لكن ما السبب الذي جعل المحدثين أعظم بروزا في علوم السنة دون علوم القرآن، وخاصة التفسير؟ هل لأسبقية تدوين السنة على التفسير دخل في ذلك؟ أم أن التفسير جمع مع السنة أثناء التدوين فكان منه تبعية؟ وإذا كان جمعه تأخر عن السنة، فهل هو نتاج بعيد عن منهج النقد الحديثي؟ ولماذا بني التفسير على غير أصول كما ذكر الإمام أحمد؟ وإذا كانت حركة الوضع قد طالت التفسير والحديث معا، فلماذا تصدى المحدثون لها في السنة دون التفسير؟ وكيفما كان تصديهم للوضع، فهل شغلهم ذلك في السنة فحال دون بروزهم في التفسير؟.

إن من الثابت يقينا أن الإمام البخاري علم في القرآن، والتفسير الكبير شاهد على ذلك. وعلم في السنة، والجامع الصحيح شاهد على ذلك، فما هو الإطار المنهجي العام للبخاري في

---

[1] إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتاوي، أحمد يونس، دائرة المعارف الإسلامية، بيروت، لبنان دار المعرفة، ، ج5، ص: 351.

التفسير؟ هل هو من مدرسة الأثر أم من مدرسة الرأي؟ وإذا استقل بالمأثور، فهل كانت آليات اجتهاده بمنأى عن قيود التقليد؟.

إن مما علم من تراث البخاري أصالة منهجه، ومكانة اجتهاده، إذن فما هي أبعاد هذا المنهج؟ وكيف كانت آثاره على حركة التفسير القرآني؟ وما هي الأحكام التي قررتها الحركة العلمية تاريخيا على جهوده ومعارفه؟. هذا ما سوف تظهر معالمه مبينة من خلال هذا البحث المتواضع إن شاء الله تعالى.

دوافع البحث:

لقد قسّم العلماء العلوم الإسلامية إلى ثلاثة أقسام[1]:

① – قسم نضـــج واحتـــرق، وهو: النحو والأصول.

② – قسم نضـــج وما احترق، وهو: الفقه والحديث.

③ – قسم لا نضج ولا احترق، وهو: البيان والتفسير.

ولما نظرت إلى القسمة الثالثة وجدتها نظير المشروع –اللغة والدراسات القرآنية– وكيف ينضج التفسير وموضوعه كلام الله تعالى، فهو بحر لا ساحل له، ومسلك لا نهاية له، فهو:

✍ أشرف العلوم على الإطلاق، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [2]، قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: "فموضوع التفسير كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة، وصورة فعله إظهار خفيات ما أودعه منزله من أسراره، ليتدبروا آياته، وليتذكر أولوا الألباب، وغرضه التمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا فناء لها ..."[3].

---

[1] إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتاوي، عبد الحميد يونس، دائرة المعارف الإسلامية، ج5، ص: 365.

[2] سورة الفرقان، الآية: 33.

[3] الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت، لبنان دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ–1997م، ص: 05

✍ إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا لابن عباس رضي الله عنهما فقال: "اللهم علمه الكتاب"[1].

✍ إن العمل بأحكام القرآن معلق عليه، فهو الأداة الرئيسة الموصلة إلى ثمرة الإقتداء. قال ابن مسعود[2] رضي الله عنه: "كان الرجل منّا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن"[3].

دوافع البحث:

①- الاستضاءة بأنوار بقية خير القرون، علم المحدثين -الإمام محمد بن إسماعيل البخاري- الذي أظهر طريق السلف الصالح، ونصر عقيدتهم، خاصة أيام البدعة النكراء بدعة خلق القرآن. قال صلى الله عليه وآله وسلم: "خير القرون القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"[4]. ويشهد للبخاري كونه من خير القرون، ثلاثيات رواياته في الجامع الصحيح[5].

---

1 ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري، تحقيق: عبد العزيز بن باز، دار المعرفة، ، ج1، ص: 169.

2 أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الهذلي، صحابي جليل من السابقين إلى الإسلام، خادم الرسول والجاهر بالقرآن، العالم المفسر، مات بالمدينة سنة 32هـ عن عمر ستين سنة. أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرنؤوط، صالح مهدي عباس، ، بيروت، لبنان مؤسسة الرسالة ، ط1، 1404هـ، ج1، ص: 32 – أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج1، ص: 395.

3 ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص: 28 – البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم علمه الكتاب"، رقم: 73 – ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن عباس، رقم: 4526 – الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عبد الله بن عباس، رقم: 3760 – أبو عبد الله بن يزيد بن ماجة القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي بيروت، لبنان، ، باب فضل ابن عباس، رقم: 162 – أحمد في المسند، كتاب مسند بني هاشم، رقم: 2274.

4 البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الشهادات، رقم: 2457، ج3، ص: 151 –مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، رقم: 4601، ج4، ص: 1963 – الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في القرن الثالث، رقم: 2147 – النسائي، كتاب الأيمان والنذور، باب الوفاء بالنذر، رقم: 3749 – أبو داود، كتاب السنة، باب فضل أصحاب رسول الله، رقم: 4038.

5 محمد بن عبد الدائم البرماوي الشافعي، شرح ثلاثيات الإمام البخاري، تحقيق مصطفى مخدوم، دار الملمة للنشر والتوزيع، ط1421هـ.

②- تأكيد أستاذية البخاري في التفسير وإمامته فيه من خلال بيان مسالكه الاجتهادية، وأسس منهجه التفسيري، وتقرير النقول التاريخية الدالة على إمامته في التفسير نقلا عن: السبكي في الطبقات[1]، والداودي في الطبقات[2]، وابن حجر في هدي الساري[3].

③- أن الموضوع لم يطرق من قبل بالدراسة والاستقراء فيما أعلم، فكل الدراسات العلمية تناولت البخاري من جانب الحديث وعلومه.

④- أن فضائل البخاري وسيرته أثرت في نفسي، فقد جمع رحمه الله بين كنزين:

أ- الاجتهاد المطلق، قال نعيم بن حماد الخزاعي[4] رحمه الله: "محمد ابن إسماعيل فقيه هذه الأمة"[5]، ويتضح اجتهاده في مخالفته مجموع المذاهب الفقهية، كيف لا يكون مجتهدا وقد جمع الرواية والنظر في صغره؟.

ب- أخلاقه الفاضلة، فقد جمع بين العلم والعبادة، وبين الشجاعة والثبات على الحق، وسيظهر هذا من خلال ترجمته إن شاء الله تعالى.

---

[1] الإمام السبكي، طبقات الشافعية، ج2، ص: 226. روى محمد بن أبي حاتم قال: "رأيت أبا عبد الله استلقى على قفاه يوما ونحن بفربر في تصنيف كتاب التفسير وأتعب نفسه يومئذ فقلت: إني أراك تقول: إني ما أتيت شيئا بغير علم قط منذ عقلت فما الفائدة في الاستلقاء؟ قال: "أتعبنا أنفسنا اليوم وهذا ثغر من الثغور خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو فأحببت أن أستريح وآخذ أهبة ...".

[2] شمس الدين محمد بن علي الداودي، طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة وهبة، ط2، 1415هـ-1994م، ج2، ص: 104.

[3] ابن حجر العسقلاني، هدي الساري، ، بيروت، دار المعرفة ص: 492.

[4] أبو عبد الله نعيم بن حماد المروزي الخزاعي ، نزيل مصر، محدث حافظ، روى عن خلق منهم: عبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة، احتج به البخاري، ووثقه أحمد بن حنبل، وضعفه النسائي. أبو عبد الله محمد بن احمد الذهبي، المقتنى في سرد الكنى، ج1، ص: 357 - محمد بن طاهر القيسراني، تذكرة الحفاظ، ج2، ص: 419 - محمد بن إسماعيل البخاري، التاريخ الكبير، تحقيق: السيد هاشم الندوي، ، بيروت، لبنان دار الفكر ، ج8، ص: 100.

[5] طبقات الشافعية، السبكي، ج2، ص: 218.

المصاعب:

والحق أني حسبت الأمر سهلا بسيطا، إلا أنه كان صعبا معقدا، خاصة عند تأصيل المادة العلمية، وزاد الخطب صعوبة عند الاستقراء والموازنة، ومما صعب ذلك اختصار البخاري للعبارة، وقناعته بنص الترجمة مع الدليل دون شرح مفصل.

ويمكن تلخيص الصعوبات في النقاط التالية:

- جدة الموضوع، فإنه لم يطرق بالدراسة مما جعل البحوث العلمية حوله ناقصة أو شبه معدومة.
- صعوبة التحليل والاستقراء، إذ أن كلام البخاري يعتمد الاختصار والإشارة.
- قلة المصادر العلمية، والدراسات الأكاديمية المساعدة على البحث.
- اختلاف تخصصي الدراسة الجامعية -التدرج- والدراسات العليا -الماجستير- مما جعلني أطالع مباحث علوم القرآن خاصة قواعد تفسير النصوص الشرعية.
- موت الوالدة العزيزة -قدس الله روحها ونور ضريحها- الجليس الذي زادني إقبالا على البحث، والناصح الأمين الذي حرص على اجتهادي، فقد كان جلوسها لي نورا، ونصحها لي طريقا، وكم شعرت بالتثاقل بعد فراقها، فما استطعت البحث إلا بشق الأنفس ومرارة الشعور.

هذا وقد حاولت وسع جهدي أن أردّ الأقوال إلى أصحابها، والأفكار إلى أصولها، حافظا الأمانة في النقل، والأصالة في التوثيق، قال ميمون ابن أبي شبيب: " ... وأردت مرة أن أكتب كتابا فذكرت كلمة إن كتبتها زينت كتابي وأكون قد كذبت، وإن تركتها قبحت كتابي وأكون قد صدقت، فأجمعت على تركها فنوديت من جانب البيت: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الذِّينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [1]. فلا أمان على الباحث من الزلل إن هو ترك المصادر فلم يوثق عمله[2].

---

[1] أبو بكر ابن أبي شيبة، المصنف، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، ، بيروت دار الكتب العلمية ، ط1، 1416هـ-1995م، ج2، ص: 136.

[2] الخطيب أبي بكر أحمد بن علي البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، ، بيروت، لبنان دار الكتب العلمية ، ط1، 1417هـ-1996م، ص: 235.

وأسأل الله أن يغفر زلتي إن ظهرت ألفاظ الشان دون قصد، فإنها الحالقة الهالكة، وأسأله أن يعرفني قدر نفسي، فالمشبّع بما لم يعط كلابس ثوبي زور. قال ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى:

يقولون هذا عندنا غير جائز ومن أنتم حتى يكون لكم عند[1]

فان كان في هذا البحث سداد فهو من عند الله وحده فله الحمد، وان كان فيه زلل فمني خالص وذاك لعجزي وجهلي، ويأبى الله العصمة إلا لكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، قال الشافعي[2] رحمه الله: "لقد ألفت هذه الكتب، ولم آل فيها أن يوجد منها الخطأ لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً﴾، فما وجدتم في كتبي هذه ما يخالف الكتاب والسنة فقد رجعت عنه"[3].

وقال الشاعر:

كم من كتاب قد تصفحتــه وقلت في نفسي أصلحتــه

حتى إذا طالعته ثانيـــــا وجــدت تصحيفا فصححته

المدخل التمهيدي: حالة الأمة الإسلامية في عصر البخاري

لقد بلغت الدولة الإسلامية في عهد الخلافة الأموية أوسعها، إذ وصلت كتائب الجهاد مشارق الأرض ومغاربها، منها بلاد ما وراء النهر، فقد بعث معاوية رضي الله عنه جيشا بقيادة عبيد الله بن زياد إلى بخارى ففتحها صلحا، ثم فتحها بعد ردتها القائدان قتيبة بن مسلم

---

1 بكر أبو زيد، التعالم، ، الرياض، السعودية مكتبة دار الراية ، ط3، 1412هـ-1992م، ص: 67.

2 أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي الهاشمي القرشي (204/150هـ) ، أحد الأئمة الأربعة، العالم المجتهد، اللغوي الفصيح، أفتى وعمره عشرون سنة، ولد بغزة فلسطين، ومات بمصر. أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي، تهذيب الأسماء واللغات، بيروت، لبنان دار الفكر، ، ط1، 1996م، ج1، ص: 67 - ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج2، ص: 248.

3 محمد عبد الرحمن السخاوي، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق: محمد عثمان الخشت، بيروت، لبنان دار الكتاب العربي، ، ط1/1405هـ-1985م، ص: 53.

وسعيد بن عثمان بن عفان[1]، ويُعَدُّ فتح إقليم بخارى من أهم مراحل الفتح الإسلامي إذ به انقرضت ديانات الجاهلية كالزرادتشية والبوذية[2]، ودخل الناس في الإسلام زرافات وجماعات لما شاهدوه من صفاء خالص في حقائق الغيب، وكمال تام في المعاملات المختلفة.

ولقد توقف التوسع الإسلامي واستقرت حدوده في عهد العباسيين، إذ كان حكمهم مرحلة للبناء الحضاري في مختلف مجالاته[3]، وقد بلغت الحضارة في العهد العباسي الأول أوجها في مختلف المجالات الحيوية، وبوفاة الخليفة هارون الرشيد دخلت الدولة العباسية منعطفا جديدا تميّز بما يلي:

المجال السياسي:

لقد بدأ الصراع الداخلي حول الخلافة بين الأخوين -الأمين والمأمون-، فأخذ منحناه الخطير، فأزهقت فيه الأرواح، وضاعت فيه الحرمات، وأهلك فيه الحرث والنسل، وأصبح الإفساد باسم طلب الحكم السنة المتبعة[4]، ومما زاد الصراع شدة، والانقسام اتساعا، ظهور هوة الخلاف في نفوذ الحكم بين الجنس العربي والفارسي، مما أدى إلى ضعف أجهزة الدولة، وتكالب الأعداء عليها[5]. وقد وصف الشاعر دعبل مشاهد الصراع والضعف والانقسام فقال:

خليفة مات لم يحزن له أحد وآخر قام لم يفرح به أحد

فمر ذلك ومرّ الشؤم يتبعه وقام ذا فقام النحس والنكد[6]

---

[1] محمود شيت الخطاب، سعيد بن عثمان بن عفان الأموي، فاتح بخارى وسمرقند وترمذ، القاهرة، دار قتيبة، ط1/ 1405هـ-1985م، ص: 10 - أحمد محمد الساداتي، تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ص: 175 - محمد نصر مهنا، الفتوحات الإسلامية، والعلاقات السياسية في آسيا، الإسكندرية، منشأة المعارف، ط 1990، ص: 110.

[2] طه ندا، فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، بيروت، دار النهضة العربية، ص: 144.

[3] أنور الجندي، الإسلام وحركة التاريخ، بيروت، دار الكتاب العربي، ط8، 1986م، ص: 136.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1351/1هـ-1933م، ج1، ص: 240 - أبو الحسين علي ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1967/2م، ج5، ص: 134.

[5] نبيلة حسن محمد، تاريخ الدولة العباسية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط 93، ص: 09 - أحمد أمين، ظهر الإسلام، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1969/5م، ج1، ص: 08.

[6] أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي الفاطمي، بيروت، دار النهضة العربية، ص: 125.

ولقد أدى هذا الصراع المقيت، والانقسام البغيض إلى ظهور الثورات الشعبية المختلفة، التي كان بعضها تعبيرا عن المعاناة الاجتماعية الناجمة عن ظلم الخلفاء والولاة، وبعضها الآخر تعبيرا عن أفكار ومعتقدات.

المجال الفكري:

لقد اشتد الصراع في هذه المرحلة بين أفكار الجاهلية وتعاليم الشريعة الإسلامية، ومما زاد الصراع شدة ظهور الثورات الدموية، التي تحمل الأفكار الشعوبية، وتدعو إلى العنصرية والوثنية والثنوية والمجوسية، زيادة على موالاتها أهل الكفر ضد المسلمين، ولقد خلّفت هذه الثورات تباينا فكريا فرّق المسلمين إلى عصبيات متعددة، مثل ثورة الزط لهنود آسيا، وثورة الزنج، و ثورة بابك الحرمي[1]، ولقد انتهجت هذه الثورات مسلك الخروج عن الحكام فسفكت الدماء، واستحلت الأموال، والأعراض، كما فعلت طائفة المحمّرة في أيام المعتصم[2]، وأعظم فتنة مزّقت الأمة، وامتحن بها الأئمة، فتنة خلق القرآن، فرض الخليفة المأمون على الأئمة اعتقادها، وقتل رافضها، وحمل الأمة على عقيدة المعتزلة بقوة السيف والسلطان، وبقيت هذه البدعة في الأمة عقيدة بالسيف دهرا إلى أن أبطلها الخليفة المتوكل[3].

المجال العلمي:

لقد تجسدت النهضة العلمية في هذا العهد في جوانب متعددة أهمها:

1- انتشار حركة التصنيف والتأليف، فقد استطاع العلماء تنظيم العلوم بمختلف أنواعها، وبرعوا في حل المشكلات المختلفة من خلال الاستجابة لمعطيات التطوّر والحضارة.

---

[1] محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، مكتبة خياط، ج13، ص: 2085 – محمد الخضري بك، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، بيروت، دار الفكر العربي، ص: 190.

[2] أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر للطباعة، ط 1379هـ-1960م، ج2، ص: 471.

[3] أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ص: 401 – أبو زكرياء يزيد بن محمد بن القاسم الأزدي، تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ط 1387هـ-1967م، ص: 412 – أحمد فريد رفاعي، عصر المأمون، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط1346/4هـ-1968م، ج3، ص: 05 – حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، بيروت، دار الجيل، ط1411/13هـ-1991م، ج2، ص: 65 – أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، دار الأندلس، ط1401/4هـ1981م، ج3، ص: 432 – أحمد أمين، ضحى الإسلام، بيروت، دار الكتاب العربي، ط10، ج3، ص: 161.

2- تصحيح المفاهيم الخاطئة، ونقد مواقف الحكام والولاة.

3- ظهور حركة التنظيم العلمي للمعارف، من خلال استحداث نظام المكتبات الخاصة والعامة في مختلف المرافق الاجتماعية؛ كالأسواق، والمساجد، والمصحّات[1].

4- إرسال البعثات العلمية لتحصيل المعارف مع إحداث اللجان المتخصصة في ترجمة المعارف والمخطوطات القديمة المتصلة بالثقافات الإغريقية واليونانية[2].

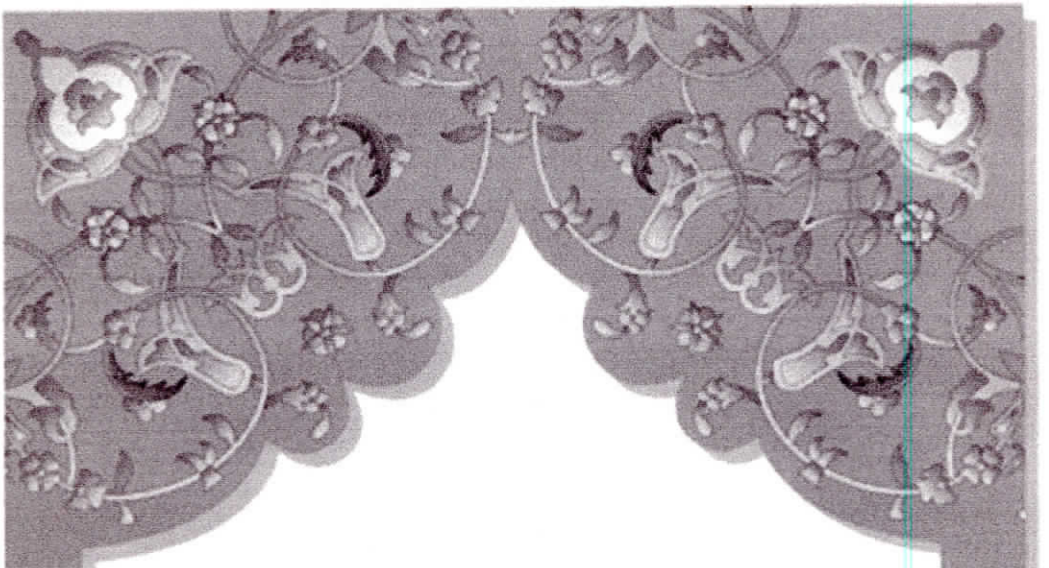
---

[1] حسين الحاج حسن، حضارة العرب في العصر العباسي، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1/1414هـ-1994م، ص: 38.

[2] أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط11/1996م، ج3، ص: 229.

الفصل الأوّل

حياة الإمام البخاريّ



المبحث الأول: البخاري؛ نسبه، مولده، نشأته

المبحث الثاني: البخاري؛ طلبه للعلم، منهجه فيه، تصانيفه

المبحث الثالث: البخاري، أخلاقه وصفاته

المبحث الرابع: البخاري؛ محنته ووفاته

الفصل الأول: حياة الإمام البخاري.

المبحث الأول: البخاري: نسبه، مولده، نشأته.

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف بن بردزبه[1]، والده أبو الحسن إسماعيل، كان من العلماء الورعين، عدلا، تقيا. قال أحمد بن حفص: "دخلت عليه عند موته فقال: لا أعلم في جميع مالي درهما من شبهة. قال أحمد: فتصاغرت إليّ نفسي في ذلك"[2].

ولقد غيّر إسماعيل منهج آبائه في الحياة، فكان من علماء الحديث في عصره، سمع من مالك بن أنس وحماد بن زيد، وصحب عبد الله بن المبارك, قال البخاريّ: باب الأخذ باليد، فعلّق عن أبيه قوله: "وصافح حماد بن زيد ابن المبارك بيديه"[3]. ويشهد لعلمه ما رواه العراقيون عنه، منهم: أحمد بن حفص، وأحمد بن جعفر، ونصر بن الحسين، وغيرهم[4]. ولقد توفي إسماعيل تاركا محمّدا طفلا صغيرا يتيما.

أما أمّه فكانت تقية صالحة عابدة ورعة، عدّها المؤرخون من ذوات الكرامة والولاية. روى اللالكائي عن خلف بن محمد البلخي عن أبيه قال: "ذهبت عينا محمد بن إسماعيل في صغره فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام فقال لها: يا هذه لقد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك -أو كثرة دعائك-، فأصبحنا وقد ردّ الله عليه بصره"[5].

إن ثمرة علم البخاري وخلقه، دليل على علم أمّه وسبق فضلها، وعلو منزلتها. أما جده إبراهيم فلم أجد له ذكرا في كتب التراجم. ولقد مات أجداد البخاري الفارسيين كلهم على دين المجوس إلا المغيرة، فقد أسلم على يد اليمان الجعفي والي بخارى، فنسب إليه ولاء، عملا

---

[1] أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي، التعديل والتجريح، تحقيق: أبو لبابة حسين، الرياض، دار اللواء للتوزيع والنشر، الطبعة 1/1986م، ج1، ص: 307.
[2] أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج3، ص: 213.
[3] ابن حجر، الفتح، ج11، ص: 55.
[4] يوسف الكتاني، الإمام البخاري أمير المؤمنين في الحديث، مجلة الأزهر، عدد رجب 1418هـ، ص: 06
[5] أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي، كرامات أولياء الله، تحقيق: نشأت كمال المصري، الإسكندرية، دار البصيرة، ص: 1471.

بمذهب من يرى أن من أسلم على يد شخص كان ولاؤه له[1]. أما جدّه ابن بَرْدِزْبَهْ -بفتح الباء الموحدة بعدها راء ساكنة ثم دال مكسورة مهملة ثم زاي ساكنة ثم باء موحدة مفتوحة ثم هاء-، هكذا ذكره السبكي في الطبقات، ونسبه لأبيه[2]؛ ومعناه بالفارسية عند أهل بخارى: الزارع، وهو المعنى المشهور كما جزم ابن حجر[3].

ولد البخاريّ[4] بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة 194هـ، ولقد اتفق أهل العلم بالتراجم على تاريخ ولادته ووفاته[5].

كان نحيف الجسم ليس بالطويل ولا القصير يميل لونه إلى السمرة[6].

---

[1] أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، دائرة المعارف الإسلامية، ج3، ص: 421.

[2] السبكي، طبقات الشافعية، ج2، ص: 213. وهذا ما جزم به الأمير هبة الله بن ماكولا في الإكمال في رفع الارتياب على المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة 1411/1هـ-1990م، ج8، ص: 259.

[3] ابن حجر، هدي الساري ، ص: 477.

[4] نسبة إلى بخارى -بضم الباء وبمد الألف وقصرها- أعظم مدينة وراء النهر، لقبت بخارى بالمدينة الصفوية ومدينة التجار والشريفة التقية، وهي اليوم إحدى مدن جمهورية أوزبكستان، مدينة عتيقة فتحها المسلمون بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي سنة 87هـ في عهد الوليد بن عبد الملك الأموي، ينحدر أكثر سكانها من نسل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وهم أعظم الخلق احتراما للعلم وتوريثا له. أنظر: أرمنيوس فامبري، تاريخ بغداد منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة: أحمد محمود الساداتي، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، الطبعة 1987/2م، ص: 105 - جلال الدين السيوطي، لب اللباب في تحرير الأنساب، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة 1411/1هـ-1991م، ج1، ص: 107 - الموسوعة العربية العالمية، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الطبعة 1419/2هـ-1999م، ج4، ص: 239 - ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ج4، ص: 191 - أبو بكر محمد بن جعفر النرشخي، تاريخ بخارى، تحقيق: أمين عبد المجيد بدوي، نصر الله مبشر الطرازي، القاهرة، دار المعارف، ص: 39 - صفي الدين عبد المؤمن البغدادي، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: محمد علي البجاوي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة 1954/1م، ج1، ص: 169 - أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة 1364/1هـ-1945م، ج1، ص: 229.

[5] النووي، تهذيب الأسماء، بيروت، دار الفكر، الطبعة 1996/1م، ج1، ص: 86- أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد الأنصاري الشعراني، فاتح الأنوار في طبقات الأخيار، تحقيق: خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة 1997/1م، ص: 92 - الخليل بن عبد الله الخليلي، الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تحقيق: عامر أحمد حيدر، بيروت، دار الفكر، ط/1414هـ-1994م، ص: 377.

[6] الحافظ أبو بكر أحمد بن علي البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة 1417/1هـ-1997م، ج2، ص: 06 - أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، تذكرة الحفاظ، بيروت، دار الكتب العلمية، ج2، ص: 555 - محمد أحمد عبد الهادي الصالحي الدمشقي، طبقات علماء الحديث، تحقيق: أكرم البوشي، إبراهيم الزيبق، بيروت، مطبعة الرسالة، الطبعة 1996/2م، ج2، ص: 243.

المبحث الثاني: البخاريّ: طلبه للعلم، منهجه فيه، تصانيفه.

بدأ البخاريّ حياته العلمية بطلب القرآن، فقد حفظه في الكتّاب وهو صبيا، وحبّب إليه حفظ الحديث، فأخذ يختلف إلى العلماء والمحدثين ملازما مجالسهم وهو في العاشرة من عمره. قال محمد بن أبي حاتم الورّاق: قلت للبخاريّ: "كيف كان بدء أمرك؟ قال: ألهمت حفظ الحديث في المكتب ولي عشر سنين أو أقل، وخرجت من الكتّاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخليّ وغيره، فقال يوما فيما يقرأ على النّاس: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، فقلت له: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم فانتهرني، قلت له: ارجع إلى الأصل، فدخل ثمّ خرج فقال لي: كيف يا غلام قلت؟ هو الزبير بن عدي عن إبراهيم فأخذ القلم منّي وأصلحه وقال: صدقت. فقال للبخاريّ بعض أصحابه، ابن كم كنت؟ قال: ابن إحدى عشرة سنة"[1]. ولقد أعانه على الحفظ شدة ذكائه، وقوة استيعابه، ولقد كان يستحيي من مشايخه لصغر سنّه، قال: "كنت أختلف إلى الفقهاء بمرو وأنا صبي، فإذا جئت أستحي أن أسلّم عليهم، فقال لي مؤدب من أهلها كم كتبت اليوم؟ فقلت: اثنين -وأردت بذلك حديثين- فضحك من حضر المجلس، فقال شيخ منهم: لا تضحكوا فلعله يضحك منكم يوما"[2].

وبدأ البخاري رحلته في الرابعة عشر من عمره، واستمرت ستة عشر عاما، "فدخل الشام ومصر والجزيرة مرتين، وإلى البصرة أربع مرات وأقام بالحجاز ستة أعوام، ودخل إلى الكوفة وبغداد ما لا يحصى من المرات، وكتب بخراسان والجبال ومدن العراق كلها"[3]. قال البخاريّ: "أوّل ما رحلت أقمت سبع سنين، ومشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ، ثم تركت العدد. وخرجت من البحرين إلى مصر، ثم إلى الرملة ماشيا"، ثم اجتهد في حفظ كتب العلماء ومذاهب

---

[1] السبكي، طبقات الشافعية، ج2، ص: 216 – أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، صفة الصفوة، ج4، ص: 168.

[2] شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، صالح السمر، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة 1406/4هـ-1986م، ج12، ص: 400.

[3] أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت دار المسيرة، الطبعة 1399/2هـ-1979م، ج2، ص: 135.

الفقهاء، قال: "فلما طغيت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء"[1].

ثم استوعب الآثار والأخبار عن الصحابة والتابعين وجمع تراجم الروّاة، قال: "أحفظ سبعين ألف حديث وأكثر، ولا جئت بحديث عن الصحابة أو التابعين، إلا عرفت مولد أكثرهم، ووفاتهم، ومساكنهم.."[2]. ثم أخذ يصنّف، فكان أول كتاب صنّفه التاريخ الكبير، الذي حيّر مضمونه العلماء، وأدهش نسجه الأمراء، فقد صنّفه عند قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الليالي المقمرة، بل إنه أعاد مراجعته وتنقيحه ثلاث مرات، ولما أدخله شيخه إسحاق بن راهويه على الأمير عبد الله بن طاهر قال: "أيها الأمير ألا أريك سحرا؟ فنظر إليه الأمير فتعجب منه وقال: لست أفهم تصنيفه"[3].

ثم تتابعت رحلات البخاريّ العلمية فشملت أغلب الحواضر في وقته، واستغرقت معظم حياته مجالس العلماء مجاورا لهم، جامعا للحديث، راويا له، عاقدا لمجالس التحديث رواية ودراية.

ولقد كان البخاريّ من مجددّي الإسلام الذين تصدّوا لخصوم الدين الوضّاعين، فأبدع عملا موسوعيا مبنيا على قواعد التحقيق العلمي من أصول الحديث، فأخرج للوجود الجامع الصحيح الذي دفعه إلى تصنيفه باعثان هما:

1- دعوة شيخه إسحاق بن راهويه لجمع الحديث الصحيح:

قال البخاريّ: "كنا عند إسحاق بن راهويه فقال: لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال: فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح"[4].

2- بشارة الرؤيا الصادقة:

---

[1] أبو بكر أحمد بن علي البغدادي، تاريخ بغداد، ج2، ص: 07. ولفظ هؤلاء أو بعض الناس مصطلح خاص بالبخاري يريد به أهل الرأي.

[2] السبكي، طبقات الشافعية، ج2، ص: 218 – محمد الخولي، تاريخ فنون الحديث، ص: 55.

[3] البغدادي، تاريخ بغداد، ج2، ص: 07.

[4] ابن حجر، الهدي، ص: 07.

قال البخاريّ: "رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كأني واقف بين يديه وبيديّ مروحة أذبّ عنه، فسألت بعض المعبّرين فقال: إنّك تذبّ عنه الكذب. فهو الذي حملني على إخراج الصحيح"[1].

وما جمع البخاريّ جامعه الصّحيح إلاّ بعد أن:

- استشار العلماء والشيوخ، قال أبو جعفر العقيلي: "لما صنف البخاريّ كتاب الصحيح عرضه على ابن المديني وأحمد بن حنبل ويحي بن معين وغيرهم، فاستحسنوه وشهدوا له بالصحّة إلا أربعة أحاديث. قال العقيلي: والقول فيها قول البخاريّ وهي صحيحة"[2].

- الجمع الطويل، والتمحيص الدقيق، فقد كلّفه الجامع غربلة ستمائة ألف حديث. قال البخاريّ : "أخرجت هذا الكتاب من نحو ستمائة ألف حديث، وصنّفته في ست عشرة سنة، وجعلته حجّة في ما بيني وبين الله"[3].

وكان بعيد الهمة في تحري الصحيح، يقارن بين المتشابهات، ويوفق بين المختلفات، ويرد الأشياء إلى مصادرها متحليا بصرامة النقد في الجمع[4]. ولقد أظهر جامعه براعة فائقة في إدراك أصح النصوص، وأرجح الاجتهادات، التي أبانها صاحبه بأدق العبارات وأوجزها مقدمة في هدايا التراجم والأبواب، وما استحقت هذه الموسوعة العلمية الأفضلية بعد القرآن، إلا بعد أن تسلح صاحبها بجملة من الموفّقات الربانية:

1- الاغتسال .

2- الصلاة.

3- الاستخارة.

4- مجاورة الحرمين الشريفين.

---

[1] ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج2، ص: 135.

[2] ابن حجر، هدي الساري، ص: 489.

[3] أبو محمد عبد الله بن اسعد بن عليّ اليافعي اليمني، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة 2/1390هـ-1970م، ج2، ص: 168 - السبكي، طبقات الشافعية، ج2، ص: 221.

[4] محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، بيروت، دار المعرفة، ج2، ص: 56.

قال البخاريّ: "ما وضعت في كتاب الصحيح حديثا، إلا اغتسلت قبل ذلك، وصليت ركعتين"[1]. وروى البغدادي عن عبد القدوس بن همّام قال: سمعت عدة من الشيوخ يقولون: "حوّل محمد بن إسماعيل تراجم جامعه بين قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين". وقال البخاريّ : "صنّفت كتابي في المسجد الحرام، وما أدخلت فيه حديثا حتى استخرت الله تعالى، وصليت ركعتين، وتيقنت صحّته"[2]. ومن شدة حرصه في الجمع والتمحيص غلب عليه السهر، قال محمّد بن أبي حاتم الورّاق: "كان أبو عبد الله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد، إلا في القيظ أحيانا، فرأيته يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة إلى عشرين مرّة في كل ذلك يأخذ القدّاحة فيوري نارا ويسرج ثمّ يخرج أحاديث فيعلّمُ عليها ..."[3].

ولقد أكرمه الله برؤية النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم. قال محمّد بن أبي حاتم: "رأيت البخاريّ في المنام خلف النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم يمشي، فكلّما رفع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم قدمه وضع أبو عبد الله قدمه في ذلك الموضع"[4].

وتعتبر منزلة البخاريّ العلمية زبدة الرحلة المعرفية المستغرقة للحياة، والملازمة الشديدة للعلماء والفقهاء، فشيوخه أكثر من أن يحصوا، قال البخاريّ: "كتبت عن ألف وثمانين رجلا ليس فيهم إلا صاحب حديث، كانوا يقولون الإيمان قول وعمل يزيد وينقص"[5]. ومن خلال قول البخاريّ نستنبط المعايير العلمية التي كان يوظفها في عملية النقد الحديثي، والتي منها صحة العقيدة، قال: "لقيت أكثر من ألف رجل من أهل الحجاز والعراق والشام ومصر وخراسان، فما

---

1 البغدادي، تاريخ بغداد، ج2، ص: 09.
2 ابن حجر، هدي الساري، ص: 489 – أبو الوليد الباجي، التعديل والتجريح ج1، ص: 311.
3 السبكي، طبقات الشافعية، ج2، ص: 220.
4 ابن حجر، هدي الساري، ص: 489.
5 الذهبيّ، سير أعلام النبلاء، ج12، ص: 395.

رأيت واحدا منهم يختلف في هذه الأشياء: إن الدين قول وعمل، وإن القرآن كلام الله"[1]. ومن الشيوخ الذين أثّروا في تكوينه العقلي والنفسي، وساهموا في صياغة منهجه الحديثي:

* عليّ بن المديني، قال عنه البخاريّ: "ما تصاغرت نفسي عند أحد، إلا عند عليّ ابن المديني، وما سمعت الحديث من في إنسان أشهى عندي أن أسمعه من في عليّ"[2].

* أحمد بن حنبل، قال عنه البخاريّ : "دخلت بغداد آخر ثمان مرّات، كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل فقال لي في آخر ما ودّعته: يا أبا عبد الله، تترك العلم والناس وتصير إلى خراسان؟ قال البخاريّ: فأنا الآن أذكر قوله"[3].

* إسحاق بن راهويه.

* يحي بن معين.

أمّا تلامذة البخاريّ فهم كثر بحسب كثرة انتشار جامعه الصحيح، قال محمد بن يوسف بن عاصم: "رأيت لمحمد بن إسماعيل ثلاثة مستملين ببغداد، وكان اجتمع في مجلسه زيادة على عشرين ألف رجل". ومن أبرز من لازمه وتأثر به: مسلم بن الحجاج والترمذي وأبو داود وأبو زرعة وأبو حاتم وابن أبي الدنيا وابن خزيمة والحسين بن إسماعيل المحاملي[4]. بل قد جزم بن ماكولا أن عدد من سمع الجامع الصحيح من البخاريّ في حياته تسعون ألف رجل، وكان آخر من حدّث به عنه، أبو طلحة منصور بن محمد البزدوي المتوفى سنة 329هـ.

للبخاري آثار علمية كثيرة منها المطبوع الموجود، ومنها المفقود[5]:

*- الجامع الصحيح: وهو أفضل كتاب، وأصح صحيفة بعد القرآن الكريم، جمع فيه بين العقيدة والشريعة، فجاء شاملا لكل أبواب العلوم الشرعية، وكان زبدة ما صحّ من المصنفات

---

[1] ابن حجر، هدي الساري، ص: 479.
[2] البغدادي، تاريخ بغداد، ج2، ص: 18.
[3] المصدر نفسه، ص: 22.
[4] ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة 1415/1هـ-1994م، ج9، ص: 38.
[5] أنظر: فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، ترجمة: فهمي أبو الفضل، مراجعة: محمود فهمي حجازي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ط/1971م، ج1، ص: 309.

والجوامع؛ كجامع ابن عيينة ومصنف عبد الرزاق، وكتب المغازي والسير، فأخذ من مغازي عقبة بن موسى وابن إسحاق[1]، ويكفي الجامع الصحيح شهرة أن بسط في شروح كثيرة[2].

*- التاريخ الكبير: من أوائل المصنفات الخاصة بتراجم الرواة، تعجب من نسجه العلماء والأمراء.

*- التاريخ الأوسط.

*- التاريخ الصغير.

*- كتاب الضعفاء الصغير والكبير.

*- كتاب الكنى.

*- الأدب المفرد.

*- التواريخ والأنساب.

*- خلق أفعال العباد والرد على الجهمية.

*- العقيدة أو التوحيد.

*- أخبار الصفات.

*- جزء القراءة خلف الإمام.

*- رفع اليدين في الصلاة.

*- الجامع الكبير.

*- الجامع الصغير.

*- كتاب العلل.

*- الثلاثيات.

*- كتاب قضايا الصحابة والتابعين.

---

[1] أبو بكر كافي، منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها، بيروت دار ابن حزم، الطبعة 1421/1هـ-2000م، ص ص: 25-29.

[2] فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، ج1، ص: 312 -وقد بلغ مجموع شروح الجامع الصحيح والتعليقات إلى ما يزيد على مائة وثلاثين ذكره الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي. أنظر: سعد فهمي أحمد، السراج المنير في ألقاب المحدثين، بيروت، دار ابن حزم، الطبعة 1417/1هـ-1996م، ص: 377.

*- التفسير الكبير: وهو من أعظم المصنفات القرآنية، ذكره الداودي في الطبقات[1]، وأكّد ثبوته ابن حجر، ونسب ذلك للفربري[2]، وصنّف ابن عطية البخاري ممن كمّلوا التفسير[3]. قال محمد ابن أبي حاتم: "رأيت أبا عبد الله استلقى على قفاه يوما ونحن بفربر في تصنيف كتاب التفسير، وأتعب نفسه ..."[4].

ويعتبر التراث العلمي العظيم الذي خلّفه البخاريّ زبدة المنهج العلمي الذي سلكه في حياته العلمية، وقد فصله في وصيته الرباعية التي جمعت ست عشر وصية[5]:

01- أن يكتب أربعا: أخبار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أخبار الصحابة ومقاديرهم، أخبار التابعين وأحوالهم، أخبار سائر العلماء وتواريخهم.

02- مع أربع: مع أسماء رجالهم، وكناهم، وأمكنتهم، وأزمنتهم.

03- كأربع: كالتحميد مع الخطب، والدعاء مع التوسل، والبسملة مع السورة، والتكبير مع الصلوات.

04- مثل أربع: مثل المسندات، والمرسلات، والموقوفات، والمقطوعات.

05- في أربع: في صغره، وفي إدراكه، وفي شبابه، وفي كهولته.

06- عند أربع: عند شغله، وعند فراغه، وعند فقره، وعند غناه.

07- بأربع: بالجبال، والبحار، والبلدان، والبراري.

08- على أربع: على الأحجار، والأصداف، والجلود، والأكتاف.

09- عن أربع: عمن فوقه، عمن هو مثله، وعمن هو دونه، وعن كتاب أبيه يتيقن أنّه بخط أبيه.

---

[1] شمس الدين محمد بن علي الداودي، طبقات المفسرين، ج2، ص: 104.
[2] ابن حجر، الهدي، ص: 492.
[3] جفري آرثر، مقدمتان في علوم القرآن، تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، القاهرة، مكتبة الخارجي، ص: 263 - عادل نويهض، معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية، الطبعة 1404/1هـ-1984م، ج2، ص: 493.
[4] السبكي، طبقات الشافعية، ج2، ص: 226.
[5] السيوطي، تدريب الراوي شرح تقريب النووي، تحقيق: أحمد عمر هاشم، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ط/1409هـ-1989م، ج2، ص: 143.

10- لأربع: لوجه الله تعالى طالبا لمرضاته، والعمل بما وافى كتاب الله تعالى منها، ونشرها بين طالبيها ومحبيها، والتأليف في إحياء ذكره بعد موته.

11- ثمّ لا تتم له هذه الأشياء إلا بأربع من كسب العبد وسعيه: معرفة الكتابة، واللغة، والصرف، والنحو.

12- مع أربع من عطاء الله تعالى: القدرة، والصحّة، والحرص، والحفظ، فإذا تمت له هان عليه أربع:

13- الأهل، والولد، والمال، والوطن.

14- وابتلي بأربع: شماتة الأعداء، وملامة الأصدقاء، وطعن الجهلاء، وحسد العلماء.

15- فإذا صبر عليها أكرمه الله تعالى في الدنيا بأربع: عزّ القناعة، وهيبة النّفس ولذّة العلم، وحياة الأبد.

16- وأثابه في الآخرة بأربع: بالشفاعة لمن أراد من إخوانه، وبظل العرش يوم لا ظلّ إلا ظله، وبسقي من أراد من حوض نبيّه صلى الله عليه وآله وسلّم، وبجوار النبيّين في أعلى علّيين في الجنّة.

المبحث الثالث: البخاريّ، أخلاقه وصفاته:

لقد استفاضت الأخبار التاريخية عن البخاريّ، فكلّها تجمع على علوّ منزلته، وعظمة قدره، فقد جمع من الخصال الفاضلة والخلال الزكيّة ما يعجز الناقل عن استيعابه، وقد اقتصرت في هذا المقام على بعض فضائله لعلّي أوف الإمام حقه.

فمن الخصال: تعبّده لله تعالى وإقباله عليه، فقد اشتهر بذلك على وجه الكمال[1]، وكان إذا دخل رمضان اجتمع إليه أصحابه فيصلّي بهم ويقرأ في كل ركعة عشرين آية إلى أن يختم القرآن، وكان يقرأ في السحر ما بين النّصف إلى الثلث من القرآن فيختم عند السّحر في ثلاث ليال، وكان يختم بالنهار كل يوم ختمة، ويكون ختمه عند الإفطار كل ليلة، ويقول: "عند كل

---

[1] أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، سير السلف الصالحين، تحقيق: كرم بن حلمي بن فرحات، الرياض، دار الراية، الطبعة 2/1999م، ج4، ص: 1174.

ختم دعوة مستجابة ..." [1]. وقد شغل القرآن قلبه، وبصره، وفكره، قال عنه الدارميّ: "محمّد أكيس خلق الله، إنّه عقل عن الله ما أمر به ونهى عنه في كتابه وعلى لسان نبيّه، إذا قرأ محمّد القرآن شغل قلبه، وبصره، وسمعه، وتفكّر في أمثاله، وعرف حلاله وحرامه"[2].

ولقد جمع البخاريّ بين التقوى والزهد فكان يمرّ عليه النّهار فلا يقتات إلا بلوزتين أو ثلاث، قال سليم بن مجاهد: "ما رأيت بعيني منذ ستين سنة أفقه ولا أورع ولا أزهد في الدنيا من محمد بن إسماعيل" ومن أثر قناعته بما قسم الله له، ما رواه محمد ابن أبي حاتم قال: "حمل إلى البخاريّ بضاعة أنفذها إليه ابنه أحمد، فاجتمع إليه فطلبوها بربح خمسة آلاف، فقال: إنّي نويت بيعها للذين أتوا البارحة "[3]. وكان شديد الخشية لله، وكان كثيرا ما يقول: "إني أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا"[4] هذا فيما ترجمه عن رواة السنّة صونا لها، أمّا سلوكه العامّ فقد قال: "ما اغتبت أحدا قطّ منذ علمت أن الغيبة تضرّ أهلها"[5].

ومن ثمرات خشيته لله تعالى ما قاله محمد بن منصور: "رفع إنسان قذاة من لحية أبي عبد الله فطرحها على الأرض، فرأيت محمدا ينظر إليها وإلى الناس، فلما غفل الناس مدّ يده فرفع القذاة من الأرض فأدخلها في كمّه، فلمّا خرج من المسجد أخرجها فطرحها على الأرض"[6]. وكان واسع الصدر، رحيم القلب، عظيم العفو؛ عثرت جاريته على محبرته بين يديه فقال لها: "كيف تمشين؟ قالت: إذا لم يكن طريق كيف أمشي؟ فبسط يديه وقال لها اذهبي فقد أعتقتك. فقيل له: قد أغضبتك. فقال: إن كانت أغضبتني فإني أرضيت نفسي بما فعلت ..." [7]. وكان عظيم الحياء، متواضعا لغيره خاصة العلماء، عفيفا، سخيا كريما، قال: "ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند عليّ بن المديني ..." [8]. وأعظم ما عرف به كثرة طلبه العلم، وإنفاقه المال في الترحال

---

1 البغدادي، تاريخ بغداد، ج2، ص: 12.
2 الذهبيّ، سير أعلام النبلاء، ج12، ص: 393.
3 المصدر نفسه، ص: 395.
4 أبو الفداء عماد الدين ابن كثير، البداية والنّهاية، ج11، ص: 24.
5 الذهبيّ، سير أعلام النبلاء، ج12، ص: 412.
6 البغدادي، تاريخ بغداد، ج2، ص: 13.
7 الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج12، ص: 45.
8 البغدادي، تاريخ بغداد، ج2، ص: 18.

إليه، وبذل الجهد والوقت في تحصيله، قال محمد ابن أبي حاتم: "كان محمد مخصوصا بثلاثة خصال مع ما كان فيه من الخصال المحمودة، كان قليل الكلام، وكان لا يطمع فيما عند الناس، وكان لا يشتغل بأمور النّاس كل شغله كان في العلم"[1].

وقد بلغ من العلم درجة قدّم فيها على غيره من أقرانه وشيوخه، قال حاشد بن عبد الله: "محمد بن إسماعيل أفقه عندنا، وأبصر بالحديث من أحمد بن حنبل، فقيل له: جاوزت الحدّ، فقال: لو أدركت مالكا ونظرت إلى وجهه ووجه محمّد بن إسماعيل لقلت: كلاهما واحد في الفقه والحديث"[2]. ولقد ذاع صيته، ورفعت منزلته عند العلماء في كل الآفاق، قال محمود بن النضر الشافعيّ: "دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة، فرأيت علماءها فكلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل فضّلوه على أنفسهم"[3]. وكان مع عظمة علمه مهاب الجانب، قال فتح بن نوح النيسابوري: "أتيت علي بن المديني فرأيت محمدا جالسا عن يمينه، وكان إذا حدّث التفت إليه كأنّه يهابه"[4]. بل شهد له إمام أهل السنة أحمد بن حنبل فقال: "ما أخرجت خراسان مثل محمّد بن إسماعيل"[5].

ولقد بلغ البخاريّ في علمه درجة المجتهد المطلق، فقد استوعب آيات الأحكام، وما من حديث إلا ودوّنه، بل ما من حكم اجتهادي عند الصحابة أو التابعين أو الأئمة المجتهدين إلا وكان على علم به، وجامعه الصحيح على وجه المثال دليل على ذلك[6]، وممّا يؤكّد هذا، إن النّاس كانوا غير مجمعين قبل المائة الرابعة على تقليد مذهب واحد بعينه[7].

---

[1] الذهبيّ، سير أعلام النبلاء، ج12، ص: 415.
[2] المصدر نفسه، ص: 396.
[3] البغدادي، تاريخ بغداد، ج2، ص: 19.
[4] يوسف بن الزكيّ بن الحجاج المزي، تهذيب الكمال، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة 1980/1م، ج24، ص: 453.
[5] أحمد بن عبد الله بن حيّان، كتاب بحر الدم، تحقيق: وصيّ الله محمّد بن عباس، الرياض، دار الراية، الطبعة 1989/1م، ج1، ص: 364.
[6] عبد المجيد هاشم الحسيني، الإمام البخاريّ محدثا وفقيها، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، ص: 174.
[7] الكاندهلوي، حجة الله البالغة، تحقيق: محمّد سالم هاشم، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة 1415/1هـ-1995م، ج1، ص: 150.

المبحث الرابع: البخاريّ: محنته ووفاته.

لما رجع البخاريّ إلى بخارى استقبله عامة أهلها، فنصبوا له القباب ونثروا عليه الدراهم والدنانير، فذاع صيته فأرسل إليه الأمير ليسمعه كتابه الجامع والتاريخ، فأبى وقال له: "أنا لا أذل العلم، ولا أحمله إلى أبواب الناس، فإن كان لك شيء منه حاجة فاحضر في مسجدي أو في داري، وإن لم يعجبك هذا، فأنت سلطان فامنعني من الجلوس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة"[1].

ولقد كان جواب البخاري كفيلا بإثارة الخلاف بينه وبين الأمير، إذ استعان الأمير ببعض أهل العلم فألبهم عليه، منهم: حريث ابن أبي الورقاء فنفاه عن البلد، فدعا عليهم البخاريّ فاستجيب له[2].

ولقد حسد البخاريّ جماعة من العلماء المحدّثين فلفقوا له تهمة القول ببدعة خلق القرآن، قال أحمد بن سلمة البزار: "دخلت على البخاريّ فقلت: يا أبا عبد الله إن هذا محمد بن يحيى الذهلي، رجل مقبول بخراسان، وقد لجّ في هذا الأمر حتى لا يقدّر أحد منّا أن يكلمه فيه فما ترى؟ قال: فقبض على لحيته ثمّ قال: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [3]، اللهم إنك تعلم أنّي لم أرد المقام بنيسابور أشرا ولا بطرا، ولا طلبا للرياسة، وإنما أبت عليّ نفسي الرجوع إلى الوطن لغلبة المخالفين، وقد قصدني هذا الرجل حسدا لما آتاني الله لا غير. ثم قال لي: يا أحمد إني خارج غدا لتخلصوا من حديثه لأجلي"[4]. فحذّر الذهلي الناس من البخاريّ ودعاهم إلى هجره وعدم أخذ العلم منه[5]. إلا جماعة يسيرة من تلامذته منهم مسلم بن الحجاج الذي قال فيه: "لا يعيبك إلا حاسد، وأشهد أن ليس في الدنيا مثلك"[6].

---

[1] البغدادي، تاريخ بغداد ج2، ص: 32.
[2] ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج1، ص: 39.
[3] سورة غافر، الآية: 44.
[4] جمال الدين القاسمي، الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين، تحقيق: عاصم بهجة البيطار، بيروت، دار النفائس، الطبعة 1403/1هـ-1983م، ص: 121.
[5] أبو محمد ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة 1372/1هـ-1952م، ج7، ص: 191.
[6] ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج2، ص: 135.

ورغم التقارب التام بين أحمد بن حنبل وتلميذه البخاريّ في مسألة القرآن وامتناعهما عن الخوض في اللفظ، إلا أن المحدثين من أهل نيسابور امتحنوا البخاريّ ولفقوا له تهمة لفظي بالقرآن مخلوق[1].

ولما وقعت الوحشة بين البخاريّ وبين الأمراء من جهة، وبينه وبين العلماء من جهة أخرى، خرج إلى أقاربه بقرية من سمرقند، قال عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي: "سمعته ليلة من الليالي وقد فرغ من صلاة الليل يدعو ويقول في دعائه: اللهم إنه قد ضاقت عليّ الأرض بما رحبت فاقبضني إليك. قال: فما تم الشهر حتى قبضه الله تعالى"[2]. وقال عبد الواحد بن آدم الطواويسي: "رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في النّوم ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف في موضع -ذكره-، فسلمت عليه فردّ السلام فقلت: ما وقوفك يا رسول الله؟ فقال: أنتظر محمد بن إسماعيل البخاريّ. فلما كان بعد أيام حتى بلغني موته، فنظرنا فإذا هو قد مات في الساعة التي رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيها"[3].

ولقد وافته المنية بعد عشاء السبت في الثلاثين من رمضان عام 256هـ الموافق لـ 31 أغسطس عام 870م[4]. ولقد ظهرت مبشرات عند وفاته، قال أبو حفص النسفي: "فلما قضى البخاريّ نحبه سال منه من العرق شيء لا يوصف إلى أن أدرجناه في ثيابه، وقد سطع من قبره ريح طيّبة تعجب أهل البلد من ذلك، وظهرت عليه الأنوار..."[5]، وقد مات عن اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما[6]. ودفن بقرية خرتنك[7]، وسميت بهذا الاسم يوم موته؛ لأن

---

[1] ولترباتون، أحمد بن حنبل والمحنة، ترجمة: عبد العزيز عبد الحق، مراجعة: محمود محمود، القاهرة، دار الهلال، ص: 75.

[2] البغدادي، تاريخ بغداد، ج2، ص: 33.

[3] المصدر نفسه، ج2،ص:34

[4] أحمد الشنتاوي، إبراهيم زكيّ خورشيد، عبد الحميد يونس، دائرة المعارف الإسلامية، ج3، ص: 419 – ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص: 190 – النووي، تهذيب الأسماء، ج1، ص: 86 – أبو المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغري الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: إبراهيم عليّ طرخان، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، ج3، ص: 25 – الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ، ط2 مصورة، 1948م، ج2، ص: 18.

[5] طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، تحقيق: كامل بكري، عبد الوهاب أبو النور، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ج2، ص: 134.

[6] ابن عماد الحنبلي، شذارت الذهب، ج2، ص: 135.

[7] أبو الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء، طبقات الحنابلة، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت دار المعرفة، ، ج1، ص: 278.

أهل سمرقند أطبقوا على شهود الصلاة عليه، فعزّت الحمر في الكراء، فلهذا سميت بذلك؛ لأن خر: هو الحمار بلغة الفرس، وتنك: معناه الغالي[1].

[1] طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، ج2، ص: 133.

الفصل الثاني

البخاريّ وتفسير القرآن بالقرآن



المبحث الأول: البخاري وآليات تفسير القرآن بالقرآن

المبحث الثاني: أنواع تفسير القرآن بالقرآن

المبحث الثالث: البخاري ومنهجه في التعامل مع

القراءات القرآنية

الفصل الثاني: البخاري وتفسير القرآن بالقرآن

إنّ تفسير القرآن بالقرآن من أشرف الطرق وأجلّها، ومن أولى خطوات المنهج السليم في فهم القرآن، فمن أراد تفسير القرآن طلبه ابتداء من القرآن[1]، إذ لا عالم بمعنى كلام الله تعالى منه سبحانه[2]، فكل ما أجمل في موضع فصّل في موضع آخر، وما اختصر في مقام، بسط في مقام آخر. فقصص القرآن مثلا، وردت في مقامات موجزة، وفي أخرى مفصلة؛ كقصة آدم وإبليس، وقصة موسى وفرعون[3]، وكقصة عيسى المجملة في سورة مريم المفصلة في سورة آل عمران[4]، وأول من فسر القرآن بالقرآن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. روى البخاري[5] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "لمّا نزلت: ﴿الذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾[6] قلنا يا رسول الله: أيُّنا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس كما تقولون: ﴿لَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾؛ بشرك، أولَم تستمعوا إلى قول لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيِّ لاَ تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [7]"[8].

ويقوم جهد تفسير القرآن بالقرآن على النظر الشرعي البصير، والتدبّر العقلي الدقيق، ذلك لأنّ بيان آية بأخرى عمل ضخم، وجهد عظيم "يقوم على كثير من التدبّر والتأمّل، إذ ليس حمل المجمل على المبيَّن، أو المطلق على المقيَّد، أو العامّ على الخاصّ، أو إحدى القراءتين على

---

1 عدنان زرزور، القرآن ونصوصه،دمشق مطبعة خالد بن الوليد، ط/1400هـ-1980م، ص: 363.
2 جلال الدين السيوطي، التحبير في علم التفسير، بيروت، دار الفكر، ط 1/1416هـ-1996م، ص: 128.
3 محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، ، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية ط1، 1417هـ-1996م، ج1، ص: 7.
4 فهد بن عبد الرحمن الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، الرياض، مكتبة التوبة، الطبعة 1419/4هـ- 1999م، ص: 22.
5 ولي الله أحمد الدهلوي، الفوز الكبير في أصول التفسير، بيروت، دار البشائر الإسلامية، الطبعة 1407/2هـ-1987م، ص:11.
6 سورة الأنعام، الآية: 82.
7 سورة لقمان، الآية: 13.
8 ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج6، ص: 319.

الأخرى بالأمر الهيّن الذي يدخل تحت مقدور كل إنسان، وإنّما هو أمر يعرفه أهل العلم والنظر خاصّة ..."[1].

ولقد حاز الصحابة أوسع نطاق المعرفة بقوة الفهم، وجالوا أفسح مجالات أسرار التنزيل فأحاطوا بحكم التشريع ومقاصده. روى الطبري[2] بسنده عن محمد بن كعب القرظي[3] قال: "مرّ عمر بن الخطاب[4] برجل يقرأ ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأنصَارِ وَالذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ...﴾ [5] حتى بلغ ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ قال: وأخذ عمر بيده فقال: من أقرأك هذا؟ قال: أبيّ بن كعب، فقال: لا تفارقني حتى أذهب بك إليه، فلمّا جاءه قال عمر: أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا؟ قال: نعم، قال: أنت سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: نعم، قال: كنت أظنّ أنّا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا، فقال أبيّ: بلى، تصديق هذهِ الآيةُ في أوّل سورة الجمعة: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[6]، وفي سورة الحشر ﴿وَالذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا، رَبَّنَآ إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [7]، وفي الأنفال ﴿وَالذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ ...﴾ [8]".

---

[1] حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، القاهرة، مكتبة وهبة، ط4، 1409هـ-1988م.

[2] الطبري، جامع البيان.

[3] أبو حمزة، محمد بن كعب القرظي، حليف الأوس من كبار التابعين، العالم المفسر، الفقيه المحدث، روى عنه خلق كثير، عابد ورع، مات سنة 108هـ جزم بذلك الإمامان الترمذي وأبو نعيم الأصبهاني. النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج1، ص: 105 – أبو نصر أحمد بن محمد الكلاباذي، رجال صحيح البخاري، تحقيق عبد الله الليثي، بيروت دار المعرفة، ط1، 1407هـ، ج2، ص: 675.

[4] أبو حفص عمر بن الخطاب، الخليفة الفاروق، الصحابي الشهيد، أشهر من أن يعرف، مناقبه كثيرة جليلة، استشهد سنة 23هـ. مسلم بن الحجاج القشيري، الكنى والأسماء، ج1، ص:200 – ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج1، ص: 268 – ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، سوريا، دار الرشيد، ط1، 1406هـ-1986م، ج1، ص: 412 – أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني، الآحاد والمثاني، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوارة، الرياض دار الراية، ، ط1، 1411هـ-1991م، ج1، ص: 95.

[5] سورة التوبة، الآية: 100. وكان عمر يقرأها: (وَالسَّابِقُونَ ... الذِينَ اتَّبَعُوهُمْ ...) دون ذكر الواو.
أحمد مختار عمر، عبد العال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية، الكويت، مطبوعات جامعة الكويت، الطبعة 1402/1هـ-1983م، ج3، ص: 38.

[6] سورة الجمعة، الآية : 03.

[7] سورة الحشر، الآية: 10.

[8] سورة الأنفال، الآية: 75.

ولقد وظّف البخاريّ نظره الثاقب في تعامله مع تفسير القرآن، فتعددت آلياته الاجتهادية، وجاءت مجتمعة مرتبة مع نماذجها التطبيقية:

المبحث الأول: البخاري وآليات تفسير القرآن بالقرآن

المطلب الأول: التفسير من خلال السياق القرآني

لقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم محكم المعاني منتظم المباني[1]، قال الله تعالى: ﴿الرَ كِتَابٌ أُحْكِمَتَ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [2] وجعل فهمه متوقفا على فقه أجزائه، ذلك لأن من دلائل الرّسوخ في الشريعة الإسلامية التدبّر الحسن للنصّ القرآنيّ، فهو مربط السّداد والاستقامة، والعاصم من الغلو والانحراف، ولا يحصل حسن الفهم عن الله ورسوله بالتوقيع عنهما إلا بعد مراعاة جملة المعنى العامّ[3]، ومقصود القرآن من التنزيل والتنبّه لحق الله تعالى في تقديس ذاته وتنزيه صفاته[4]، مع وجوب اعتبار ما سيق له الكلام من الدلالات، وإن خالف أصل الوضع اللغويّ[5].

قال مسلم بن يسار[6] رحمه الله: "إذا حدثت عن الله حديثا، فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده"[7]. فمن أهمل قرينة السياق القرآني في العلم بمقصود الكلام أو هجره في اجتهاده فقد غلط

---

1 الشاطبي، الموافقات، تحقيق عبد الله دراز، بيروت، دار مكتبة الحياة، ج3، ص: 310.

2 سورة هود، الآية: 01.

3 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد النجدي، الرياض، دار علم الكتب، طبعة/1412هـ- 1991م، ج15، ص: 94 – محمد عبده، مشكلات القرآن الكريم وتفسير سورة الفاتحة، بيروت، دار مكتبة الحياة، طبعة/1969م، ص: 31.

4 خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، بيروت، دار النفائس، الطبعة 2/ 1406هـ-1986م، ص: 149.

5 الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار الفكر، الطبعة 1400/3هـ-1980م، ج1، ص: 317.

6 أبو عبد الله مسلم يسار بن مولى بني أمية القرشي، تابعي جليل، وعالم محدث، روى عنه بن سيرين وأبو قلابة، مات سنة 101هـ، وقيل قتل مع محمد بن الأشعث. محمد بن عبد الله بن زبر الربعي، مولد العلماء ووفياتهم، تحقيق: عبد الله أحمد سليمان الحمد، الرياض دار العاصمة، ، ط1، 1410هـ، ج1، ص: 240 – البخاري، التاريخ الكبير، ج7، ص: 270 – مسلم القشيري، الكنى والأسماء، ج1، ص:471.

7 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص: 17.

وغالط[1]، إذ يكفي من دلالة السياق إرشادها إلى بيان إجمال، أو تعيين احتمال، أو تخصيص عامّ، أو تقييد إطلاق...[2].

سأل يعقوبُ بن عبد الرحمن الزهري صالحَ بن كيسان[3] عن قولهتعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ... سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [4] فقال: "يراد بها الكافر. ثمّ قال: اقرأ ما بعدها يدلّك على ذلك"[5].

ولقد استعمل البخاريّ آلية السّياق القرآني، فحقق بها جملة من الفوائد العلمية المختلفة:

1- ترجيح أحد المعنيين المتضادين للفظ المشترك[6]:

قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ [7]، قال البخاري: أدبر[8]. فلفظ عسعس مشترك بين معنيين متضادين؛ أحدهما: الإقبال، والآخر: الإدبار. والخطاب القرآني إذا احتمل دلالتين وكان حمله على إحداهما أظهر ومتعين وأشدّ موافقة ومواطأة للسياق، كان الحمل عليها أولى وأرجح[9]، وعلى هذا قدّم البخاريّ دلالة الإدبار للقرينة اللفظية اللاحقة وهي قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [10] فإقبال الفجر وظهوره يستلزم ذهاب الليل وخفاءَه، وهذا موافق لدلالة الأسلوب من قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ وَالصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾ [11]، وترجيح البخاريّ هو قول

---

1 الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص: 200.
2 خالد بن عثمان السبت، مختصر في قواعد التفسير، الخبر السعودية، دار ابن عفان، الطبعة 1417/1هـ-1996م، ص: 21.
3 أبو محمد صالح بن كيسان المدني، مولى الأنصار، المحدث الحافظ، والإمام الفقيه، روى عن ابن عمر وابن الزبير، وروى عنه عمرو بن دينار والزهري، وخرج له أصحاب الصحاح . أبو يعلى الخليل بن عبد الله بن احمد الخليلي القزويني، الإرشاد في معرفة علماء الحديث، ج1، ص: 296 – ابن سعد، الطبقات، ج1، ص: 238 – السيوطي، طبقات الحفاظ، ج1،ص:70.
4 سورة ق، الآية: 19-21.
5 الطبري، جامع البيان، ج21، ص: 209.
6 والمشترك إذا تجرد عن قرائن التعيين أو التعميم كان مجملا. ينظر: عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي، نشر البنود على مراقي ابن السعود، ، بيروت دار الكتب العلمية ، ط1، 1409هـ-1988م، ج1، ص: 119.
7 سورة التكوير، الآية: 17.
8 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 693.
9 العزّ بن عبد السلام، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، القاهرة، دار الحديث، ص: 220.
10 سورة التكوير، الآية: 18.
11 سورة المدثر، الآية: 33-34.

أكثر العلماء[1]، ويشهد له سنة التعاقب بين الليل والنهار في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَآ آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّنْ رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ [2].

2- ترجيح دلالة التأسيس على التأكيد[3]:

إن الأصل عند وضع اللفظ، تأسيس فهم وتحقيق دلالة محدّدة يجهلها المخاطَب، وعلى هذا فالتأسيس أصل الوضع، والتّأكيد تبع له[4]، ولقد استطاع البخاريّ أن يوظّف قرائن السّياق ليؤسس دلالات أبرزت حقائق إيمانية لأصول العقيدة الإسلامية.

أ- تصوير مشهد أهل النعيم في الجنة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَكِهُونَ﴾[5]. قال البخاري: معجبون[6].

فقدم البخاريّ القراءة القرآنية "فَكِهُونَ"[7] على غيرها ليؤسس معنى الإعجاب عند التنعّم، وهذه دلالة إضافية إذ لا معنى للتأكيد؛ لأن قرينة السياق اللاحق يذكر التنعم، قال تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَآئِكِ مُتَّكِئُونَ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ سَلَامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [8]، فسياق القرينة يقتضي إدخال المعنى -الذي أصّلته القراءة وأسّسته- في فهم دلالة

---

[1] ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، بيروت، دار الفكر، ص: 75.

[2] سورة الإسراء، الآية: 12.

[3] الشنقيطي، أضواء البيان، ج6، ص: 166 – زين الدين بن إبراهيم بن نجيم، الأشباه والنظائر، الرياض مكتبة نزار مصطفى الباز، ، ط1، 1418هـ-1996م، ج1، ص:147.

[4] الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة 1402/2هـ، ج3، ص: 23.

[5] سورة يس، الآية: 55.

[6] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 540.

[7] سورة يس، الآية: 55. ولقد قرأ بقراءة فكهون -ابن مسعود ومجاهد والحسن وأبو عبد الرحمن السلمي وقتادة والنخعي وشيبة الأعرج وأبو جعفر وأبو حيوة وأبو المتوكل وأبو الجوزاء-. عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تفسير القرآن، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، الرياض، مكتبة الرشيد، ط1، 1410هـ، ج3، ص: 145 – أبو جعفر النحاس، معاني القرآن الكريم، تحقيق: محمد علي الصابوني، ، مكة المكرمة، جامعة أم القرى ، ط1، 1409هـ، ج5، ص: 507 – أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد الحليم البردوني، القاهرة، دار الشعب، ط2، 1372هـ، ج10، ص: 44 – أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، معالم التنزيل، تحقيق: خالد العك، كروان سوار، بيروت دار المعرفة، ، ط2، 1407هـ-1987م، ج4، ص: 16 – ابن الجوزي، زاد المسير، ج7، ص:28.

[8] سورة يس، الآية: 56-58.

النص في إطار سوابقه ولواحقه دون اقتطاعه عن سياقاته الموضعية والموضوعية اكتفاء بدلالة التأكيد والتقرير[1]. والله أعلم.

ب- تصوير عظمة القدرة الإلهية في إحداث البعث:

قال البخاريّ[2]: باب ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ...﴾[3] ﴿فَصُرْهُنَّ﴾: قطّعهنّ. فقدم البخاريّ قراءة حمزة[4] -بكسر الصاد- ليؤسس دلالة القطع الذي ترجحه قرينة السياق القرآني بقوله: ﴿ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً ﴾[5]. فحقيقة القدرة الرّبانية لا تظهر عظمة صورتها في إحياء الموتى وبعثهم إلا بإضافة دلالة القطع المؤسسة إلى معنى الذبح، كما أن توزيع الأجزاء على مختلف الأماكن يرجّح استلزاما دلالة القطع ويحقق أصالة معنى الزيادة في اليقين والطمأنينة[6] المطلوبة من إبراهيم عليه الصلاة والسلام. والله أعلم.

المطلب الثاني: التفسير من خلال الأسلوب القرآني

إن إدراك مقاصد الخطاب الإلهي، وأسرار التنزيل الرّباني لا تتحقق إلا لمن أحاط بمذاهب الكلام عند العرب وما خصت به من وجوه المخاطبات وجودة الأساليب[7]، والجهل بهذا الباب من أبواب الشر ينفتح خطره الجسيم على تحريف معاني القرآن ودلالاته[8]، ولقد

---

[1] وقوله تعالى: "هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون ..." -بعد قراءة فكهون للمبالغة- "استئناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلها بما يزيدهم بهجة وسرورا". أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ، بيروت، دار إحياء التراث العربي ، ج7، ص: 173.

[2] ابن حجر، الفتح، ج1، ص: 201.

[3] سورة البقرة، الآية: 260.

[4] أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي، أحد القراء السبعة، قرأ على جمع كثير منهم الأعمش ويحي بن وثاب، عارف بالقرآن، حافظ للحديث، تقي ورع، عالم بالفرائض، مات بحلوان سنة 156هـ. أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد التميمي، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1400هـ، ج1، ص: 71 - أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم، الفهرست، بيروت، دار المعرفة، ط1398هـ-1978م، ج1، ص: 44.

[5] سورة البقرة، الآية: 260.

[6] الشاطبي، الموافقات، ج3، ص: 265.

[7] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: أحمد صقر، بيروت، المكتبة العلمية، الطبعة 1401/3هـ-1981م، ص:12.

[8] ابن ناقيا البغدادي، الجمان في تشبيهات القرآن، تحقيق: مصطفى الصاوي الجويني، الإسكندرية، مطبعة المعارف، ص: 36.

استعان البخاريّ ببعض الأساليب القرآنية لبيان بعض الدلالات المتعددة، ومن بين هذه الأساليب:

1- أسلوب الالتفات:

والالتفات نقل سياق الخطاب من وجه إلى آخر، والانتقال به بين صور التكلم والخطاب والغيبة[1]. ولقد استعان البخاريّ[2] بهذا الأسلوب ليوجّه دلالة اللفظ القرآني، فقد فسّر قوله تعالى: ﴿ألر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [3] قال: يعني هذه أعلام القرآن. فبيّن أن الخطاب ورد بصيغة الغيبة، لكنّه في صورة المخاطب. ثمّ استدل بالتطابق بقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾[4] وقال: المعنى بكم. وفي هذه الصورة جاء الالتفات من صيغة الخطاب إلى الغيبة[5].

2- أسلوب التفخيم والتعظيم[6]:

ويظهر التفخيم والتعظيم من خلال عطف الخاصّ على العام أو العكس، إذ العطف يشعر بالأفضلية[7]، وينبّه على العظمة والأهمية، مما يجعل الخاص الذي هو فرد من أفراد العامّ ينزل

---

[1] علوي بن السيد عباس المالكي، فيض الخبير وخلاصة التقرير على نهج التيسير شرح منظومة التفسير، بيروت، دار الفكر، الطبعة 1391/3هـ-1978م، ص: 111.

[2] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 345.

[3] سورة يونس، الآية: 01

[4] سورة يونس، الآية: 22.

[5] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص: 289.

[6] ابن قيم الجوزية، جلاء الأفهام، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة 1417/1هـ-1987م، ص: 126. قال أبو هلال العسكري: "ومعلوم أن من حق المعطوف أن يتناول غير المعطوف عليه ليصح عطف ما عطف عليه، إلا إذا علم أن الثاني ذكر تفخيما وأفرد عمّا قبله تعظيما ...". الفروق في اللغة، بيروت، دار الآفاق الجديدة، الطبعة 1411/7هـ-1991م، ص: 14.

[7] السيوطي، التوشيح على الجامع الصحيح، تحقيق: علاء إبراهيم الأزهري، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة 1420/1هـ-2000م، ج4، ص: 152. ولقد حمل السيوطي حرف الواو الواقع بين العام والخاص أو العكس، على معنى التفضيل والشأن، ومثّل له بقوله تعالى: "ولقد ءاتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم" سورة الحجر، الآية: 87.

منزلة الاستقلال تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات[1]. قال البخاريّ[2]:﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَّنَخْلٌ وَّرُمَّانٌ﴾ [3]، قال بعضهم: ليس الرمّان والنّخل بالفاكهة، وأما العرب فتعدها فاكهة كقوله عزّ وجلّ: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [4] فأمرهم بالمحافظة على الصلوات، ثمّ أعاد العصر تشديدا لها كما أعيد النخل والرّمان. ومثلها: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ﴾ [5] وقد ذكرهم في أول قوله: ﴿ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ﴾، وبهذا الأسلوب تظهر عظمة الإعجاز القرآني في الخطاب بمختلف صور البلاغة. والله أعلم.

المطلب الثالث: التفسير من خلال الدلالة الوضعية

1- التفسير بدلالة التضمن:

وممّا يلاحظ على البخاري في هذه الآلية أنه يلجأ إلى تفسير اللفظ بذكر بعض أنواعه على سبيل التمثيل لا المطابقة المحددّة للمسمّى[6]، مثاله قوله[7]: باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[8] وقوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [9]، فقد ذكر البخاري مسمّى التّقوى العامّ ثمّ، فسّره بأحد أنواعه وهو صلة الرّحم، وقد استعان بالقراءة القرآنية[10] -نصب الأرحام على تقوى الله- على بيان المثال التفسيري. والله أعلم.

---

[1] خالد بن عثمان السبت، مختصر في قواعد التفسير، ص: 13.
[2] ابن حجر، الفتح، ج1، ص: 630.
[3] سورة الرحمن، الآية: 68.
[4] سورة البقرة، الآية: 238.
[5] سورة الحجّ، الآية: 18.
[6] ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ص: 22.
[7] ابن حجر، الفتح، ج6، ص: 525.
[8] سورة الحجرات، الآية: 13.
[9] سورة النساء، الآية: 01.
[10] اتفق القراء على نصب "والارحام" إلا حمزة، فإنه خفض الميم نسقا على الهاء في "به"، ونصب الأرحام معطوف على اسم الله؛ أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها. أبو البقاء محب الدين عبد الله العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت، دار إحياء التراث العربي ج1، ص 165 – ابو منصور الأزهري، معاني القراءات، ص: 118.

2- التفسير بدلالة اللازم:

وفي هذه الآلية تتّضح قوّة التّأمل، ودقة الرّبط بين دلالة اللفظ القرآني الخفيّة وبين لازم معنى اللفظ[1]، مثال ذلك[2] تفسيره قوله تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ ...﴾ [3]، قال: سنحفظ؛ فـ(تفسير الكتابة بالحفظ تفسير باللازم) [4]، وفسّر كذلك قوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ... ﴾ [5]، قال: لبس؛ (فالذي فيه لبس يستلزم العوج في المعنى)[6].

ولقد أظهر البخاريّ باجتهاده المتقن في الربط بين النّصوص القرآنية مكانة استنباطية، فقد دقق في اقتناص الدلالة من خلال توظيفه العلاقة التلازمية بين الآيات القرآنية، قال[7]: باب ذكر الجنّ وثوابهم وعقابهم. فاستنبط تكليف الجنّ وحسابهم من خلال إثباته التلازم بين بعثة الرّسل لهم، وبين الإخبار بالحساب يوم القيامة عن عملهم، فنقل قوله تعالى: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [8] لتأكيد التكليف، ثمّ نقل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [9] لإثبات الحساب يوم القيامة، ثمّ ذكر لازم الآيتين وهو ما بوّب له. والله أعلم.

---

[1] ابن قدامة المقدسي، روضة الناظر وجنّة المناظر، حسين داي الجزائر، مطبعة السلفية، الطبعة 1/1991م، ص: 14 – محمد مصطفى شلبي، أصول الفقه الإسلامي، بيروت، دار النهضة العربية، ط/1406هـ-1986م، ص: 53. وقد عرّف الجرجاني دلالة الالتزام فقال: "هي استعمال اللفظ خارج ما وضع له لوجود لزوم عقلي أو عرفيّ بيّن المعنى الموضوع لذلك الخارج". التعريفات، ص: 140 – علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط3/1417هـ-1996م، ص: 140.

[2] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 207.

[3] سورة آل عمران، الآية: 181.

[4] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 208.

[5] سورة الزمر، الآية: 28.

[6] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 528.

[7] المصدر نفسه، ج6، ص: 343.

[8] سورة الأنعام، الآية: 130-132.

[9] سورة الصافات، الآية: 158.

3- التفسير بدلالة النظائر والأشباه:

أ- النظائر القرآنية:

ونقصد به التناظر بين الآيتين، سواء أتامّة في المعنى والمبنى، أو في المعنى فقط[1].

***- التناظر في المعنى والمبنى:**

وفي هذه الصورة تظهر المطابقة التّامة في الدلالة واللفظ، مثاله[2]: ما فسّر به قوله تعالى: ﴿وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَّشَآءُ وَيَقْدِرُ ... ﴾[3]، قال: يوسّع عليه ويضيّق عليه، ثمّ استدلّ بنظيرتها: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَّشَآءُ وَيَقْدِرُ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُومِنُونَ ... ﴾[4].

***- التناظر في المعنى دون المبنى:**

وفي هذه الصورة تظهر المطابقة بين دلالة النّصين دون لفظهما، وقد أورد البخاريّ هذه الصورة في مظهرين:

1- الألفاظ المفردة: والعلم بدلالات الألفاظ واستعمالها من أهمّ مسالك التفسير، فهو من أوّل ما يحتاج إليه المفسّر عند إرادة تحقيق معاني القرآن[5]، والملاحظ على البخاريّ أنّه لا يفسّر لفظا بآخر إلاّ إذا اتّحدا في الموضوع، مثاله[6]: تفسيره قوله تعالى: ﴿انبَجَسَتْ﴾[7] بقوله

---

[1] ابن الجوزي، منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ص: 14 – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1ن ص: 102 – السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، بيروت، المكتبة الثقافية، ط/1973م، ج1، ص: 141.

[2] ابن حجر، الفتح، ج6، ص: 448.

[3] سورة القصص، الآية: 76.

[4] سورة الرّوم، الآية: 37. ومعنى قوله: "وَيْكَأَنَّ" ألم تر على دلالة ألم تعلم، على قول قتادة. الطبري، جامع آي القرآن، ج20، ص: 77. ويشهد لقول قتادة قوله تعالى: "أولم يعلموا أنّ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون" سورة الزمر، الآية: 52. وذكر الله لفظ "أولم يروا" في سورة الرّوم؛ لأنّ بسط الرّزق ونشره ممّا يشاهد، فناسب ذكر الرؤية، أمّا قوله: "أولم يعلموا " في سورة الزّمر فقد سبقه ذكر العلم "... أوتيته على علم ..." فناسب ذلك ذكر العلم. أبو زكرياء الأنصاري، فتح الرّحمن بكشف ما يلتبس من القرآن، تحقيق محمد عليّ الصابوني، الجزائر، مطبعة الرحاب، الطبعة 2/1408هـ1988م، ص: 444.

[5] الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص: 08.

[6] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 297. وكذلك قوله تعالى: "وإذا النجوم انكدرت" فقد فسر لفظ انكدرت بقوله تعالى: "انتثرت" وبما أن موضوع الآيتين واحد وهو أحوال القيامة فمعنى النجم الكوكب، والجامع بينهماهو معنى الظهور. ينظر: الحسين بن محمد الدامغاني، إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، ، بيروت دار العلم للملايين ، ط1، 1970م، ص: 449.

[7] سورة الأعراف، الآية: 162.

تعالى: ﴿ انفجَرَتْ﴾[1]. فالجامع بين اللفظين اتحاد القصّة، وقد يكون الجامع وحدة الموضوع كأحوال القيامة، مثاله[2] تفسيره قوله تعالى: ﴿انفطَرَتْ﴾[3] بقوله تعالى: ﴿انشقَّتْ﴾[4].

2- الآيات القرآنية: وفي هذا المظهر يفسّر البخاريّ أية بأخرى مراعيا مقصود النّصّ وجملة المعنى العامّ، مع التنبيه على المناسبة الجامعة بين التركيبين، مثاله[5] تفسير قوله تعالى: ﴿أزلفَتِ الآزِفَةُ﴾ [6] بقوله تعالى: ﴿اقتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [7]، ولقد أجمع المفسرون على أن أزفت: اقتربت ودنت[8].

ويظهر على منهج البخاري في باب النظائر، أنّه يعمد إلى تفسير أسلوب قرآني بنظيره، مثاله[9]: تفسير قوله تعالى: ﴿... مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ...﴾[10] فاستدلّ بتفسير ابن عيينة: إنّ مع العسر يسرا آخر. وقد اعتمد على قاعدة في أسلوب الخطاب وهي: النّكرة إذا أعيدت نكرة كانت غير الأولى، ثمّ أكّد البخاريّ هذا الأسلوب القرآني بنظيره ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ [11]، وجامع التناظر بين أسلوب الآيتين أنّه كما ثبت للمؤمنين تعدّد الحسنى، كذلك ثبت لهم تعدّد اليسر[12].

---

[1] سورة البقرة، الآية: 60.
[2] ابن حجر، الفتح، ج 8 ص 695 .
[3] سورة الانفطار، الآية: 01.
[4] سورة الإنشقاق، الآية: 01.
[5] ابن حجر، الفتح، ج 8 ص604 .
[6] سورة النّجم، الآية: 57.
[7] سورة القمر، الآية: 01.
[8] ابن حجر، الفتح، ج12، ص: 389.
[9] المصدر نفسه، ج8، ص: 711.
[10] سورة الشرح، الآية: 05-06
[11] سورة التوبة، الآية: 52.
[12] زكريا الأنصاري، فتح الرّحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، ص: 616.

ب- الأشباه القرآنية[1]:

ونقصد بالأشباه ذلك الاشتراك الواقع بين النّصين في أغلب متناولات الدّلالة، فيقع التصديق بين الآيتين في إظهار الحقّ والإعجاز والبشارة والنذارة[2]، مثاله[3]: ما ذكره: باب:﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ ...﴾[4] ففسّرها بالحلال والحرام معتمدا على قول مجاهد، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[5] قال: يصدّق بعضها بعضا، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ ...﴾[6]، وكقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ...﴾[7]، وكقوله: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ...﴾[8]، فوقعت المشابهة بين الآيات القرآنية في حصر المسبب على السبب، واللازم على الملزوم، فالرجس هو الضلال، ولا يقعان إلا إذا عطل العقل باقتراف أعمال الفسق والعصيان.

المبحث الثاني: أنواع تفسير القرآن بالقرآن

المطلب الأول: التفسير ببيان المجمل

والمجمل اللفظ المحتمل للمعاني المتعددة دون ترجّح لواحد منها على الآخر[9]، ويشترط أن يرد البيان بلفظ غير ملتبس ولا مشتبه[10]. ولقد وظّف البخاري جملة من المسالك البيانية

---

1 قال ابن منظور: "الأشباه جمع مفرده: يشبه وشبه وشبيه؛ وهو المثل" لسان العرب، بيروت، دار صادر، الطبعة 1374/1هـ-1955م، ج13، ص: 503 - وقال السيوطي: "والمشابهة لا تستلزم المماثلة، فلا يلزم أن يكون شبه الشيء مماثلا له ... والمشابهة تقتضي الاشتراك في أكثر الوجوه لا كلّها ..." الحاوي للفتاوي، بيروت، دار الجيل، الطبعة 1412/1هـ-1992م، ج2، ص: 273 - أبو بكر تقي الدين بن محمد الحصني، كتاب القواعد، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله الشعلاني، الرياض مكتبة الرشيد، ، ج1، ص: 27.

2 السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص: 02 - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص: 70.

3 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 209.

4 سورة آل عمران، الآية: 07.

5 السورة نفسها، والآية نفسها.

6 سورة البقرة، الآية: 26.

7 سورة يونس، الآية: 100..

8 سورة محمّد، الآية: 17.

9 سعد الدين التفتازاني، شرح التلويح على التوضيح، تحقيق: زكرياء عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة 1416/1هـ-1996م، ج1، ص: 237 - محمّد أبو زهرة، أصول الفقه، بيروت، دار الفكر العربي، ص: 131 - صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة 1983/14، ص: 308.

10 أبو الوفاء ابن عقيل، الواضح في أصول الفقه، تحقيق: جورج المقدسي، بيروت، الشركة المتحدة للتوزيع، الطبعة 1417/1هـ-1996م، ص: 102.

معتمدا الدقة في إبراز الدلالة الراجحة من مجموع معاني اللّفظ المجمل، ويمكن جمع هذه المسالك فيما يلي:

1- بيان اللفظ المجمل بلفظ أشهر منه عند المخاطب:

وفي هذا المسلك يجتهد البخاريّ في بيان اللّفظ بإخراج دلالته إلى الوضوح التّامّ من خلال الإشارة إلى مرادفه المشهور عند المخاطب. مثال ذلك[1]: ما نقله عن مجاهد حينما فسّر قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا﴾ [2] فقال: زلزلت، فلفظ الزلزلة أشهر عند المخاطب، وشاهده قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [3].

وكذلك فسّر[4] قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ... ﴾ [5]، فنقل عن ابن عيينة[6]: سبع طرائق أنّها سبع سموات، وشاهد هذا البيان والتوضيح قوله تعالى من نفس السورة: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ... ﴾ [7].

2- بيان الإجمال بسبب الإبهام:

إذا ورد اللفظ مبهما اجتهد البخاري في رفع إجماله بالبيان، مثاله[8]: قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ ... ﴾ [9] فلفظ كلمات اسم جنس مجموع مبهم، بيّنه بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا

---

[1] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 625.
[2] سورة الواقعة، الآية: 04
[3] سورة الزلزلة، الآية: 01
[4] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 444.
[5] سورة المؤمنون، الآية: 17.
[6] أبو محمد، سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، محدث مكة، العالم التقي، والمفسر الورع، ولد سنة 107هـ، ومات سنة 198هـ. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج2، ص: 231 – الداودي، طبقات المفسرين، ج1، ص: 190.
[7] سورة المؤمنون، الآية: 76.
[8] ابن حجر، الفتح، ج6، ص: 361.
[9] سورة البقرة، الآية: 37.

4- بيان الإجمال بترجيح المعنى الشرعي على المعنى اللّغوي:

إنّ من المعلوم شرعا أن القرآن نزل لبيان أحكام الشرع لا لبيان اللّغة، وعلى هذا "فالأصل في تفسير المجمل هو المعنى الذي حدّده المشرّع لا المعنى اللّغوي"[1]، فإذا ورد لفظ له معنى لغوي معيّن قد أعطاه الشرع مفهوما شرعيا خاصا، حمل عليه دون المعنى اللّغوي الأصليّ[2]. فلفظ الزكاة مثلا يطلق في اللّغة على معنى النّماء والطّهارة، أمّا في الشرع فإنه يدل على معاني محدّدة منها الإخلاص والتّوحيد. ولقد فسّر البخاري[3] لفظ الزكاة من قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنَ امْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ... ﴾ [4] بالطاعة والإخلاص، واستدلّ بنظير المعنى الشرعيّ بقوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لاَ يُؤتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [5] قال: لا يشهدون أن لا إله إلا الله. وتفسير البخاريّ للفظ الزكاة في الآية الأولى بالإخلاص؛ أي التوحيد صحيح لاعتبارات ثلاثة:

1- الاستدلال بالنّظير القرآني للمعنى الشرعي.

2- إعمال قاعدة ترجيح المعنى الشرعي على اللّغوي.

3- حمل الكلام على التأسيس والإفادة، دون التأكيد والإعادة[6]، إذ تفسير لفظ الزّكاة في الآية الأولى بالطّهارة هو إعادة للمعنى السابق وتأكيد له، وهو قوله: ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾، فتقديم أصل التأسيس أولى من التأكيد. والله أعلم.

---

[1] محمد فتحي الدّريني، المناهج الأصولية، ص: 111.

[2] لقد أحدثت اصطلاحات القرآن الشرعية حركة ابتعاثية قوية عند العرب في معارفهم وبيئتهم، قال ابن فارس: "كان العرب في جاهليّتهم على إرث آباءهم في لغاتهم وآدابهم ونسائهم ... فلمّا جاء الله بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللّغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت، فعفى الآخر الأول ...". ابن فارس الصاحبي،

[3] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 316.

[4] سورة التوبة، الآية: 103.

[5] سورة فصّلت، الآية: 07

[6] علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ص: 71.

المطلب الثاني: التفسير بحمل العام على الخاص[1]

وفي هذا المسلك يعمد البخاري إلى آية ظاهرها العموم، فيحملها على معنى آية أخرى مخصّصة، مثاله[2]: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيمَا فَعَلْنَ فِي- أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[3]، فالآية تدل بعمومها على أن كلّ متوفى عنها زوجها فعدّتها أربعة أشهر وعشرة أيّام، لكنّ البخاريّ "بيّن أنّ محلّ ذلك ما لم تكن حاملا، فإن كانت حاملا فعدّتها وضع حملها"[4] لقوله تعالى: ﴿ وَأُوْلاَتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَّضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[5]، فصرف العموم عن عمومه وخرجت منه الحوامل[6].

ولقد أكّد البخاري التخصيص بقول ابن مسعود رضي الله عنه: "أتجعلون عليها التغليظ ولا تجعلون عليها الرّخصة؟ لنزلت سورة النّساء الصّغرى بعد الطولى"[7]؛ "ومراد ابن مسعود أنّها مخصّصة لها؛ لأنّها أخرجت منها بعض متناولاتها..."[8]، ويشهد لهذا التخصيص حديث سبيعة الأسلمية[9] رضي الله عنها[10].

---

[1] والعام هو: اللفظ الشامل لجميع أفراده مستغرقا لهم بالوضع دفعة واحدة دون حصر أو قيد. الشوكاني، إرشاد الفحول، بيروت، دار المعرفة، ص: 99.

[2] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 193.

[3] سورة البقرة، الآية: 234.

[4] الشنقيطي، أضواء البيان، ج1، ص: 171.

[5] سورة الطلاق، الآية: 04

[6] محمّد أديب صالح، تفسير النّصوص، بيروت، المكتب الإسلامي، ط3، 1404هـ 1984م، ج2، ص: 94.

[7] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 193.

[8] المصدر نفسه، ج9، ص: 469.

[9] سبيعة بنت الحارث الأسلمية زوجة سعد بن خولة، روى عنها عبد الله بن عمر وجمع من التابعين منهم مسروق ابن الأجدع وعمر بن عبد الله بن الأرقم، وخرج لها الشيخان. يوسف بن عبد الله بن عبد البر، الاستيعاب، تحقيق: محمد علي البجاوي، بيروت دار الجيل، ، ط1، 1412هـ، 1992م، ج4، ص: 1859 – أبو الحجاج يوسف بن الزكي المزي، تهذيب الكمال، ج35، ص: 193 – ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج1، ص: 748.

[10] شهاب الدين القسطلانيّ، إرشاد الساري شرح صحيح البخاريّ، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ج7، ص: 392. وقد أخذ بعض الصحابة بأبعد الأجلين كعليّ وابن عبّاس، ولقد جعل السندي ذلك عملا بالأحوط. أنظر: سنن النّسائيّ بشرح السيوطي وحاشية السندي، القاهرة، دار الحديث، ط/1407هـ-1987م، ج6، ص: 191.

المطلب الثالث: التفسير بحمل المطلق على المقيّد[1]

وفي هذا المسلك يورد البخاريّ الآية المطلقة -وقد يلجأ إلى بيان الإطلاق بدليل- ثمّ يذكر ما يقيّدها، مثال ذلك[2]: ما استدلّ به على حلّيّة طعام أهل الكتاب بقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُومِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ- إِذَآ آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي- أَخْدَانٍ وَمَنْ يَّكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [3]، فلفظ الطّعام يدلّ على شيوع جنسه دون قيْد، إلاّ أنّ البخاريّ حمل لفظ الطعام على غير دلالة الذبائح: "إذ لا يجوز أن يكون المراد به -لفظ الطعام- طعامهم، إذ لا شبهة على أحد في حلّ سائر طعامهم ..."[4]، ثمّ نقل البخاريّ الدّليل المقيّد لمطلق طعام الذبائح، وهو قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَاكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ...﴾[5]، ثم نقل قول الإمام الزهري[6]: "لا بأس بذبيحة نصارى العرب، وإن سمعته يسمي لغير الله فلا تأكل"، فكل ما أهل لغير الله تعالى فهو فسق يؤكده قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَّطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾ [7].

---

[1] وقد عرّف الأصوليّون المطلق بـــ: اللفظ الدّال على فرد شائع في جنسه دون قيد. أنظر: علي بن عباس البعلي الحنبلي، القواعد والفوائد الأصولية، تحقيق: محمد حامد الفقي، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ط/1375هـــ-1956م، ص: 280.

[2] ابن حجر، الفتح، ج9، ص: 223-236.

[3] سورة المائدة، الآية: 05.

[4] الكيا الهراسي، أحكام القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة 1405/2هـــ-1985م، ج3، ص: 28.

[5] سورة الأنعام، الآية: 121.

[6] ابن حجر، الفتح، ج9، ص: 636.

[7] سورة الأنعام، الآية: 145.

المبحث الثالث: البخاري ومنهجه في التعامل مع القراءات القرآنية

المطلب الأول: منهج البخاري في عرض القراءات القرآنية:

القراءات القرآنية علم ينقل لغة القرآن وإعرابه الثابت بالسماع المتصل[1]، والقراءة المعتبرة شرعا؛ هي التي استوفت شروطها من صحة السند، وموافقة العربية ولو بوجه، وموافقة الرسم العثماني ولو احتمالا[2]، وبهذا فهي وحي ثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم[3]، قال علي بن قطرب: "القراءة سنة متبعة، لا تقرأ إلا أثر عن العلماء، ولا تقرأ بما يجوز في العربية دون الأثر"[4]. وقال مالك: "إنما ألف القرآن على ما كانوا سمعوا من قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم"[5].

ويعتبر علم القراءات من أوثق العلوم اتصالا بعلم التفسير، إذ به يحصل بيان الدلالات القرآنية، وتفصل الأحكام الشرعية، وتزال الإشكالات المتعددة في فهم النصوص، ومن خلال دراستي للجامع الصحيح، لاحظت الاهتمام الواضح من البخاري بالقراءات، فقد برع في عرضها، وأتقن الاستشهاد بها، فحقق أعظم المقاصد العلمية والشرعية.

ومن خلال الاستقراء، وجدت منهج البخاري في عرضه القراءات يتلخص في النقاط التالية:

1- كل قراءة صح سندها وإن لم تثبت قرآنيتها صلح الاستشهاد بها. وبهذا فقد جمع البخاري في تفسيره مختلف أنواع القراءات القرآنية المتواترة منها والشاذة، مثال ما نقله من

---

1 الحكيم بن الاكفاني، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم، تحقيق: عبد المنعم محمد عمر، القاهرة، دار الفكر، ص: 154.

2 ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ص: 18. وذهب إلى هذا المهدوي ومكي والجعبري وابن جبارة وابن خلف. أنظر: أبو العباس أحمد بن عمر الحموي، القواعد والإشارات في أصول القراءات، تحقيق عبد الكريم محمد الحسن بكار، دمشق، دار القلم ، ط1، 1406هـ، ص: 31.

3 محمد حبيب الله الأعظمي، إيقاظ الأعلام بوجوب إتباع رسم المصحف الإمام، بيروت، دار الرائد العربي، ط2، 1972م، ص: 23.

4 أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ص: 360.

5 أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، القاهرة، مكتبة الكليات الازهرية، ص: 18.

القراءة المتواترة[1]: "وقرأ الأعمش وعاصم: ﴿فَعَدَلَكَ﴾ بالتخفيف، وقرأه أهل الحجاز بالتشديد ..."، وكذلك قوله[2]: "والظنين؛ المتهم، والضنين؛ يضن به"، أما ما استشهد به من القراءة الشاذة، فمثاله[3]: ما ثبت عن الصحابة قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: "كالعهن؛ كألوان العهن" وقرأ عبد الله "كالصوف". وقد ذكر قراءات أخرى لعمر بن الخطاب[4]، وأبيّ بن كعب[5]، وعبد الله بن عباس[6]، وعائشة رضي الله عنهم أجمعين[7]. أما ما نقله من القراءات الشاذة عن التابعين فمثاله: قراءة الأعمش[8] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنَ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتُوا مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾، ثم نقل قوله تصريحا: "هكذا في قراءتنا"، وكذلك قراءة قتادة: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِلذِّكْرَى﴾ [9].

2- كل قراءة متواترة استشهد بها فهي دليل مستقل بذاته، أما الشاذة فيعضدها بدليل آخر معتبر من السنة النبوية، أو أقوال الصحابة والتابعين، مثال ما استقل من القراءة بذاته[10] قوله: "الناخرة، والنخرة سواء...". وقال بعضهم: "والنخرة: البالية، والناخرة: العظم المجوف الذي تمر فيه الريح فينخر". أما القراءة الشاذة فمثال ما عضدها بالسنة النبوية قراءة قتادة: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِلذِّكْرَى﴾، فقد عضدها بالحديث: "من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك". ثم أكد ذلك بقول التابعي النخعي رحمه الله: "من ترك صلاة واحدة عشرين سنة، لم يعد إلا تلك الصلاة الواحدة"[11].

---

[1] ابن حجر، الفتح، ج7، ص: 695.
[2] المصدر نفسه، ص: 693.
[3] المصدر نفسه، ج8، ص: 728.
[4] المصدر نفسه، ص: 641.
[5] المصدر نفسه، ص: 496.
[6] المصدر نفسه، ج3، ص: 593.
[7] المصدر نفسه، ج8، ص ص: 436-482.
[8] المصدر نفسه، ج1، ص: 224.
[9] المصدر نفسه، ج2، ص: 70.
[10] المصدر نفسه، ج8، ص: 690.
[11] ابن حجر، الفتح، ج2، ص: 70، ومثال ما أكده بالسنة النبوية فقط قراءة عمر بن الخطاب: (فامضوا إلى ذكر الله)، المصدر نفسه، ج8،ص: 641- ج2، ص: 390.

3- معظم القراءات القرآنية المستشهد بها ما أوردها إلا لفائدة شرعية كترجيح حكم شرعي، فقد رجح بقراءة قتادة: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِلذِّكْرَى﴾ فقال: باب من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها ولا يعيد إلا تلك الصلاة[1]. أو بيان بقاء الحكم بنفي النسخ، مثاله ما رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقرأ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطَوَّقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ قال ابن عباس: "ليست منسوخة: هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة، لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا"[2]. فعلى قراءة ابن عباس، إن كل من تكلف الصوم وهو لا يقدر عليه، أفطر وكفر، وهذا الحكم باق غير منسوخ. فوجها القراءتين "يطيقونه، ويطوّقونه" ثابتان بحسب مدلول القرائن دون نسخ[3].

4- البخاري وإن جمع قسطا كبيرا من القراءات القرآنية فإنه لم يستوعب جميعها، ذلك لأن الجامع الصحيح أعده للسنة النبوية لا التفسير، بل حتى الحديث جمع منه القدر الذي تقع به الحجة[4].

5- الاستفادة من القراءات القرآنية بطريقة الاختصار عند التوظيف دون إسهاب، مع التركيز على بيان دلالاتها دون التعرض لمباحث النطق والكيفيات إلا نادرا، فقد ينقل القراءات المتعددة مختصرة مصرحا بتساويها مثاله[5] قوله: "كُرْها وكَرْها، واحدٌ". وقوله كذلك[6]: "باب ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ السَّلم والسَّلام والسِّلْم، واحد." وقد يذكر القراءتين المتساويتين في الدلالة مع التصريح بذكر المصدر، مثاله[7]: "الجبلة: الخلق. جبل: خلق ومنه: جِيلاً وجبلا وجبلا؛ يعني الخلق، قاله ابن عباس".

---

[1] ابن حجر، الفتح، ج2، ص: 70، ولقد رجّح البخاري حكم وجوب العمرة من خلال استدلاله بقراءة (وأتموا الحج والعمرة)، بنصب العمرة على العطف ثم أكد حكم القراءة بأثر ابن عمر وابن عباس. (الفتح، ج3 ص: 597).

[2] ابن حجر، الفتح، ج8، ص179.

[3] ابن حجر، الفتح،ج8، ص181. فالقراءة المتواترة- يطيقونه- حكمها لمن عجز عن الصوم أو الإطعام، أما القراءة الشاذة – يطوّقونه- فهي تفيد وجوب الإطعام على الشيخ الكبير الذي لم يقدر على الصوم. صبري عبد الرؤوف محمد عبد القوي، أثر القراءات في الفقه الإسلامي، الرياض، السعودية، أضواء السلف ط1، 1418هـ - 1998م ص: 364.

[4] أبو محمد عبد الله بن اسعد اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج2، ص: 168.

[5] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 313.

[6] المصدر نفسه، ج8، ص: 285.

[7] المصدر نفسه، ج8، ص: 497.

وقد يخوض في عرض كيفيات رسم القراءات دون تفصيل، مثاله[1]: في أدبار النجوم، وأدبار السجود. كان عاصم يفتح التي في: (ق)، ويكسر التي في: (الطور)، ويكسران جميعا وينصبان"، ومنه كذلك "بمسيطر: بمسلط، ويقرأ بالصاد والسين"[2].

6- كل قراءة قرآنية احتملت دلالتها التعدد في التفسير، فاعتبار موافقة الرأي التفسيري لقواعد رسم المصحف مرجح شرعي معتبر. مثاله[3]: باب نسيان القرآن وهل يقول نسيت آية كذا وكذا؟ وقول الله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَىٰ إِلاَّ مَا شَآءَ اللهُ﴾ [4]، فحرف: "لا" في الآية على تفسيرين، أولهما: ناهية، ثانيهما: نافية. فقدم البخاري معنى النفي لدلالة رسم فعل تنسى عليه، فلو كانت لا ناهية لجزم الفعل المضارع بحذف حرف العلة، ثم أكد دلالة النفي بالسنة النبوية، فروى عن عائشة رضي الله عنها قالت: "سمع رسول الله صلى الله عليه وآله سلم رجلا يقرأ في سورة بالليل فقال: يرحمه الله، لقد أذكرني آية كذا وكذا كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا". ومثاله[5] كذلك: باب الكيل على البائع والمعطي وقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [6]. يعني كالوا لهم أو وزنوا لهم، فالضمير: "هم" في: "كالوهم" و "وزنوهم" فيه قولان:

الأول: يعود على الناس وبهذا فهو في موضع النصب.

الثاني: يعود على ضمير الجماعة "الواو"، وبهذا فهو في موضع الرفع مؤكد لواو الجماعة. ولقد رجّح البخاريّ المعنى الأول لموافقته الرسم العثماني، ثمّ أكد ترجيحه بنظير الآية: ﴿يَسْمَعُونَكُمْ﴾ [7]، قال: يسمعون لكم.

---

1 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 593.
2 المصدر نفسه، ج8، ص: 700.
3 المصدر نفسه، ج9، ص: 84.
4 سورة الأعلى، الآية: 06-07.
5 ابن حجر، الفتح، ج4، ص: 343.
6 سورة المطففين، الآية: 03.
7 سورة الشعراء، الآية: 72.

المطلب الثاني: البخاري ومقاصد الاستشهاد بالقراءات القرآنية

لقد أسهب البخاري في ذكر القراءات القرآنية، وقلما تجد موضعا من الجامع –خاصة كتاب التفسير– إلا وله فيه شاهد من القراءات مما يوحي باهتمامه بها، ومن خلال استقراء النماذج، لاحظت أنه حقق مجموعة من المقاصد أهمها:

1– القراءة القرآنية مصدر لاستنباط الأحكام:

فقد استشهد بالقراءة القرآنية ليستنبط بها حكما شرعيا، مثاله[1]: قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[2]، فقد استنبط حكم إعادة الصلاة الفائتة عند تذكرها، قال: باب من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها، ولا يعيد إلا تلك الصلاة. وترجمة الباب تشير إلى أنه حمل الآية على معنى؛ أقم الصلاة لتذكيري لك إياها، "فاللام تتعلق بأقم، والتقدير عند ذكرك إياي، فالمصدر مضاف إلى المفعول". وهذا قول الأكثرين من أهل التفسير[3]. ولقد رجح هذا المعنى بقراءة ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِلذِّكْرَى﴾ [4]، فقد روى عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: "من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾". قال موسى قال همام سمعته –يعني قتادة– يقول بعد: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِلذِّكْرَى﴾ وتأكيدا لدلالة القراءة على الحكم المستنبط استشهد بقول إبراهيم النخعي: "من ترك صلاة واحدة عشرين سنة لم يعد إلا تلك الصلاة الواحدة".

---

[1] ابن حجر، الفتح، ج2، ص: 70.

[2] سورة طه، الآية: 14. وهذه قراءة نافع وأبي عمرو وأبي جعفر والزهري. أحمد بن محمد البنا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، القاهرة مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1407هـ–1987م، ج2، ص: 245.

[3] ابن الجوزي، زاد المسير، ج5، ص:275– البغوي، شرح السنة، ج2 ، ص: 241– أبو البقاء عبد الله بن الحسين العبكري، إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، بيروت، دار الكتب العلمية ط1، 1399هـ–1979م، ج2، ص: 119.

[4] وهذه قراءة السلمي والنخعي وأبي رجاء. عبد العال سالم مكرم، أحمد مختار عمر، معجم القراءات القرآنية، ج4، ص: 74.

ومما يلاحظ على منهج البخاري في تعامله مع القراءات أنه يؤكد الدلالة المنتزعة من القراءة، إما بدليل متفق عليه: كالسنة النبوية، أو بدليل مختلف فيه: كقول التابعي، وهو بهذا التعضيد يرد على رافضي الاحتجاج بالقراءة الشاذة[1].

2- القراءة القرآنية بيان للإبهام:

فقد استشهد بالقراءة القرآنية ليرفع إبهاما في قراءة أخرى، مثاله[2]: ما فسّر به قوله تعالى: "كالعهن المنفوش"[3] بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه: "كالصوف المنفوش"، فأدنى ما دلت عليه قراءة ابن مسعود صحة التأويل، إذ رفعت الإبهام الحاصل في لفظ العهن.

3- القراءة القرآنية بيان للإجمال:

فقد استشهد بالقراءة القرآنية ليبيّن آية مجملة الدلالة، مثاله[4]: قوله تعالى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾ [5]، فلفظ السعي مجمل لتناوله دلالة المشي مطلقا، والإسراع فيه والعمل[6]، ولقد حمل البخاري الآية على معنى الذهاب دون المشي السريع، مبينا الإجمال بالقراءة القرآنية: ﴿فَامْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾ [7]، وقد صرّح بذلك في كتاب الجمعة، باب: المشي إلى الجمعة، وقول الله جلّ ذكره: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾ ومن قال: السعي العمل والذهاب لقول الله تعالى: ﴿وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾ [8]، ولقد أكد البخاريّ ذلك بما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

---

1 ومذهب الشافعية والمالكية عدم الاحتجاج بالقراءة الشاذة لكونها ليست قرآنا اتفاقا، فتكون تفسيرا من الصحابيّ واجتهادا منه. محمد الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، دمشق، المطبعة الجديدة، 1396هـ-1976م، ص: 81.

2 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 728.

3 سورة القارعة، الآية: 05.

4 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 641.

5 سورة الجمعة، الآية: 09.

6 ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص: 509.

7 قراءة عمر بن الخطاب وابن مسود وابن عباس وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وابن عمر وابن الزبير وابن شهاب وأبي العالية والسلمي ومسروق وطاووس وسالم بن عبد الله. عبد العال سالم مكرم، أحمد مختار عمر، معجم القراءات القرآنية، ج7، ص: 147-148 - ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، تقديم: آرثر جفري، القاهرة، مكتبة المتنبي، ص: 157 - إبراهيم بن حسن، تفسير المأثور عن عمر بن الخطاب، الدار العربية للكتاب، ص: 85.

8 سورة الإسراء، الآية: 19.

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها تمشون عليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا"[1].

4- القراءة القرآنية معضدة لدلالة السياق القرآني:

فقد استشهد بالقراءة القرآنية ليعضد بها دلالة محددة دلّ عليها السياق القرآني، مثاله[2]: باب ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى...﴾ [3]، فَصِرْهُنَّ؛ قطّعهُن، فقدم البخاريّ قراءة ﴿صِرْهُنَّ﴾ بالكسر[4] التي تفيد معنى الضّم والإمالة والقطع مع الحبس[5]، والتقدير: (خذ أربعة من الطير إليك فقطّعهن) [6]، والأجود في التقدير أن تكون (إليك) حالا، من المفعول المضمر تقديره: فقطّهن مقربة إليك، أو ممالة[7]، والذي ظهر لي -والله أعلم-، إن البخاري قدّم قراءة الكسر لاعتبارات قرآنية منها:

أ- أن قراءة الكسر أبلغ في الدلالة على عظمة القدرة الإلهية، إذ معناها يشمل معنى قراءة الضمّ.

ب- أن القرينة اللفظية في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً﴾، تشير إلى أن الجزئية من الطير تدل على القطع، وهي قراءة الكسر، فلو كانت قراءة الضمّ لكان الخطاب -والله أعلم-: (ثمّ اجعل على كل جبل منهنّ طيرا).

---

[1] ابن حجر، الفتح، ج2، ص: 390. وقد لاحظت أن البخاري قد استعرض القراءة القرآنية ثم وجهها على الصحيح ثم استدل على رجحان المعنى بدليل السنة.

[2] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 201.

[3] سورة البقرة، الآية: 260.

[4] وهي قراءة حمزة وأبي جعفر ورويس وخلف وطلحة وشيبة وابن جبير والأعمش وقتادة وعلقمة وابن وثاب وابن عباس، محمد سالم مكرم، المهذب في القراءات العشر، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ط2، 1389هـ- 1978م، ج1، ص: 102 – أحمد بن محمد البنا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ج1، ص: 450.

[5] العبكري، إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، ج1، ص: 111- أبو الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، مطابع الأهرام، 1415هـ-1994م، ج1، ص: 136.

[6] أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق محيي الدين رمضان، دمشق، مجمع اللغة العربية، 1394هـ-1974م، ج1، ص: 313.

[7] العبكري، إملاء ما منّ به الرحمن ج1، ص: 111- أبو العباس أحمد بن عمّار المهدوي، شرح الهداية، تحقيق: حازم سعيد حيدر، الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 1416هـ-1995م، ج1، ص: 207.

ج- أن الآية تعالج عقيدة البعث، وقراءة الكسر أبلغ في الدلالة على قدرة الله في بعث الخلق.

5- القراءة القرآنية بيان لسبب النزول:

فقد استشهد بالقراءة القرآنية ليثبت بها سبب النزول، ثمّ يبين أن العبرة بعموم اللفظ ليدل بالقراءة الأخرى على عموم الحكم، مثاله[1]: باب قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[2]، ثمّ روى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "بينا أنا أمشي مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في خرب المدينة -وهو يتوكأ على عسيب معه- فمرّ بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم لا تسألوه لا يجيء بشيء تكرهونه، فقال بعضهم لنسألنّه، فقام منهم فقال: يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت فقلت: إنه يوحى إليه، فقمت، فلما انجلى عنه فقال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتُوا مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[3] قال الأعمش: هكذا في قراءتنا". فأثبت البخاريّ بقراءة الأعمش سبب النزول، وبالقراءة المتواترة المصدر بها الباب حكم العموم، ومما يؤكد ذلك عدم ذكر قراءة الأعمش عند تفسير الآية، فقد ساق الحديث دونها[4].

6- القراءة القرآنية تصحيح للفهم، ودفع للوهم:

فقد استشهد بالقراءة القرآنية ليدفع الوهم الحاصل في فهم النصّ القرآني، مثاله[5] قال: "المقتسمين الذين حلفوا، ومنه: ﴿لاَ أُقْسِمُ﴾ ؛ أي أقسم، وتقرأ: لأقسم". فقراءة لأقسم[6] بحذف الألف بعد اللام على أنها لام الابتداء للتأكيد[7]، رفعت الوهم المتبادر من القراءة المتواترة.

---

[1] ابن حجر، الفتح، ج1، ص: 323.
[2] سورة الإسراء، الآية: 85.
[3] قراءة ابن مسعود والأعمش، عبد العال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية، ج3، ص: 336.
[4] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 401.
[5] المصدر نفسه، ج8، ص: 382.
[6] قراءة ابن كثير وقنبل والحسن والأعرج والبزّي والزهري. أبو محمد القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، ج2، ص: 349 - أحمد بن محمد البنا، إتحاف الفضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ج2، ص: 573.
[7] محمد سالم محيسن، تصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1407هـ-1987م، ص: 222.

7- القراءة القرآنية مكمّلة لدلالة النصّ القرآني:

فقد استشهد بالقراءة القرآنية ليتمّم دلالة نص قرآني، مثاله[1]: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّنْ رَّبِّكُمْ﴾[2]، فقد ذكرت الآية حكم الابتغاء ولم تقيّد وقته، ففسّر البخاريّ ذلك بقراءة ابن عباس قال: باب: "التجارة أيام الموسم والبيع في أسواق الجاهلية"، ثمّ روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: "كانت عكاظ ومجنّة وذو المجاز، أسواقا في الجاهلية، فلمّا كان الإسلام تأثّموا من التجارة فيها فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّنْ رَّبِّكُمْ﴾ في مواسم الحجّ، قرأ ابن عباس كذا"[3]. وبقراءة ابن عباس تبيّن أن حكم الابتغاء في مواسم الحجّ على الجواز، وهذا ما ترجم له البخاريّ في كتاب البيوع، باب: "الأسواق التي كانت في الجاهلية فتبايع بها الناس في الإسلام"، وكذلك كتاب التفسير عند قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّنْ رَّبِّكُمْ﴾ [4].

ومن كمال الدلالة القرآنية أن يستشهد بالقراءة ليخصص بها عموما، أوليدفع سوء فهم طارئ، مثاله[5]: ما ذكر من قصة موسى عليه السلام مع الخضر في حكم خرق السفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار، فقد نقل قراءة ابن عباس عن سعيد بن جبير قال: "فكان ابن عباس يقرأ: ﴿وَكَانَ أَمَامَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْباً﴾ وكان يقرأ: ﴿وَأَمَّا الْغُلاَمُ فَكَانَ كَافِراً وَكَانَ أَبَوَاهُ مُومِنَيْنِ﴾".

المطلب الثالث: البخاري ومنهجه في توجيه القراءات القرآنية

من المجمع عليه بين علماء المسلمين أن القراءة القرآنية إذا صح سندها، ووافقت العربية ولو بوجه، وأحد المصاحف العثمانية -الرسم العثماني- ولو احتمالا، حرم ردّها أو الطعن

---

[1] ابن حجر، الفتح، ج3، ص: 593.
[2] سورة البقرة، الآية: 198.
[3] قراءة ابن مسعود وابن عباس وابن الزبير وعكرمة وعطاء وطلحة بن عمرو ووكيع. ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص: 19 - عبد العال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية، ج1، ص: 154 - أبوبكرعبد الله بن أبي داود، المصاحف،مصر،مؤسسة الخانجي، ص: 74.
[4] ابن حجر، الفتح، ج4، ص: 321 - ج8، ص: 186.
[5] ابن حجر، الفتح، ج6، ص: 431 - ج8، ص: 409.

فيها، ووجب قبولها والأخذ بها[1]، ولقد أتقن البخاري التعامل مع القراءات القرآنية عند اختلافها، وأحسن الجمع والتوفيق فيما بينها، ولقد ظهر منهج توجيهه للقراءات في النقاط التالية:

1- إذا اختلفت القراءتان لفظا ومعنى، جمع بينهما من وجه لا يقتضي التضاد مستعينا في ذلك بفهم الصحابيّ، مثاله[2]: باب: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾[3]. عن عروة ابن الزبير أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾، قال قلت: "أَكُذِبُوا أو كُذِّبُوا؟ قالت عائشة: كذّبوا، قلت: فقد استيقنوا أن قومهم كذّبوهم فما هو الظنّ؟ قالت: أجل لعمري لقد استيقنوا بذلك، فقلت لها: وظنوا أنهم قد كذّبوا؟ قالت: معاذ الله، لم يكن الرسل تظن ذلك بربّها، قلت: فما هذه الآية؟ قالت: هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربّهم، وصدّقوهم، فطال عليهم البلاء، واستأخر عنهم النصر، حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذّبوهم، جاءهم نصر الله عند ذلك". وهذا وجه من التوفيق، فالقراءة المشددة للرسل إذ تيقنوا أن قومهم قد كذّبوهم، أما قراءة التخفيف فهي للمرسل إليهم، فقد توهموا أن الرسل قد كذّبوهم فيما أمروهم به. وعلى هذا فالظن في القراءة الأولى يقين، والضمائر الثلاثة للرسل، وفي الثانية شكّ، والضمائر الثلاثة للمرسل إليهم[4].

---

[1] إبراهيم بن أحمد المارغني، دليل الحيران على مورد الظمآن، الجزائر، دار الكتب، ص38. محمد علي الحسن، القراءات القرآنية وموقف المفسرين منها، بيروت، دار البيارق، ط1/ 1414هـ- 1994م، ص: 28 – مكي ابن أبي طالب القيسي، الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ص: 18 – ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ص: 18.

[2] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 367.

[3] سورة يوسف، الآية: 110.

[4] أبو محمد مكي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، ج2، ص: 15-16 – مجلة منار الإسلام، العدد الأول، السنة 11 أكتوبر 1985م، ص: 26. وما ذكرته عائشة رضي الله عنها هو أجود الأقوال التفسيرية في الآية، وأحسنها في الظاهر، وأقربها إلى عقيدة عصمة الأنبياء والرسل عليهم السلام. ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص: 412.

2- إذا اختلفت القراءتان لفظا ومعنى جمع بينهما بأن يجعل إحداهما لازم الأخرى، مثاله[1]: قال إبراهيم النخعي رحمه الله: "أفتمارونه؟ أفتجادلونه". ثم نقل القراءة القرآنية الأخرى: "أفتمرونه، أفتجحدونه"[2].

فكل من جادل في إبطال شيء فقد جحده، ومن جحد شيئا جادل في إبطاله، فكل من القراءتين لازم للأخرى ونتيجة لها[3].

3- إذا اختلفت القراءتان لفظا ومعنى، جمع بينهما من خلال إرجاعهما إلى ذات واحدة، وأصل واحد، إذ لا حرج في ذلك، بل هو أبلغ في البيان، وتكثيرا للمعاني والدلالات، فلا مانع من أن تكون كلها مرادا لله تعالى[4]، مثاله[5]: قوله: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾[6]، قال البخاريّ: "والظنين: المتّهم، والضنين: يضن به"[7]. فقد دل مجموع القراءتين على معنيين في لفظ واحد متعاضدين غير متضادين، فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليس متّهما في أن يأتي من عند نفسه بزيادة فيما أوحي إليه، أو ينقص منه شيئا، وليس ببخيل في بيان ما أوحي إليه بالكتمان[8]. وكذلك قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنفِرَةٌ﴾[9]، قال البخاري: "مُسْتَنْفِرَةٌ نَافِرَةٌ مَذْعُورَةٌ"[10]. فقد حمل قراءة الكسر على معنى وقوع النفور منها فهي فاعلة، ثم ذكر لازم النفور وهو الذعر، وهو حاصل قراءة الفتح، وقد يكون الذعر سببا للنفور ولازم عنه، وفي الجمع بين دلالتي القراءتين ترسم صورة عجيبة للنفور الشديد المخالط للذعر العظيم، وهذا

---

[1] ابن حجر، الفتح، ج8، ص605.

[2] قرأ حمزة والكسائي بفتح التاء من غير ألف، وقرأ الباقون بضم التاء وبألف بعد الميم، فالأولى من مرى يمري إذا جحد، والثانية مارى يماري إذا جادل، احمد بن محمد البنا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ج2، ص:501، العكبري، إملاء ما منّ به الرحمن، ج2، ص: 247.

[3] أبو محمد مكي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات العشر، ج2، ص: 295.

[4] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص: 55.

[5] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 693.

[6] سورة التكوير، الآية: 24.

[7] فالقراءة بالظاء لابن مسعود وابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وعائشة وابن الزبير وابن جبير وابن محيصن واليزيدي وابن كثير وأبي عمرو والكسائي، وقرأ الباقون بالضاد. أحمد البنا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ج2، ص: 592 – عبد العال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية، ج8، ص: 86.

[8] أبو محمد مكي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، ج2، ص: 364 – السيوطيّ، معترك الأقران، ج2، ص: 156.

[9] سورة المدثّر، الآية: 50. قرأ نافع وابن عامر بفتح الفاء، وقرأ الباقون بكسرها. القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، ج2، ص: 348.

[10] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 676.

تصوير فنيّ، وإعجاز قرآني، نقلت فيه المعاني النفسية إلى صور حسيّة، على طريقة تصوير المشاهد الطبيعية[1].

4- إذا اختلفت القراءتان لفظا ومعنى، ذكر الأولى مبينا دلالتها ثم تمم المعنى بالقراءة الثانية، فيستفاد من مجموع القراءتين دلالة كاملة، يؤكّدها موضوع النص القرآني، وسبب النزول، والسياق. مثاله[2]: تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللهِ عَظِيمٌ﴾[3]، قال: "قال مجاهد: (تَلَقَّوْنَهُ؛ يرويه بعضكم عن بعض)، ثم روى عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقرأ: ﴿إِذْ تَلِقُونَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾[4] وتقول: الوَلَق؛ الكذب. قال ابن أبي مليكة، وكانت أعلم من غيرها بذلك، لأنه نزل فيها"[5]. فقد دلت القراءة المتواترة على معنى الرواية مطلقا، وهذا ما أشار إليه مجاهد، ولكنّ قراءة عائشة أضافت قدرا زائدا معتبرا كملت به دلالة الآية، وهي الرواية الكاذبة والبهتان.

---

[1] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، بيروت، دار الشروق، ط7، 1402هـ-1982م، ص: 242.

[2] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 482.

[3] سورة النور، الآية: 15.

[4] وقراءة عائشة رضي الله عنها مشتقة من الولق وهو الاستمرار في الكذب والطعن، ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط1، 1374هـ-1955م، ج10، ص: 384 - أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، بيروت، الدار العربية، ط3، 1980م، ج3، ص: 657.

[5] ابن حجر، الفتح، ج8، ص:472،436 - وقرأ بقراءة عائشة: ابن عباس وابن يعمر ويزيد بن عليّ. عبد العال سالم مكرم، القراءات القرآنية، ج4، ص: 240 - ابن خالويه، مختصر شواذ القراءات، ص: 102.

الفصل الثالث

البخاريُّ وتفسير القرآن بالسنة

الفصل الثالث: البخاري وتفسير القرآن بالسنة.

لقد بعث الله تعالى محمّدا صلى الله عليه وآله وسلم بالهدى ودين الحقّ، وأيّده بمعجزة القرآن الخالدة ليبيّن للعالمين عقائد الملّة، وأحكام الشريعة. قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، وفرض عليه إقامة العدل، والحكم بينهم بالقسط، فقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَآ أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً﴾[2]. فكل بيان بلغه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فهو الوحي المعصوم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[3]، وعلى هذا، "فلا يصح الاستقلال بفهم القرآن من غير الاستعانة بمفسّره وهو السنّة"[4].وكيف يعقل فهم معاني القرآن الكريم دون الاعتماد على مرجعية السنة النبوية[5]، قال صلى الله عليه وآله وسلم: "ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان متّكئ على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا إن ما حرّم رسول الله مثل ما حرّم الله"[6].

ولقد جمع السلف الصالح منهج الأخذ بالقرآن والسنة، فاستوعبوا العلم والعمل جميعا، قال أبو عبد الرحمن السلمي[7] رضي الله عنه: "حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن

---

[1] سورة النحل، الآية: 44.
[2] سورة النساء، الآية: 105.
[3] سورة النجم، الآية: 04.
[4] عبد الحميد لحمر، الإمام مالك مفسرا، بيروت، دار الفكر، ط/1415هـ-1995م، ص: 37.
[5] قال الشيخ مصطفى أحمد الزرقا: "السنة ضرورة لفهم الكتاب، فلا يمكن أن يستغنى عنها في فهمه وتطبيقه ...". المدخل الفقهي العام، بيروت، دار الفكر، الطبعة 10، ج1، ص: 64.
[6] سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم الحديث: 3988 – الترمذي، كتاب العلم، باب: ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم، رقم: 2588 – ابن ماجة، المقدمة، باب: تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضه، رقم: 12 – الدارمي، المقدمة، باب: السنة قاضية على كتاب الله، رقم: 585 – أحمد، مسند الشاميين، رقم: 21563.
[7] أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي الكوفي المقرئ، مشهور بكنيته، ثقة ثبت، روى عن علي وعثمان، وروى عنه سعد بن عبيدة، مات بعد التسعين. ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج1، ص: 299 – مسلم القشيري، الكنى والأسماء، ج1، ص: 513.

عفان[1]، وعبد الله بن مسعود، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلّموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا"[2].

المبحث الأول: البخاري ووجوه التفسير النبوي

يقوم منهج الإمام البخاريّ في التفسير على ردّ كل فهم خالف البيان النّبوي. إذ يقول: باب: إ"ذا اجتهد العالم –أو الحاكم– فأخطأ خلاف الرّسول من غير علم، فحكمه مردود"، لقول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردّ"[3]. ولقد اعتمد البخاري على السنة النبوية في فهم دلالات القرآن، ولقد تنوعت وجوه البيان عنده على النحو التالي:

المطلب الأول: بيان مجمل القرآن بالسنة

ويدخل الإجمال النصّ القرآني فيأخذ صورا متعددة:

1- الإجمال في دلالة الحكم:

وفي هذه الصورة، يعمد البخاريّ إلى بيان الإجمال بالسنة الفعلية، إذ "الفعل بالغ من جهة بيان الكيفيات المعنية المخصوصة التي لا يبلغها البيان القولي"[4]. مثاله[5]: باب صلاة الخوف، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوّاً مُّبِيناً وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ

---

[1] عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية القرشي، ذو النورين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، من السابقين إلى الإسلام وثالث الخلفاء الراشدين، مناقبه كثيرة وصفاته جليلة، قتل شهيدا بمنزله سنة 35هـ. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج1، ص: 294 – الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج1، ص: 24 – أبو جعفر أحمد بن عبد الله الطبري، الرياض النضرة، تحقيق: عيسى عبد الله محمد مانع الحميري، بيروت،دار الغرب الإسلامي ط1، 1996م، ج1، ص: 260.

[2] أبو الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي، تفسير مجاهد، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر السورتي، بيروت، المنشورات العلمية، ، ج1، ص: 67.

[3] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، رقم: 2499 – مسلم، كتاب الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم: 3242 – أبو داود، كتاب السنة، باب: لزوم السنة، رقم: 3990.

[4] الشاطبي، الموافقات، ج3، ص: 231.

[5] ابن حجر، الفتح، ج2، ص: 429.

طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَاخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَآئِكُمْ وَلْتَاتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَاخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ، وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ- إِن كَانَ بِكُمْ- أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[1].

ثم روى بسنده عن الزهري[2] قال: سألته هل صلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم – يعني صلاة الخوف–؟ قال: أخبرني سالم أن عبد الله بن عمر[3] رضي الله عنه قال: "غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل نجد فوازينا العدوّ فصافقنا لهم، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي لنا، فقامت طائفة معه تصلي وأقبلت طائفة على العدو، وركع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمن معه وسجد سجدتين، ثمّ انصرفوا مكان الطائفة التي لم تصلّ، فجاءوا فركع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهم ركعة وسجد سجدتين ثمّ سلّم، فقام كل واحد منهم فركع لنفسه ركعة وسجد سجدتين". قال ابن حجر العسقلاني: "ولما كانت الآيتان قد اشتملتا على مشروعية القصر في صلاة الخوف، وعلى كيفيتها ساقهما معا، وآثر تخريج حديث ابن عمر لقوة شبه الكيفية التي ذكرها فيه بالآية"[4]. وبيان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لصلاة الخوف في كيفيتها بفعله تحقيق لأمره بقوله: "صلوا كما رأيتموني أصلي"[5]. فكان البيان بقوله هذا ابتداء، وبفعله للكيفية تحقيق لحكم الأمر.

---

[1] سورة النساء، الآية: 101–102.

[2] محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، أول من دون السنن، من كبار الفقهاء والمحدثين، تابعي جليل، ولد سنة 58هـ وتوفي سنة 124هـ. مسلم، الكنى والأسماء، ج1، ص: 114 – ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج2، ص: 136.

[3] أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، صحابي جليل، ولد بمكة وآخر من مات بها من الصحابة سنة 73هـ، شيخ الصحابة في زمانه، العابد الصالح بشهادة الرسول صلى الله عليه وسلم، اعتزل الفتنة بين علي ومعاوية. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج1، ص: 563 – ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج1، ص: 43.

[4] ابن حجر، الفتح، ج2، ص: 429. واختار البخاريّ رواية ابن عمر في بيان كيفية صلاة الخوف لعلو درجة سندها دون غيرها من الروايات، ولمشابهتها الأصول المجتمع عليها، فهي موافقة للقرآن فتصبح مقطوع بها. أحكام القرآن لابن العربي، تحقيق: عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط/1416هـ–1996م، ج1، ص: 621 – أنظر: ابن عبد البر، التمهيد، تحقيق: عبد القادر العطا، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة 1419/1هـ–1999م، ج6، ص: 176.

[5] رواه البخاري، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة كذلك، رقم: 595 – أحمد، كتاب: أول مسند البصريين، رقم: 19624.

2- الإجمال بسبب تردد الدلالة بين الشمول والتبعيض:

وقد يورد البخاري السنة الفعلية ليرجّح بها أحد الاحتمالين. مثاله[1]: باب مسح الرأس كلّه لقول الله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ﴾[2]. فالقرينة اللفظية -حرف الجرّ الباء- تحتمل دلالتين.

أحدهما: التبعيض، وعلى هذا يجزئ مسح بعض الرأس[3]. وهو مذهب الحنفية والشافعية.

ثانيهما: الإلصاق[4]، وعلى هذا يتعيّن مسح الرأس كله. وقد رجّح البخاريّ دلالة "إلصاق الفعل بالمفعول"[5]، بحديث عبد الله بن زيد[6] "أن رجلا قال له: أتستطيع أن تريني كيف كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتوضّأ؟ فقال عبد الله بن زيد: نعم. فدعا بماء فأفرغ على يديه فغسل مرّتين، ثمّ مضمض واستنثر ثلاثا، ثمّ غسل يديه مرّتين مرّتين إلى المرفقين، ثمّ مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر؛ بدأ بمقدّم رأسه حتى ذهب بهما إلى قفاه ثمّ ردهما إلى المكان الذي بدأ منه، ثمّ غسل رجليه". وأكّد البخاري ترجيحه بمذهب مالك[7]، إذ يوجب مسح الرأس كله دون بعضه[8]. والملاحظ على البخاريّ في هذا المثال، أنّه إذا ثبتت عنده طرق متعددة للبيان بفعل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ساق الرواية التي تجمع البيان المفصّل[9].

---

1 ابن حجر، الفتح، ج1، ص: 279.

2 سورة المائدة، الآية: 06.

3 ينظر: أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، المهذب، ، بيروت، دار الفكر ، ج1، ص: 17 – أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، التنبيه، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، ، بيروت، عالم الكتب ، ط1، 1402هـ، ج1، ص: 12 – علاء الدين الكاساني، بدائع الصنائع، ، بيروت، دار الكتاب العربي ، ط2، 1982م، ج1، ص: 04 – زين بن إبراهيم بن محمد بن بكر، البحر الرائق شرح كنز الرقائق، بيروت، دار المعرفة ، ج1، ص: 15.

4 ابن جني، كتاب اللمع في العربية، تحقيق: فائز فارس، الكويت، دار الكتب الثقافية، ط/1972م، ص: 74 – الزجاج، كتاب حروف المعاني، تحقيق: علي توفيق الحمد، ، بيروت، الرسالة ، ط1، 1984م، ص: 47.

5 منصور بن يونس البهوتي، كشاف القناع عن متن الإقناع، تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة 1418/1هـ-1997م، ج1، ص: 114.

6 أبو محمد عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري، صاحب الأذان، صحابي جليل، مات سنة 32هـ. مسلم، الكنى والأسماء، ج1، ص: 699 – الذهبي، المقتنى في سرد الكنى، ج2، ص: 39.

7 مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة، ولد بالمدينة النبوية سنة 93هـ ومات بها سنة 179هـ. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج2، ص: 177 – الداودي، طبقات المفسرين، ج2، ص: 294.

8 محمد بن عبد الله الصردفي، المعاني البديعة في معرفة اختلاف أهل الشريعة، تحقيق سيد محمد مهنى، بيروت، دار الكتب العلمية، ج1، ص: 34. وبيان السنة دلّ على أن "الباء للإلصاق، ولا تدل على التبعيض بحال" المسوّدة لآل تيمية، ص: 356 – أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي، المنتقى شرح الموطأ، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة 1331/1هـ، ج1، ص: 38.

9 فالحديث رقم 185 أكمل رواية وأدقها تفصيلا في بيان دلالة الحكم من الطرق الأخرى التي وردت تحت الأرقام التالية: 191-192-197-199.

3- الإجمال بسبب الإبهام[1]:

قد يورد البخاريّ السنة القولية ليزيل الإبهام. مثاله[2]: باب ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ تُوتِي~ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ [3]. فاسم الشجرة مبهم الجنس، فبيّنها البخاري على أنّها النخلة بحديث ابن عمر رضي الله عنه قال: "كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أخبروني بشجرة تشبه -أو كالرجل المسلم- لا يتحاتّ ورقها، ولا ولا ولا ....، تؤتي أكلها كلّ حين. قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلّم. فلما لم يقولوا شيئا، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هي النّخلة. فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه، والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة، فقال: ما منعك أن تتكلّم؟ قال: لم أركم تكلّمون فكرهت أن أتكلّم أو أقول شيئا. قال عمر: لأن تكون قلتها أحب إليّ من كذا وكذا".

المطلب الثاني: بيان مشترك القرآن بالسنة[4]

وتتعدد صور الاشتراك في النصّ القرآنيّ على النحو التالي:

1- الاشتراك بين حقائق شرعية متعارضة:

وفي هذه الصورة يتعين ترجيح واحدة على الباقي من خلال بيان السنة النبوية تعضيدا بسبب النزول. مثاله[5]: باب ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَاْتُواْ حَرْثَكُمْ~ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأنفُسِكُمْ﴾ [6]

---

[1] ومن أمثلة بيان الإجمال لسبب الإبهام ما يلي: ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 156 و 324 و 381.

[2] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 377. وشاهد البيان من السنة القولية قوله ﷺ: "تؤتي أكلها كل حين". ولعل اقتصار البخاري عليه في ترجمة الباب يوحي بذلك، ويؤكده تركه الاستدلال بالطرق الأخرى الواردة في صحيحه برقم: 61 و62 و72 و131، ج1، ص: 145-229 - وحديث رقم: 2209، ج4، ص: 405 - ورقم: 5444 و5448، ج9، ص: 569-572 - ورقم: 6122 و6144، ج10، ص: 523-536.

[3] سورة إبراهيم، الآية: 24-25.

[4] والمشترك إذا جاء مطلقا أفاد العموم وشمل جميع مسمياته دون استثناء، إلا إذا دلت القرينة على تعيين مسمى دون الباقي. ينظر: أبو حامد الغزالي، المنخول، تحقيق: محمد حسن هيتو، ، دمشق، دار الفكر ، ط2، 1400هـ، ص: 147. ويقوم منهج البخاري على بيان المشترك بمختلف درجات السنة النبوية.

[5] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 189.

[6] سورة البقرة، الآية: 223.

فالقرينة اللفظية: "أنّى" أشارت بالوضع إلى دلالات مختلفة قد وصلت إلى حد التضاد[1]، فقد تحمل على مطلق الزمن بمعنى: "متى"، و قد تحمل على مطلق الكيفية والأحوال بمعنى: "كيف"، وقد تحمل على مطلق المكان بمعنى: "أين". فوقع الإشكال في حمل النصّ القرآني على إحدى هذه الدلالات، وازداد الإشكال تمكنا بإيراد البخاري حديث ابن عمر رضي الله عنه الذي يرجح دلالة الظرفية المكانية، إلا أن جمـــــعه بين حديث ابن عمر وحديث جابر يوحي بما يلي:

1- ضعف دلالة مطلق الزمن لثبوت النهي الشرعي بقوله تعالى: ﴿ فَاعْتَزِلُوا النِّسَآءَ فِي الْمَحِيضِ .. ﴾[2].

2- ضعف دلالة مطلق المكان باعتبارين:

أ)- أن البخاريّ لما ساق حديث ابن عمر رضي الله عنه في جواز إتيان النساء من الدبر، اكتفى بذكر السند دون المتن، وهذا يدل على استنكاره للحكم[3]، فإيراده الحديث بسنده دون متنه يشعر عمله بخلافه وإن صح سنده عنده.

ب)- إن الغرض الأصلي من الوقاع طلب الولد من محلّ الحرث، فلزم أن يقع الإتيان في المأتى المخصّص له شرعا والمقصور عليه[4]، هذا من جهة، ومن جهة أخرى إذا كان محل الحرث على حلّيّته منع إتيانه لعارض أذى الحيض والنفاس بنص الشرع، "فما الظنّ بالحشّ الذي هو موضع الأذى اللازم ..."[5]، وعلى هذا يتعين شرعا حرمة إتيان الدبر[6]. وإذا أشكل

---

[1] وإذا امتنع الجمع بين دلالات المشترك لم يجز استعماله فيها معا وحينئذ يتعين الترجيح. ينظر: الأسنوي، التمهيد، ص:173.

[2] سورة البقرة، الآية: 222.

[3] القسطلاني، ارشاد الساري، ج7، ص: 34.

[4] نظام الدين القمّي النيسابوري، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، بيروت، دار الفكر، الطبعة 1398/1هـ-1978م، ج2، ص: 346.

[5] الشوكاني، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، بيروت، دار الجيل، ج3، ص: 200.

[6] أنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص: 94 - الماوردي، النكت والعيون، ج1 ص: 284 - الألوسي، روح المعاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج2، ص: 124 - مجدي بن منصور بن السيد الشوري، تفسير الإمام الشافعي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة 1416/1هـ-1998م، ص: 33.

عند البخاري حديث ابن عمر، فقد فسّره بحديث جابر[1] رضي الله عنه قال: "كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [2]". فدلّ بهذا ترجيح البخاري لدلالة مطلق الكيفية[3]. والله أعلم.

2- الاشتراك بين الحقيقة اللغوية والحقيقة الشرعية[4]:

وينحصر الاشتراك في صورتين:

أ- أن يكون حمل النص القرآني "على المعنى الشرعي أولى من حمله على المعنى اللغويّ؛ لأن الشرع ناقل[5]":

مثاله[6]: باب ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [7]، فدل لفظ الصلاة على معنى لغوي وهو الدعاء، وآخر شرعي وهو صلاة الجنازة، فيقدم المعنى الشرعي لكونه مقصودا للشارع. واعتمد البخاريّ في ترجيح هذا المعنى على السنة النبوية[8]، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: "لما توفي عبد الله بن أبيّ، جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأعطاه قميصه، وأمره أن يكفنه فيه، ثمّ قام يصلّي عليه، فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال: تصلي عليه وهو منافق وقد نهاك الله أن تستغفر لهم، قال: إنما

---

[1] أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري، الصحابي المجتهد، شهد بيعة العقبة الثانية والرضوان، روى علما كثيرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة وغيرهم، وروى عنه ابن المسيب والحسن البصري وعطاء بن أبي رباح وغيرهم، مات سنة 87هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص: 189 – الرازي، الجرح والتعديل، ج2، ص: 492 – القيسراني، تذكرة الحفاظ، ج1، ص: 51.

[2] سورة البقرة، الآية: 223.

[3] وقول ابن عمر في الحديث "أنزلت في كذا وكذا" يشير إلى أنه استنباط منه، أما قول جابر "فنزلت" فقد ذكر السبب صراحة زيادة على أنه قرن بين الفاء التعقيبية ومادة النزول لتفيد السببية. وعلى هذا يقدم حديث جابر، انظر: السيوطي، الإتقان، ج1، ص: 32 – وبما أن حديث جابر ورد صريحا في ذكر سبب النزول فهو في حكم النص المرفوع. ينظر: شمس الدين السخاوي، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، تحقيق: محمد صلاح عويضة، ، بيروت، دار الكتب العلمية ، ط 1417هـ-1996م، ج1، ص: 139.

[4] محمود سعد، مباحث البيان عند الأصوليين واللغويين، الإسكندرية، منشأة المعارف، ص: 195.

[5] الماوردي، النكت والعيون، ج1، ص: 39 – ينظر: أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي، التمهيد، تحقيق: محمد حسن هيتو، ، بيروت مؤسسة الرسالة ، ط1، 1400هـ، ص: 228.

[6] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 337.

[7] سورة التوبة، الآية: 84.

[8] ومما يؤكد ترجيح البخاريّ المعنى الشرعي للفظ الصلاة، اقتصاره في الترجمة على الشاهد، ثمّ إتمامه لنص الآية التي ساقها في نصّ الحديث، كما بوّب للحديث في كتاب الجنائز بـ: باب ما يكره من الصلاة على المنافقين والاستغفار للمشركين. ابن حجر، الفتح، ج3، ص: 228.

خيّرني ربّي -أو أخبرني الله- فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَّغْفِرَ اللهُ لَهُمْ﴾ [1] فقال: سأزيده على سبعين. قال: فصلّى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصلّينا معه. ثمّ أنزل الله عليه: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [2]".

ب- أن يكون حمل النص القرآني على المعنى اللغوي، أولى وأرجح من حمله على المعنى الشرعي بقرينة السنّة:

مثاله[3]: باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة وقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [4]. فلفظ الصلاة دلّ على معنى الدعاء لغة، ودلّ على معنى الصلاة شرعا، لكن السنّة النبوية رجّحت المعنى اللغويّ، فعن عبد الله بن أبي أوفى[5] رضي الله عنه قال: "كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: اللهم صلّ على فلان، فاتاه أبي بصدقته فقال: اللهم صلّ على آل أبي أوفى".

3- الاشتراك بين حقيقتين شرعيتين:

وفي هذه الحالة يجتهد البخاريّ من خلال توظيف السنّة النبوية في ترجيح إحدى الحقيقتين، مراعيا مقصد الشارع. مثاله[6]: قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [7]. فقد اختلف العلماء في دلالة الآية تبعا لاختلافهم في معنى الواو على قولين[8].

---

1 سورة التوبة، الآية: 80.
2 السورة نفسها، الآية: 82.
3 ابن حجر، الفتح، ج3، ص: 361.
4 سورة التوبة، الآية: 103.
5 أبو إبراهيم عبد الله بن أبي أوفى، واسمه علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي، شهد الحديبية، مات سنة 87هـ وهو آخر الصحابة موتا بالكوفة. البخاري، التاريخ الصغير، ج1، ص: 181 - العجلي، معرفة الثقات، ج2، ص: 21 - ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج1، ص: 296.
6 ابن حجر، الفتح، ج9، ص: 623.
7 سورة الأنعام، الآية: 121.
8 أنظر: خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، ص: 396 - البغوي، شرح السنة، ج11، ص: 194 - عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، الجزائر، الزهراء، الطبعة 1993/3م، ص: 180.

1- مذهب الشافعية: فقد رجّحوا أن الواو في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌۗ﴾ للحال؛ أي لا تأكلوه والحال أنه فسق، والمراد بالفسق قد بيّن بقوله تعالى: "أو فسقا أهل به لغير الله"[1]، فرجع الزجر إلى النهي عن أكل ما ذبح لغير الله ..."[2]. وعلى هذا، فمتروك التسمية من الذبائح حلال، سواء أكان الترك عمدا أم سهوا.

2- مذهب الجمهور: فقد رجحوا أن الواو للاستئناف، فيكون الحكم عندهم النهي عن الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها مطلقا[3]. وقد ذهب البخاري هذا المذهب ففرّق بين المتعمد لترك التسمية على الذبيحة فلا تحلّ ذبيحته، ووصف الفسق يختص به بدليل نفيه عن الناسي، واستدل لذلك بقول ابن عباس رضي الله عنه: "من نسي فلا بأس"[4] ثمّ قال: والناسي لا يسمّى فاسقا. وقد رجّح البخاريّ دلالة الاستئناف بالسنة النبوية، قال: باب التسمية على الذبيحة ومن ترك متعمّدا. ثم ساق حديث رافع بن خديج رضي الله عنه قال: "كنّا مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بذي الحليفة فأصاب الناس جوع، فأصبنا إبلا وغنما -وكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في أخريات الناس- فعجلوا فنصبوا القدور فدفع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إليهم فأمر بالقدور فأكفئت، ثم قسم فعدل عشرة من الغنم ببعير فندّ منها بعير، وكان في القوم خيل يسيرة، فطلبوه فأعياهم فأهوى إليه رجل بسهم فحبسه الله، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إنّ لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش، فما ندّ عليكم منها فاصنعوا به هكذا. قال: قال جدّي: إنّا لنرجو -أو نخاف- أن نلقى العدوّ غدا وليس معنا مدى، أفنذبح بالقصب؟ فقال: ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكل، ليس السنّ، والظفر، وسأخبركم عنه: أما السنّ: فعظم، أما الظفر: فمدى الحبشة".

---

[1] سورة الأنعام، الآية: 145.
[2] ابن حجر، الفتح، ج9، ص: 624.
[3] محمد علي السايس، تفسير آيات الأحكام، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة 1418/1هـ-1998م، ج2، ص: 233.
[4] البخاري، الجامع الصحيح، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ، اليمامة دار ابن كثير ، ط3، 1407هـ-1987م، ج5، ص: 2094.

4- الاشتراك بين حقائق شرعية غير متعارضة:

وفي هذه الحالة لا تردد في حمل التركيب على جميع ما يحتمله، إذا لم تقم القرينة على تعيين المراد بالمشترك[1]. مثاله[2]: قوله: سورة ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[3]، فلفظ الكوثر عند العرب مشتق من الكثرة، إذ تسمّي "كل شيء كثير في العدد، أو في القدر، أو الخطر، كوثرا"[4]. وأشار البخاري -عند حمله لفظ الكوثر على النهر- بحديثين:

أحدهما: لتأكيد الدلالة. فعن أنس رضي الله عنه قال: "لمّا عرج بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى السماء قال: أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوّف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر".

ثانيهما: للتصريح بالدلالة واختصاصها بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فعن أبي عبيدة، عن عائشة[5] رضي الله عنه قال: "سألتها عن قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ قالت: هو نهر أعطيه نبيّكم صلى الله عليه وآله وسلم، شاطئاه عليه درّ مجوّف، آنيته كعدد النجوم".

وبما أن لفظ الكوثر يحتمل دلالة الخير مطلقا، فقد أشار البخاريّ إلى مطلق هذه الدلالة. فعن سعيد بن جبير[6] عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في الكوثر: "هو الخير الذي أعطاه الله إيّاه". قال أبو بشر: "قلت لسعيد بن جبير: فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنّة؟ فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إيّاه". فقول عائشة رضي الله عنها معنى متولد من المعنى العام الذي ذكره ابن عباس رضي الله عنه، وقول سعيد بن جبير تأويل صحيح ساقه

---

[1] أبو العينين بدران، أصول الفقه الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ص: 392.
[2] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 731.
[3] سورة الكوثر، الآية: 01.
[4] بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تحقيق: صدقي جميل العطار، بيروت، دار الفكر، الطبعة 1418/01هـ-1998م، ج13، ص: 515.
[5] أم عبد الله عائشة بنت أبي بكر الصديق، أم المؤمنين وأفضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بعد خديجة، أفقه النساء وأفصحهن، خصالها جليلة وعظيمة، وأعرف من أن تعرف، ماتت سنة 58هـ. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج2، ص: 15 - أبو عبد الله الزبير بن بكار بن مصعب الزبيري، المنتخب من كتاب أزواج النبي صلى الله علي وآله وسلم، تحقيق: سكينة الشهابي، ، بيروت، مؤسسة الرسالة ، ط1، 1403هـ، ص: 38.
[6] سعيد بن جبير الأسدي، تابي جليل، عابد صالح، محدث فقيه وعالم مفسر، قتله الحجاج سنة 95هـ والخلق بحاجة إلى علمه. القيسراني، تذكرة الحفاظ، ج1، ص: 76 - أبو عبد الرحمن بن شعيب النسائي، تسمية فقهاء الأمصار، تحقيق: محمد إبراهيم زايد، ، حلب، دار الوعي ، ط1، 1369هـ، ج1، ص: 127 - أبو حفص عمر بن أحمد الواعظ، تاريخ أسماء الثقات، تحقيق: صبحي السامرائي، الكويت، دار السلفية، ط1، 1404هـ-1984م، ج1، ص: 140.

البخاريّ ليحمل اللفظ على الدلالتين، إذ "لا تنافي بينهما؛ لأن النهر فرد من أفراد الخير الكثير"[1].

وبما أن حديث أنس رضي الله عنه يشير إلى مقام الإسراء والمعراج، فإن تأويل سعيد بن جبير رضي الله عنه أولى، إذ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أنعم الله عليه في هذا المقام من كلّ أنواع الخير. قال تعالى: ﴿لقدْ رَأى مِنَ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى﴾ [2]. وأعظم نعمة من هذا الخير الكثير، اصطفاؤه بالنبوّة والرّسالة، وتأييده بالكتاب والسنة، ونصرته وموالاته[3]. والله أعلم.

5- الاشتراك بسبب الإشكال في دلالة اللفظ

وفي هذا الحالة يذكر النص القرآني الدال على الحكم الشرعي، ثم يورد السنة النبوية ليؤكد الحكم، ويقويه، ويبين درجته في التكليف:

مثاله[4]: باب ما قيل في شهادة الزور لقول الله تعالى: ﴿وَالذِّينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [5]، وكتمان الشهادة: ﴿وَلاَ تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ، وَمَنْ يَّكْتُمْهَا فَإِنَّهُ~ آثِمٌ قَلْبُهُ~ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [6]، ثم ساق الحديث ليبين أن شهادة الزور من الكبائر. عن أنس[7] رضي الله عنه قال: سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الكبائر قال: "الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وشهادة الزور". ثم ساق الحديث الثاني ليؤكد حكم الكبيرة من خلال شاهد القرينة اللفظية المكررة في الحديث: "ألا وقول الزور".

---

[1] القسطلاني، إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، ج7، ص: 435 – عمدة القاري، ج13، ص: 516.
[2] سورة النجم، الآية: 18.
[3] محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، القاهرة، مكتبة السنّة، الطبعة 1408/04هـ، ص: 56 – محمد عزّة دروزة، التفسير الحديث، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ط/1381هـ-1962م، ص: 177.
[4] ابن حجر، الفتح، ج5، ص: 261.
[5] سورة الفرقان، الآية: 72.
[6] سورة البقرة، الآية: 283.
[7] أبو ثمامة أنس بن مالك بن النضر النجاري الخزرجي الأنصاري، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه وكاتم سره، آخر الصحابة موتا بالبصرة سنة 93هـ. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج1، ص: 710.

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر -ثلاثا-؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، -وجلس وكان متكئا- فقال: ألا وقول الزور. قال: فمازال يكرّرها حتى قلنا: ليته سكت".

المطلب الثالث: بيان عموم القرآن بالسنة

وللبخاري منهجه في التعامل مع نصوص العام والخاص، إذ يقوم على قواعد منها:

1- الأخذ بالعموم حيث لا دلالة على التخصيص[1]:

إذا دل النص الشرعي على العموم وجب حمله عليه، إذ "مذهب الجمهور وجوب اعتقاد العموم والعمل به من غير توقف على البحث عن المخصص؛ لأن اللفظ موضوع للعموم فيجب العمل بمقتضاه ..."[2]. مثاله[3]: باب الاعتكاف في العشر الأواخر، والاعتكاف في المساجد كلها. لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا﴾ [4]. ثم ساق ثلاثة أحاديث[5] لبيان مشروعية الاعتكاف، واشتراط المسجد فيه مطلقا، إذ "ظاهر الآية عدم التفرقة بين المساجد ..."[6]، وهذا ما ذهب إليه جمهور فقهاء الأمصار مثل الإمام مالك، إذ يقول في الآية: "فعمّ الله المساجد كلها ولم يخص شيئا منها ..." [7]، وكذلك ذهب الشافعية والحنفية والحنابلة إلى هذا القول[8].

---

[1] أبو الوليد الباجي، إحكام الفصول في أحكام الأصول، ص: 233. وهذه القاعدة مذهب مالك وجمهور المالكية وعامة الفقهاء كما قرر ذلك الباجي. وينظر: أبو حامد الغزالي، المنخول، ص: 181.

[2] محمد الأمين الشنقيطي، مذكرة أصول الفقه، الجزائر، الدار السلفية، ص: 217. ويتأكد حمل العام على عمومه إذا تجرد عن قرائن التخصيص، ينظر: أحمد بن علي الرازي الجصاص، الفصول في الأصول، تحقيق: عجيل جاسم النشمي، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ط1، 1405هـ، ج1، ص: 99.

[3] ابن حجر، الفتح، ج4، ص: 271.

[4] سورة البقرة، الآية: 187.

[5] والأحاديث التي ساقها للاستدلال هي : 2025 – 2026 – 2027.

[6] محمد علي السايس، تفسير آيات الأحكام، ج1، ص: 88.

[7] مالك بن أنس، الموطأ، ص: 358.

[8] ابن قدامة المقدسي، المغني، بيروت، دار الكتاب العربي، ط/1403هـ-1983م، ج3، ص: 124.

2- التمثيل بفرد من أفراد العام:

إذا ورد اللفظ القرآني بصيغة العموم، وورد آخر بصيغة الخصوص، دالا على بعض ما يدل عليه العام، فلا يكون اللفظ الخاص مخصصا للعام بجنس مدلول الخاص، ومخرجا عنه ما سواه مما يتناوله اللفظ العام[1]، مثاله[2]: باب ﴿لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَآ أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ﴾ [3]. فالآية عامة في النهي عن تحريم الطيبات، لورود لفظ -طيبات- نكرة في سياق النهي.

ولقد مثل البخاريّ ببعض ما يتناوله اللفظ العام، فساق حديث النهي عن الخصاء، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "كنا نغزوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وليس معنا نساء، فقلنا: ألا نختصي؟ فنهانا عن ذلك، فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب، ثم قرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَآ أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ﴾". ولقد بيّن البخاريّ أن الخصاء وعدم النكاح هو من جنس تحريم الطيبات، ولهذا بوب له بباب: ما يكره من التبتل والخصاء[4].

3- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[5]:

ومعنى القاعدة: عدم قصر اللفظ العام في دلالته على سبب الحادثة، بل يتعين تعدي المعنى إلى غيره ليطابق لفظ الآية فيشمل وصفها[6]، وبهذا يتحقق معنى عموم الهداية التي جاء بها القرآن، ويتأكد معنى الشمول والعموم لآيات القرآن[7]، وحصر اللفظ العام على السبب لم يقل به علماء المسلمين، "وإنما غاية ما يقال: إنما تختص بنوع ذلك الشخص فيعم ما يشبهه، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ، واللفظ العام الوارد على سبب خاص له ثلاث حالات"[8]:

---

[1] الآمدي، الإحكام في الأحكام، ج2، ص: 335.
[2] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 276.
[3] سورة المائدة، الآية: 87.
[4] ابن حجر، الفتح، ج9، ص: 117.
[5] عبد الرحمن السعدي، القواعد الحسان، الرياض، دار ابن الجوزي، الطبعة 1421/2هـ، ص: 18.
[6] علي محمد الزبيدي، ابن جزي ومنهجه في التفسير، دمشق، دار القلم، الطبعة 1407/1هـ-1987م، ج1، ص: 415.
[7] عبد الله محمد شحاته، منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن ، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة 1984م، ص: 48.
[8] خالد بن عثمان السبت، قواعد التفسير، الخبر، السعودية، دار ابن عفان، الطبعة 1417/1هـ-1998م، ج2، ص: 593.

أ- أن يقترن باللفظ ما يدل على العموم، وفي هذه الصورة يعم النص إجماعا لدلالة القرينة اللفظية صراحة، مثاله[1]: باب ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ الَّيْلِ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [2]. ثم ساق البخاري حديث ابن مسعود رضي الله عنه: "أن رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره، فأنزل الله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ الَّيْلِ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾، فقال الرجل: يا رسول الله: ألي هذا؟ قال: لجميع أمتي كلهم". وبحكم العموم بوّب البخاريّ: الصلاة كفارة[3].

ب- أن يقترن باللفظ العام ما يدل على التخصيص، وفي هذه الصورة يخص إجماعا، ومثال ذلك: خصائص النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

ج- أن لا يقترن باللفظ العام دليل التعميم ولا التخصيص، وفي هذه الصورة يأخذ البخاريّ بـــ: "عموم اللفظ لا بخصوص السبب". مثاله[4]: باب ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَآئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ﴾ [5]. ولقد ساق حديثين ليشير أن الآية لها سببين:

1- الخصومة على البئر.

2- الحلف الكاذب على السلعة.

أما الحديث الأول؛ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من حلف يمين صبر ليقتطع بها مال امرئ مسلم، لقي الله وهو عليه غضبان. فأنزل الله تصديق ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَآئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾ إلى آخر الآية. قال: فدخل الأشعث بن قيس وقال: ما يحدثكم أبو عبد الرحمن؟ قلنا: كذا وكذا. قال: فيّ أنزلت، كانت لي بئر في أرض ابن عم لي. قال النبيّ صلى الله عليه وآله

---

[1] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 355.
[2] سورة هود، الآية: 114.
[3] ابن حجر، الفتح، ج2، ص: 08.
[4] المصدر نفسه، ج8، ص: 212.
[5] سورة آل عمران، الآية: 77.

وسلم: بيّنتك أو يمينه، فقلت: إذا يحلف يا رسول الله، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم وهو فيها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان".

أما الحديث الثاني فعن عبد الله ابن أبي أوفى رضي الله عنه: "أن رجلا أقام سلعة في السوق فحلف فيها لقد أعطي بها ما لم يعطه ليوقع فيها رجلا من المسلمين، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً ...﴾ إلى آخر الآية".

ومما يؤكد تقديم البخاريّ عموم اللفظ على خصوص السبب، إيراده حديث ابن عباس في حكمه بين متخاصمين، ثم استدلاله على قضائه بعموم الآية[1]. فعن ابن أبي مليكة رضي الله عنه أن امرأتين كانتا تخرزان في بيت -أو في حجرة-، فخرجت إحداهما وقد أنفذ بالشفرا في كفّها، فادعت على الأخرى، فرفع إلى ابن عباس رضي الله عنه، فقال ابن عباس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لو يعطى الناس بدعواهم لذهب دماء قوم وأموالهم. ذكّروها بالله واقرأوا عليها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً ...﴾، فذكّروها فاعترفت. فقال ابن عباس رضي الله عنه: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: "اليمين على المدّعى عليه".

---

[1] ولقد وظف البخاريّ قاعدة عموم اللفظ دون خصوص السبب في الأبواب التالية: باب كلام الخصوم بعضهم في بعض، الفتح، ج5، ص: 73 – باب الخصومة في البئر والقضاء فيها، ج5، ص: 33 – باب سؤال الحاكم المدّعي هل لك بيّنة قبل اليمين، ج5، ص: 279 – باب اليمين على المدّعى عليه في الأموال والحدود، ج5، ص: 280.

4- حمل العام على الخاص:

إذا ثبت من السنة ما يخصص عموم القرآن صار إليه البخاري، ومن خلال استقراء النماذج التطبيقية، ألاحظ أنه يرى جواز تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد، وهذا ما نص عليه أحمد[1]، وذهب إليه المالكية، والشافعية، والحنابلة[2]. مثاله[3]: باب النذر في الطاعة. فقد ساق الآية الدالة على عموم النذر بصيغة العموم "ما"، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقتُم مِّن نَّفَقَةٍ اَوْ نَذَرتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنَ اَنصَارٍ﴾ [4]. ثم ساق الحديث المخصص لعموم النذر، فقصره على طاعة الله تعالى دون معصيته، فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه".

المطلب الرابع: بيان مطلق القرآن بالسنة[5]

إن مما يلاحظ على البخاريّ أنه إذا ورد عنده النص القرآني مطلقا وثبت ما يقيده من السنّة، حمل المطلق من القرآن على المقيّد من الحديث. مثاله[6]: قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا اَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِنْ رَّأسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِن صِيَامٍ اَوْ صَدَقَةٍ اَوْ نُسُكٍ﴾ [7]. فقد ورد لفظ الصيام، والصدقة، والنسك، نكرة في سياق الإثبات، فدل على الإطلاق[8].

---

[1] شهاب الدين أحمد بن محمد عبد الغني، المسوّدة، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الكتاب العربي، ص: 119.
هو الإمام الجليل أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، أحدالأئمة الأربعة عند أهل السنة، فقيه مجتهد، ومحدث متقن، نصر الله به الدين زمن الفتنة -فتنة القول بخلق القرآن أيام الخليفة المأمون-، مات سنة 241هـ. ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل،تحقيق:عبد الله بن عبد المحسن التركي،مصر،مكتبة الخانجي ط1، 1399هـ-1979م.

[2] الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ج2، ص: 322 – الباجي، كتاب الإشارات في أصول الفقه المالكي، تحقيق: محمد حريزي، الجزائر، دار الرسالة، ص: 23.

[3] ابن حجر، الفتح، ج11 ، ص: 581.

[4] سورة البقرة، الآية: 270.

[5] عبد العلي نظام الدين الأنصاري، فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، بيروت، دار الفكر، ج1، ص: 362 – أبو الوليد الباجي، إحكام الفصول في أحكام الاصول، ص: 279.

[6] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 186.

[7] سورة البقرة، الآية: 196.

[8] ابن حجر، الفتح، ج4، ص: 12.

ولقد ساق البخاريّ من الحديث ما يقيّد هذه الألفاظ الثلاث:

1- تقييد مطلق الصيام بتحديد عدده، إذ حمله على ثلاثة أيام[1] لحديث كعب بن عجرة[2] رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "لعلّك آذاك هوامّك" قال نعم يا رسول الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "احلق رأسك وصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، أو أنسك شاة".

2- تقييد مطلق الإطعام -الصدقة- بتحديد مقداره، إذ حمله على نصف صاع. قال[3]: باب الإطعام في الفدية نصف صاع، لحديث عبد الله بن معقل قال: جلست إلى كعب بن عجرة رضي الله عنه، فسألته عن الفدية فقال: نزلت فيّ خاصة وهي لكم عامّة. حملت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقمل يتناثر على وجهي، فقال: "ما كنت أرى الوجع بلغ بك ما أرى -أو ما كنت أرى الجهد بلغ بك ما أرى-، تجد شاة؟ فقلت: لا. فقال: فصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، لكلّ مسكين نصف صاع".

ثم نقل البخاريّ النصّ النبويّ الذي يحدد به مستحقي الطعام فقيّد عددهم، قال[4]: باب قوله تعالى: ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ وهي إطعام ستة مساكين لحديث عبد الرحمن ابن أبي ليلى رضي الله عنه أن كعب بن عجرة رضي الله عنه حدّثه قال: "وقف عليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحديبية ورأسي يتهافت قملا فقال: يؤذيك هوامّك؟ قلت: نعم، قال: فاحلق رأسك -أو قال: احلق-. قال: فيّ نزلت هذه الآية: ﴿فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه﴾ إلى آخرها، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: صم ثلاثة أيام، أو تصدّق بفرق بين ستة، أو أنسك بما تيسّر".

---

[1] المصدر نفسه،ج4، ص: 16. وبحديث الباب الذي يحدد نصف الصاع لكل مسكين يتبين أن مقدار الفرق المذكور في الطرق يحمل على ثلاثة آصع لستة مساكين.

[2] أبو محمد كعب بن عجرة السالمي الأنصاري من بني سالم بن عوف، الصحابي المجاهد المرابط، شهد المشاهد، روى عنه بنوه، مات سنة 52هـ وعمره 95سنة. أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنضلي، الجهاد، تحقيق: نزيه حماد، ، تونس، الدار التونسية ، ط 1972م، ج1، ص: 146 - أبو بكر أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني، رجال مسلم، تحقيق: عبد الله الليثي، بيروت، دار المعرفة ، ط1، 1407هـ، ج2، ص: 154 - السيوطي، إسعاف المبطئ برجال الموطأ، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ط 1389هـ-1969م، ج1، ص: 24.

[3] ابن حجر، الفتح،ج4،ص16 .

[4] ابن حجر، الفتح، ج4، ص: 18.

3- تقييد مطلق النسك ببيان صفته، إذ الحكم على الشيء بالصفة تقييد له[1]: ولقد ساق البخاريّ النصّ النبويّ ليبين أن النّسك هو الشاة فقال[2]: باب "النسك شاة". فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن كعب بن عجرة رضي الله عنه: "أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رآه وأنه يسقط على وجهه القمل فقال: أيؤذيك هوامّك؟ قال: نعم. فأمره أن يحلق وهو بالحديبية ولم يتبين لهم أنّهم يحلون بها وهم على طمع أن يدخلوا مكة. فأنزل الله الفدية، فأمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يطعم فرقا بين ستة، أو يهدي شاة، أو يصوم ثلاثة أيام".

المبحث الثاني: البخاري وآليات التفسير النبوي

1- تفسير اللفظ القرآني بذكر متعلّقه من السنة[3]:

قد يرد اللفظ القرآني مبهما، فلا تدرك العلاقة العامة للتركيب إلا ببيانه، وذلك لتعلق المعنى العام له بمعنى اللفظ المفرد. مثاله[4]: باب ﴿وقولوا حِطّة﴾ [5]، فالوعد بمغفرة الذنوب والزيادة في الخير، أو الوعيد بالرجز، معنيان متعلقان بفهم دلالة اللفظ الذي غيروه وبدلوه وهو: "حِطّة"، لهذا ساق البخاريّ الحديث الذي يبين ذلك، فعن أبي هريرة[6] رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: "قيل لبني إسرائيل: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ فبدلوا، فدخلوا يزحفون على أستاههم[7]، وقالوا: حبة في شعرة".

---

[1] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص: 15.

[2] ابن حجر، الفتح، ج4، ص: 18. ورواية الباب صريحة في تقييد مطلق النسك بالشاة عكس بعض الطرق الأخرى التي أوردها مثلا في باب: الحلق من الأذى، فقد جاءت بصيغة: "أو أنسك نسيكة". ابن حجر، الفتح، ج10، ص: 154.

[3] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج1، ص: 58.

[4] ابن حجر، الفتح، ج8 ، ص: 304.

[5] سورة البقرة، الآية: 58.

[6] أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي، صحابي جليل من أهل الصفة، أحفظ الصحابة، أسلم عام خيبر، مات سنة 57هـ. ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج4، ص: 316.

[7] الأست: وأصلها سته فحذفت الهاء وعوض منها الهمزة ومعناها ضخم الإليتين وجمعها أستاه. الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ، لبنان، دار المعرفة ، ط2، ج4، ص: 77.

2- تفسير اللفظ القرآني بذكر الناسخ من المنسوخ[1]:

لقد مثّل البخاريّ للنسخ بتصديره كتاب الوصايا[2] بآية الوصية، قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمَا فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [3] ثم أشار لحكم الوجوب بالوصية للوالدين من خلال إيراده حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه، يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده". ثم بيّن أن الوصية للوالدين منسوخة بإثبات الميراث لهما[4]، "فقام الميراث مقام الوصية، فلم يجز الجمع بينهما"[5]. ثم صرّح بحكم النسخ بترجمة الباب[6]: لا وصية لوارث، وهو حديث ليس على شرطه، وكذلك بما نقله عن ابن عباس رضي الله عنه صريحا بقوله: "كان المال للولد، وكانت الوصية للوالدين، فنسخ الله ذلك ما أحبّ، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس، وجعل للمرأة الثمن والربع، وللزوج الشطر والربع".

والملاحظ على البخاريّ في هذا المثال أنه لمّح لآية الوصية بقول ابن عباس رضي الله عنه، ثم لمّح للناسخ بترجمة الباب إذ هو ليس على شرطه، ثمّ أضاف إلى الحديث الناسخ التلميح بمعضد آخر وهو: آية المواريث الذي فصّلها ابن عباس بقوله[7]. وبهذا قال كثير من أهل العلم أن آية الوصية "منسوخة بآية المواريث مع قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا وصية

---

[1] والنسخ بيان للقرآن لأنه "نوع من أنواع البيان، فكل نسخ بيان وليس كل بيان نسخا". ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، بيروت، دار الجيل، الطبعة 1407/2هـ-1987م، ج4، ص: 464.

[2] ابن حجر، الفتح، ج5 ، ص: 355.

[3] سورة البقرة، الآية: 180-182.

[4] أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ، تحقيق: صالح الضامن،بيروت، مؤسسة الرسالة ، ط1، 1415هـ، ص: 17 - أبو الخطاب قتادة ابن دعامة السدوسي، الناسخ والمنسوخ، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ، بيروت، مؤسسة الرسالة ، ط1، 1404هـ، ص: 35.

[5] الكيا الهراسي، أحكام القرآن، ج1، ص: 59.

[6] ابن حجر، الفتح، ج5، ص: 382.

[7] وبهذه الملاحظة يتضح أن من أصول منهج التفسير عند البخاري: جواز نسخ القرآن بخبر الآحاد إذا عضده القرآن فيكون الخبر دليلا مبينا للناسخ. مرعي بن يوسف الكرمي، قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، تحقيق: سامي عطا حسن، الكويت دار القرآن الكريم، ، ط1400هـ ج1، ص: 36.

لوارث)[1]، وبهذا تحدث المعاضدة بين آية المواريث والسنة الناسخة، لتدل على توافق الكتاب والسنة في الدلالة على الأحكام الشرعية"[2].

3- تفسير اللفظ القرآني بذكر سبب النزول[3]:

ونقصد بسبب النزول -الذي يفسر القرآن-، تلك "الحادثة التي وقعت في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فاقتضت إنزال آية أو آيات تبين حكم الله فيها ..."[4]، كما أنها تساعد على الفهم الصحيح للنص القرآني، وتعين على تحديد الدلالة التي يشير إليها[5]. مثاله[6]: باب ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ [7]. ثم ساق الحديث عن الحسن البصري قال: "﴿فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ﴾، قال: حدثني معقل بن يسار أنها نزلت فيه. قال: زوّجت أختا لي من رجل، فطلقها حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها فقلت له: زوّجتك وأفرجتك وأكرمتك فطلقتها ثم جئت تخطبها، لا والله لا تعود إليك أبدا، وكان رجلا لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله هذه الآية: ﴿فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ﴾، فقلت الآن أفعل يا رسول الله. قال: فزوجها إياه". ولقد بينت قصة النزول دلالة الإعضال بما يلحقه ولي النكاح من الضرر -يمنع

---

[1] صديق حسن خان، البيان في مقاصد القرآن، مراجعة: عبد الله إبراهيم الأنصاري، بيروت، المكتبة العصرية، ط/1412هـ-1992م، ج1، ص: 359.

[2] البوطي، مباحث الكتاب والسنة، ص: 284 – أبو عبد الله شمس الدين بن القيم، مفتاح دار السعادة، تحقيق: علي بن حسين الحلبي، الخبر السعودية، دار ابن عفان، ط1/1416هـ-1996م، ج2، ص: 388 – هبة الله بن عبد الرحيم بن البارزي، ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه، تحقيق: حاتم صالح الضامن، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405، ج1، ص: 25 – أبو محمد علي بن حزم، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تحقيق: بد الغفار سليمان البنداري ، بيروت، دار الكتب العلمية ، ط1، 1406هـ، ج1، ص: 24.

[3] ونقصد بذلك أن فهم دلالة النص القرآني متوقف على فهم مضمون السبب الذي نزل من أجله. شلبي، أصول الفقه، ص: 99. والعلم بسبب النزول يعين على فهم علل الأحكام ومقاصدها. ينظر: فاضل أحمد شاكر، فرج توفيق الوليد، المنتقى في علوم القرآن، ، بغداد، مطبعة جامعة بغداد ، ط1979م، ص: 127.

[4] عبد الفتاح القاضي، أسباب النزول عند الصحابة والمفسرين، القاهرة، دار المصحف، الطبعة 1، ص: 06.

[5] فلا يتصور في العالم المجتهد الذي يجمع بين الفهم والاستنباط "أن يجهل أسباب الحوادث ودوافعها إن أراد الوصول إلى الحقائق...". صبحي صالح، مباحث في علوم القرآن، ص: 127.

[6] ابن حجر، الفتح، ج1، ص: 196.

[7] سورة البقرة، الآية: 232.

وليته النكاح-. ولقد كان لفظ الصحابي صريحا في نزول الآية في هذه القصة[1]، فله حكم الرفع على منهج البخاري في تعامله مع أسباب النزول[2].

4- تفسير اللفظ القرآني بذكر مؤكداته من السنة:

أن يؤكد دلالة النص القرآني بما ينتزعه من السنة من اللفظ المطابق للنص القرآني فيكون التأكد بالمطابقة اللفظية:

مثاله[3]: باب: أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [4]. ثم ساق حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله: أيّ الناس أفضل؟ فقالصلى الله عليه وآله وسلم: "مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله، قالوا: ثم من؟ قال: مؤمن في شعب من الشعاب، يتقي الله ويدع الناس من شرّه". والملاحظ في هذا النوع من التفسير أنّ البخاريّ يقتصر -عند الدلالة بالسنة على القرآن- على ظاهر معناها المنتزع من التركيب، فيوظفه كأداة للبيان ولتأكيد.

---

[1] فكل طرق الحديث نقلت حكم التصريح بنزول الآية في هذه القصة. ففي الطريق رقم: 4539، قال الصحابيّ: "فنزلت ..." وفي الطريق رقم: 5130، قال: "فأنزل الله هذه الآية ..."، وفي الطريق رقم: 5331، قال: "فأنزل الله ..."، وإذا جاء الراوي بـــ "فاء تعقيبية داخلة على مادة نزول الآية بعد سرده حادثة ما ... فذلك نص واضح في السببية ...". صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآني، ص: 142. أنظر تفصيل سبب نزول الآية: ابن حجر العسقلاني، العجاب في بيان الأسباب، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، الذمام، السعودية، دار ابن الجوزي،ط1/97، ج1، ص: 591 – السيوطي، لباب النقول في اسباب النزول، ، بيروت، دار إحياء العلوم ، ج1، ص: 46.

[2] أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، التبصرة والتذكرة، بيروت، دار الكتب العلمية، ، ج1، ص:132.

[3] ابن حجر، الفتح، ج6، ص: 06.

[4] سورة الصف، الآية: 10-11.

5- تفسير اللفظ القرآني بذكر ضده من السنة:

من وجوه البيان عند البخاري، تفسير اللفظ القرآني بذكر ضده من دليل آخر مستقل، ليستنبط معنى تشهد له أدلة الشرع ومقاصد الدين. مثاله[1]: باب: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [2]. فقد روى عن ابن عباس قال: "قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إنا من هذا الحي من ربيعة ولسنا نصل إليك إلا في الشهر الحرام، فمرنا بشيء نأخذه عنك وندعوا إليه من وراءنا، فقال: آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع: الإيمان بالله –ثم فسر لهم–: شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا إلي خمس ما غنمتم، وأنهى عن الدباء والحنتم، والمقير، والنقير".

فنص الآية دل على أن ترك الصلاة من أفعال المشركين، ولهذا قرنت الآية بين نفي الشرك وإقامتها، ثم فسر البخاري هذا المعنى بذكر ضده من دليل السنة، إذ قرن إثبات التوحيد بإقامة الصلاة.

---

[1] ابن حجر، الفتح، ج2، ص: 07.
[2] سورة الروم، الآية: 31.

الفصل الرابع

البخاري وتفسير القرآن بأقوال الصحابة



المبحث الأول: البخاري وإسناد أقوال الصحابة

المبحث الثاني: البخاري ومقاصد الاستدلال

بأقوال الصحابة

الفصل الرابع: البخاري وتفسير القرآن بأقوال الصحابة[1]

إن إدراك قيمة التفسير بالمأثور تكمن في إدراك عظمة الصحابة وعلو منزلتهم، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2].

فكل تفسير من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما هو إلا بيان لما أشكل عند الصحابة من القرآن، إذ هم مصدر السؤال، والوعاء الذي حوى البيان النبويّ، وبهذا يصبح ما نقل عنهم من التفاسير المختصة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معتمدة، إذ "يبعد كل البعد أن يفسر أحدهم كتاب الله تعالى ولم يسمع في ذلك شيئا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ..."[3].

المبحث الأول: البخاري وإسناد أقوال الصحابة:

إن الاعتماد على أقوال الصحابة في البيان راجح لاعتبارات متعددة[4]:

1- الصحابة أعدل الخلق على الإطلاق بصريح نص القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾[5]، ولحديث ابن مسعود رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم

---

[1] الشاطبي، الموافقات، ج3، ص:251 – محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى، إيثار الحق على الخلق، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1987م، ص: 146 – أحمد بن حسين البيهقي، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، تحقيق: أحمد عاصم الكاتب، بيروت، دار الآفاق الجديدة ، ط1401،1هـ، ص: 317 – أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، اعتقاد أئمة الحديث، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، ، الرياض، دار العاصمة ، ط1، 1412هـ، ص: 72.

[2] سورة التوبة، الآية: 100.

[3] صديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج1، ص: 18.

[4] ابن كثير، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، أحمد محمد شاكر، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة 1403/1هـ-1983م، ص: 44.

[5] سورة آل عمران، الآية: 110.

الذين يلونهم، ثمّ يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته"[1]. وقال محمد بن الحاج السفاريني[2]:

وليس في الأمة كالصحابة ... في الفضل والمعروف والإصابة
فإنهم قد شاهدوا المختارا ... وعاينوا الأسرار والأنوارا
وجاهدوا في الله حتى بانا ... دين الهدى وقد سما الأديانا
وقد جاء في محكم التنزيل ... من فضلهم ما يشفي للغليل
وفي الأحاديث وفي الآثار ... وفي كلام القوم والأشعارا

2- الصحابة أعلم الخلق بالقرآن بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ،عليهم نزل ،وبين أظهرهم فسِّر. قال ابن مسعود رضي الله عنه: "من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما"[3]. ولقد زكّى القرآن علمهم، قال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ﴾[4]، قال قتادة: "هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم"[5].

3- الصحابة أعلم الناس باللسان العربي، فهم عرب خلّص فصحاء، وبهذا الاعتبار "فهم أعرف في فهم الكتاب والسنة من غيرهم، فإذا جاء عنهم قول أو علم واقع موقع البيان صحّ الاعتماد عليه ..."[6]،و كيف لا تعتمد أقوالهم وهم "أبرّ هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلّها

---

[1] رواه البخاريّ في كتاب: فضائل أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم، باب: فضائل أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم ومن صحب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه، رقم الحديث: 3649، فتح الباري شرح صحيح البخاريّ، ج7، ص: 03

[2] محمّد بن علي بن سلوم، مختصر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرر المضية في عقد الفرقة المرضية، تحقيق: محمد زهري النجار، بيروت، دار الكتب العلمية، ط/1403هـ-1983م، ص: 528.

[3] ونقل ابن الصلاح قول الشافعي في سعة علم الصحابة: "وهم فوقنا في كل علم واجتهاد، وورع وعقل، وأمر استدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا ...". مقدمة علوم الحديث، تعليق مصطفى ديب البغا، الجزائر، دار الهدى، ص: 263.

[4] سورة سبأ، الآية: 06.

[5] ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين، ج1، ص: 15. وقال أبو بكر الطمستاني: "الطريق واضح، والكتاب والسنة قائم بين أظهرنا، وفضل الصحابة معلوم لسبقهم ولصحبتهم، فمن صحب هذا الكتاب والسنة وتغرّب عن نفسه والخلق وهاجر بقلبه إلى الله فهو الصادق المصيب". السيوطي، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، المدينة النبوية، مطابع الجامعة الإسلامية، الطبعة 1456/5هـ، ص: 72.

[6] الشاطبي، الموافقات، ج3، ص: 251.

تكلفا، وأقومها هديا، وأحسنها حالا ..."[1]. ومعرفة الصحابة للغة بامتياز مكّنهم من فهم دلالات القرآن، واستعمالات خطابه،والوقوف على أسراره ومقاصده، وحكمه و تشريعاته[2].

4- الصحابة أعلم الخلق بأعراف العرب وعاداتها، وأحوال أهل الكتاب، فالقرآن ما نزل إلا ليصحح عقائدهم، ويحارب جاهليّتهم، وعلى هذا فالإحاطة بأعرافهم فهم لدلالات القرآن، وإدراك لأحكامه[3].

5- اختصاص الصحابة بمعرفة أسباب النزول القرآني، فقد شاهدوا الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم ولازموه، واستوعبوا أقواله وأفعاله، مما جعل قوّة الفهم عندهم أعظم، لا يصل إليها غيرهم. سئل عبيدة السماني عن آية من كتاب الله تعالى فقال للسائل: "عليك بتقوى الله والسداد، فقد ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن"[4]. ويشهد لعلم الصحابة بسبب النزول ما رواه البخاريّ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "والذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت ،ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم منّي بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه"[5].

ولقد وظف البخاريّ تفاسير الصحابة -في أغلب أبواب جامعه- مسندة إلى مصادرها الشرعية:

تفاسير الصحابة المسندة إلى القرآن:

- وفي هذه الصورة ينقل البخاري قول الصحابيّ ليبين به معنى لنص قرآني مجمل احتملت معانيه التعدّد، ثمّ يؤكد النقل بدليل القرآن. مثال[6] ما أخرجه معلقا عن عمر رضي الله

---

[1] ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج4، ص: 106.
[2] صبري متولي، منهجية أهل السنة في التفسير، القاهرة، دار الثقافة، ط1986،ص: 66.
[3] محمد مصطفى شلبي، أصول الفقه الإسلامي، ص: 361.
[4] ابن أبي شيبة، المصنف، ج10، ص: 511 – ابن حجر العسقلاني، العجاب في بيان الأسباب، ج1، ص: 199.
[5] رواه البخاريّ في كتاب: فضائل القرآن، باب: القرّاء من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، رقم الحديث: 5002. فتح الباري، ج9، ص: 47. وتخصيص البخاريّ كتابا لفضائل الصحابة مع كثرة اعتماد أقوالهم في أغلب أبواب الجامع، يشير إلى اعتبار حجيّة أقوالهم. والله أعلم.
[6] ابن حجر، الفتح، باب سورة "إذا الشمس كوّرت"، ج8، ص: 693.

عنه قال: "﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾[1] يزوّج نظيره من أهل الجنّة والنّار، ثمّ قرأ رضي الله عنه: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾"[2]. فقد قرن عمر رضي الله عنه "كل شكل إلى شكله، فجعل معه قرينا وزوجا، البرّ مع البرّ، والفاجر مع الفاجر"[3]. ويترجح تفسير عمر رضي الله عنه كونه ورد ضمن موضوع الحساب وعلامات القيامة.

تفاسير الصحابة المسندة إلى السنة:

وتفاسير الصحابة المسندة الى السنة قسمان هما

1- تفاسير الصحابة المسندة إلى السنة القولية : وتنقسم الى ثلاثة أقسام

ا- تفاسير الصحابة المسندة إلى السنة القولية تصريحا:

وفي هــذاالقسم ينقل البخاري تفسير الصحابي للنص القرآني مصرّحا بمستند السنة القولية. مثاله[4]: ما أخرجه عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾[5] حالا بعد حال. قال هذا نبيّكم صلى الله عليه وآله وسلم"[6].

ب - تفاسير الصحابة المسندة إلى السنة القولية تلميحا:

وفي هــذاالقسم ينقل البخاري قول الصحابيّ ثمّ يؤكده بالسنة القولية تلميحا. مثاله[7]: ما أخرجه عن ابن عمر رضي الله عنه قال: "إن الناس يوم القيامة جثا، كل أمة تتّبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فذلك يوم يبعثه

---

[1] سورة التكوير، الآية: 07.
[2] سورة الصافات، الآية: 22.
[3] ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة 1420/1هـ-1999م، ج1، ص: 43.
[4] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 698.
[5] سورة الانشقاق، الآية: 19.
[6] وإن كان رسم الآية ضم الباء في قوله تعالى: "لتركبنّ طبقا عن طبق" الذي هو خطاب للأمة، إلا أن تفسير ابن عبّاس رضي الله عنهما الذي ساقه البخاريّ يرجّح قراءة الفتح للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا ما ذكره صاحب اليونينية. القسطلاني، إرشاد الساري، ج8، ص: 415. ولخطاب الفتح الموجّه للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم ثلاث معاني: 1- لتركبنّ سماء بعد سماء إلى حيث يريد الله سبحانه. 2- لتركبنّ درجة بعد درجة ومنزلة بعد منزلة حتى تصل إلى معالي الزلفى. 3- حالا بعد حال من الهجرة والجهاد والنصرة والغنى والفقر. ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، ص: 70.
[7] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 399.

الله المقام المحمود". ثم ساق الحديث المرفوع ليرجّح به قول الصحابيّ في تفسير المقام المحمود بالشفاعة، فروى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "من قال حين يسمع النداء: اللهم ربّ هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمّدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته. حلت له شفاعتي يوم القيامة ".

ج- تفاسير الصحابة فيما لا مجال للرأي فيه:

وفي هذا القسم ينقل البخاري تفسير الصحابيّ للنص القرآني مستندا الى السنة القولية دون أن يصرح برفعها إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. مثاله[1]: ما أخرجه عن سليمان الشيباني قال: "سألت زرّا عن قول الله ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[2]. قال: حدثنا ابن مسعود أنه رأى جبريل له ستمائة جناح". ثمّ بيّن أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم رأى جبريل على صفته التي خلقه الله عليها. فروى عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[3] قال: "رأى رفرفا أخضر قد سدّ الأفق"[4].

2- تفاسير الصحابة المسندة إلى السنة الفعلية: وتنقسم الى قسمين

ا- تفاسير الصحابة المسندة إلى السنة الفعلية تصريحا:

وفي هـذا القسم ينقل البخاري تفسير الصحابيّ للنص القرآني مستندا الى السنة الفعلية تصريحا. مثاله[5]: ما أخرجه عن حوشب قال:سألت مجاهدا عن السجدة "ص"؟ فقال: سألت ابن عباس من أين سجدت؟ فقال: أو ما تقرأ ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ ... أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ فكان داود ممن أمر نبيّكم صلى الله عليه وآله وسلم أن يقتدي به. فسجدها داود، فسجدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

[1] المصدر نفسه، ج8، ص: 610.
[2] سورة النجم، الآية: 09.
[3] سورة النجم، الآية: 18.
[4] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 611.
[5] المصدر نفسه،ج8، ص: 611.

ب- تفاسير الصحابة المسندة إلى السنة الفعلية تلميحا:

وفي هـــذا القسم ينقل البخاري تفسير الصحابيّ للنص القرآني مستندا الى السنة الفعلية تلميحا دون تصريح. مثاله[1]: ما أخرجه عن نافع أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه كان إذا سئل عن صلاة الخوف قال: "يتقدّم الإمام وطائفة من الناس، فيصلّي بهم الإمام ركعة، وتكون طائفة منهم بينهم وبين العدوّ لم يصلّوا، فإذا صلى الذين معه ركعة استأخروا مكان الذين لم يصلوا ولا يسلّموا، ويتقدّم الذين لم يصلّوا فيصلون معه ركعة، ثم ينصرف الإمام وقد صلّى ركعتين، فيقوم كل واحد من الطائفتين قد صلى ركعتين. فإن كان خوف هو أشدّ من ذلك صلوا رجالا قياما على أقدامهم، أو ركبانا مستقبلي القبلة أو غير مستقبليها". قال مالك: قال نافع: "لا أرى عبد الله بن عمر ذكر ذلك إلا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم".

تفاسير الصحابة المسندة إلى الإجماع:

إن من منهج البخاريّ عند إثبات حكم النّسخ في القرآن،أن يورد قول الصحابيّ الصريح الذي يدلّ على حكم النسخ، ثمّ يؤكّده بنقل الإجماع الصريح كطريق تشريعيّ للدلالة على النسخ[2]. مثاله[3]: باب: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[4] ثمّ ساق قول ابن عمر رضي الله عنه أنه قرأ: ﴿فِدْيَةٌ طَعَامِ مَسَاكِينَ﴾. قال: هي منسوخة. ثمّ ساق قول سلمة بن الأكوع رضي الله عنه الذي يصرح بنصّ الناسخ والمنسوخ قال: "لما نزلت: ﴿وَعَلَى الذِّينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ كان من أراد أن يفطر ويفتدي. حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها". ثمّ نقل الإجماع الدّال على ثبوت النسخ من طريق ابن أبي ليلى قال: "حدّثنا أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله

---

[1] المصدر نفسه، ص: 199.
[2] البوطي، مباحث الكتاب والسنّة، ص: 309.
[3] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 180.
[4] سورة البقرة، الآية: 185.

وسلم: نزل رمضان فشق عليهم، فكان من أطعم كلّ يوم مسكينا ترك الصوم ممّن يطيقه، ورخّص لهم في ذلك. فنسختها ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فأمروا بالصوم"[1].

تفاسير الصحابة المسندة إلى القياس:

وفي هذه الصورة يستدل البخاريّ بقول الصحابيّ ليبين حكما شرعيا من خلال ملاحظة القياس الذي وظفه الصحابيّ. مثاله[2]: باب: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾[3]، ثم ساق قول ابن عباس رضي الله عنه في الآية: "عبد الرحمن ابن عوف[4] وكان جريحا". وبهذا فقد ألحق ابن عباس حكم الجريح بالمريض قياسا من خلال عطفه عليه[5].

تفاسير الصحابة المسندة إلى اللغة:

إن من منهج البخاريّ أن يستدلّ بقول الصحابيّ ليفسر مدلول لفظ، فالصحابة أعلم النّاس بمعهود الخطاب القرآني ووجوه معانيه، وإذا ثبت عنهم ذلك قدّمه على قول غيرهم، وقد يورد قولهم مسندا متّصلا على شرطه أو معلقا. مثاله[6]: باب: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا

---

[1] ابن حجر، الفتح، ج4، ص: 178. ومما يؤكد حكم الناسخ الذي نقله الصحابيّ ابن عمر وسلمة بن الأكوع إيراد سلمة لصيغة سبب النزول الصريحة عند ذكر نصّ الناسخ والمنسوخ، والصيغة الصريحة المسندة تنزل منزلة الخبر المرفوع الذي يعتمد الرواية والسماع ويقطع احتمال الرأي والاجتهاد. والله أعلم.

[2] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 264.

[3] سورة النساء، الآية: 102.

[4] أبو محمد عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي، كان اسمه عبد عمرو فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن، مات سنة 32هـ وعمره 75سنة. مسلم بن الحجاج، الكنى والأسماء، ج1، ص:717 – البخاري، التاريخ الكبير، ج5، ص: 239 – أبو عبد الله أحمد بن حنبل، الأسامي والكنى، تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع، الكويت، مكتبة دار الأقصى، ، ط1، 1406هـ-1985م، ج1، ص: 32.

[5] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 264.

[6] ابن حجر،الفتح، ج8، ص: 394. وقال القالي: "وأنشدنا أبو زيد: أمّ جَوَارَ ضنؤها غير أمر، ضنؤها نسلها، وأمِرَ المال وغيره يأمَرُ أمرةً وأمراً إذا كثر". القالي البغدادي، كتاب الأمالي، تحقيق: محمد عبد الجواد الأصمعي، القاهرة، دار الكتب المصرية، ج1، ص: 103.

مُتْرَفِيهَا﴾[1]. فعن عبد الله بن مسعود قال: "كنّا نقول للحيّ إذا كثروا في الجاهلية أُمِرَ بنو فلان". ثمّ ساق بسنده قراءة الجمهور -أمَرَ-"[2].

وقد يستدل البخاري بقول الصحابيّ المستفيض دون مخالف ليفسر دلالة نصّ قرآنيّ، مؤكدا تفسيره الذي رجّحه بطريق الاشتقاق[3]. مثاله[4]: باب ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾[5] "والكلالة من لم يرثه أب أو ابن. وهو مصدر من: تكلّله النسب"[6].

تفاسير الصحابة المسندة إلى العلم بملابسات الوقائع وأعراف الجاهلية[7] وأسباب النزول[8]:

- يقوم منهج البخاري على الاستشهاد بقول الصحابي الذي أدرك ملابسات الواقعة وعلم أحوال الأحداث زمن وقوع الوحي ليفسر نصا قرآنيا رافعا سوء الفهم عنه. مثاله[9]: ما أخرجه عن مسروق قال: "بينما رجل يحدّث في كندة فقال: يجيء دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام. ففزعنا فأتيت ابن مسعود وكان متكئا، فغضب فجلس فقال: من علم فليقل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا

---

[1] سورة الإسراء، الآية: 16.
[2] ابن حجر، الفتح، ج7، ص: 148 وج8، ص: 688. أنظر تفسير القرآن باللغة عن طريق الصحابة.
[3] إن الاشتقاق من أكمل الطرق في تعريف مدلولات الألفاظ كما قال الإمام الرازي، التفسير الكبير، ج1، ص: 12.
[4] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 267.
[5] سورة النساء، الآية: 176.
[6] وتفسير الكلالة الذي نقله البخاريّ، هو قول أبي بكر وإحدى الروايتين عن عمر. ابن العربي، أحكام القرآن، ج1، ص: 499 – وهو قول جمهور الصحابة والتابعين. ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 268 ونقل ابن حجر عن عبد الرزاق عن عمرو بن شرحبيل قوله: "ما رأيتهم إلا تواطئوا على ذلك". واثر عبد الرّزاق يدل على اشتهار تفسير أبي بكر دون مخالف. والله اعلم.
ولقد أكّد البخاريّ دلالة الاشتقاق بحديث جابر قال: "دخل عليّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأنا مريض، فدعا بوضوء فتوضأ، ثمّ نضح عليّ من وضوئه فأفقت فقلت: يا رسول الله، إنما لي أخوات فنزلت آية الفرائض". وهذا الحديث ساقه البخاريّ ليشرح الكلالة في قوله تعالى: "يوصيكم الله في أولادكم". ثمّ أكّد دلالة الاشتقاق بصيغة سبب النزول الصريحة التي نقلها ليؤكد معنى الكلالة في قوله : "يستفتونك ..."؛ فنقل عن البراء قوله: "آخر سورة نزلت: براءة، وآخر آية نزلت: يستفتونك". ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 243 و ج12، ص: 03-25-26.
[7] ولأعراف الجاهلية وعاداتها اعتبار في الشريعة لأن فهم النصّ الشرعي متوقف عليها فما نزل الا ليصحح أحوال العرب وغيرهم. والله أعلم.
[8] ينظر: ألفية السيوطي، في علم الحديث، تعليق: أحمد محمد شاكر، ، الجزائر، دار الرجاء ، ص: 22.
[9] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 511.

يعلم لا أعلم، فإن الله قال لنبيّه: ﴿قُلْ مَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ اَجْرٍ وَمَآ أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾[1]، وإن قريشا أبطئوا عن الإسلام فدعا عليهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف. فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها، وأكلوا الميتة والعظام، ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان، فجاء أبو سفيان وقال: يا محمّد، جئت تأمرنا بصلة الرّحم، وإنّ قومك قد هلكوا فادع الله. فقرأ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَاتِي السَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ اَلِيمٌ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُومِنُونَ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾[2]. أفيكشف عنهم عذاب الآخرة إذا جاء ثم عادوا إلى كفرهم؟ فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾[3] يوم بدر، و﴿لِزَاماً﴾[4] يوم بدر، ﴿الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾[5] والروم قد مضى".

– وقد يورد قول الصحابيّ الذي علم أعراف الجاهلية وعايش عاداتها قبل زمن الوحي ليفسر به نصا قرآنيا ويبيّن دلالته. مثاله[6]: ما أخرجه عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كانت قريش ومن دانت دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحمس، وكان سائر العرب يقفون بعرفات. فلما جاء الإسلام أمر الله نبيّه أن يأتي عرفات ثمّ يقف بها ثمّ يفيض منها، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾[7]".

ومن خلال رواية عائشة رضي الله عنها، يتّضح أن البخاريّ حمل لفظ أفيضوا على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، والمراد من ترك الوقوف بعرفة من الحمس –قريش وما ولدت–[8].

---

[1] سورة ص، الآية: 87.
[2] سورة الدخان، الآية: 10–15.
[3] السورة نفسها، الآية: 16.
[4] سورة الفرقان، الآية: 77.
[5] سورة الروم، الآية: 01–03.
[6] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 176.
[7] سورة البقرة، الآية: 199.
[8] ابن حجر، الفتح، ج3، ص: 517. والذي ذهب إليه البخاريّ هو الذي صوّبه الطبريّ ورجّحه لإجماع الحجة من أهل التفسير على تأويله. تفسير الطبريّ، ج2، ص: 293.

ومن هذا يتضح أن معرفة النصّ القرآني وحسن إدراك دلالاته يتعذر على من جهل أعراف العرب في الجاهلية[1].

تفاسير الصحابة المسندة إلى الرأي والاجتهاد[2]:

لقد بلغ الصحابة ذروة الاجتهاد والاستنباط. قال مجاهد يصف ابن عباس رضي الله عنه: "كان ابن عبّاس إذا فسّر الشيء رأيت عليه نورا. وقال كذلك: ما سمعت فتيا أحسن من فتيا ابن عبّاس، إلا أن يقول قائل قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم"[3].

ومن صور اجتهاد الصحابة التي استدل بها البخاريّ ما يلي:

1- أن يستدل بفهم الصحابيّ واجتهاده لتصحيح فهم مرجوح لدلالة قرآنية. مثاله[4]: باب: ﴿إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[5].

عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل عن قوله: "﴿إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم. فقال ابن عباس: عجلت، إن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة". فحمل ابن عباس الخطاب لقريش خاصّة بأن يوادوا النبيّ صلى الله عليه وآله

---

[1] محمد جميل غازي، من مفردات القرآن، الجزائر، شركة الشهاب، ص: 144 – السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد علي البجاوي، القاهرة، دار الفكر، ج1، ص: 145 – الشاطبيّ، الموافقات، ج3، ص: 261. ونص قوله: "ومعرفة عادات العرب في أقوالها وأحوالها ومجاري أفعالها ساعة التنزيل وإن لم يكن ثمّة سبب خاصّ لابدّ لمن أراد الخوض في علم القرآن منه وإلا وقع في الشبه والإشكالات التي يتعذر الخروج منها إلا بهذه المعرفة".

[2] قول الصحابي إذا لم ينتشر فهو حجة على مذهب مالك وأحمد، فإذا انتشر فهو على نوعين: 1- أن يوافقه غيره تصريحا، فهو إجماع. -2- أن لا يعارضه غيره فيقع السكوت، وهذه الحالة على صورتين: الأولى: أن لا يكون حجة، فلا ينسب لساكت قول. الثانية: أن يكون حجة شرط انقراض العصر. ينظر: أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني، التلخيص في أصول الفقه، تحقيق: عبد الله النيبلي، أحمد المري،مكة،مكتبة دارالباز، ط1، 1417هـ-1997م، ج3، ص: 99 – مناع القطان، تاريخ التشريع الإسلامي،القاهرة، مكتبة وهبة ، ط4، 1409هـ-1989م، ص: 375.

[3] ابن عبد البرّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج2، ص: 344.

[4] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 564.

[5] سورة الشورى، الآية: 23.

وسلم من أجل القرابة التي بينهم وبينه[1]. ولم يعلم لقول ابن عباس مخالف من الصحابة. و على هــذا فقوله حجّة عند جماهير العلماء[2].

2- أن تتعدد معاني اللّفظ القرآنيّ، فيستدلّ بفهم الصحابي الصحيح على رد مدلول خاطئ، وإن احتمله اللّفظ عند الإطلاق. مثاله[3]: باب: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ﴾[4]. عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه أن رجلا جاءه فقال: "يا أبا عبد الرحمن، ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُومِنِينَ اقْتَتَلُواْ﴾[5] إلى آخر الآية، فما يمنعك أن تقاتل كما ذكر الله في كتابه؟ فقال: يا ابن أخي أعيّر بهذه الآية ولا أقاتل أحبّ إليّ من أن أعيّر بالآية التي يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَّقْتُلْ مُومِنًا مُّتَعَمِّداً﴾[6] إلى آخرها. قال: فإن الله يقول : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ قال ابن عمر: قد فعلنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ كان الإسلام قليلا، فكان الرجل يفتن في دينه إما يقتلوه وإما يوثقوه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة. فلما رأى أنّه لا يوافقه فيما يريد قال: فما قولك في عليّ وعثمان؟ قال ابن عمر: ما قولي في عليّ وعثمان؟ أما عثمان فكان الله قد عفا عنه فكرهتم أن يعفو الله عنه، وأما عليّ فابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وختنه، -وأشار بيده- وهذه ابنته أو بنته حيث ترون..."

والشاهد من الحديث أن السائل حمل لفظ الفتنة في نصّ آية الباب على عمومها، فاستدل بها على ما يقع بين المسلمين من القتال حول الملك. لكنّ ابن عمر حملها على الخصوص وهو

---

[1] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 564 – ابن قتيبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: أحمد صقر، بيروت، المكتبة العلمية، ط1403/3هـ-1981م، ص: 450. وهذا التفسير رجّحه الطبريّ، جامع البيان، ج25، ص: 26 وأبو العباس تقي الدين بن تيمية، منهاج السنّة النبوية، بيروت، المكتبة العلمية، ج4، ص: 26 وابن كثير، تفسير ابن كثير، ج7، ص: 189 ومحمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، بيروت، دار الفكر، ج4، ص:537.

[2] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج20، ص: 14 – الشافعيّ، الرسالة، ص: 597.

[3] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 309 و 183.

[4] سورة الأنفال، الآية: 39.

[5] سورة الحجرات، الآية: 09.

[6] سورة النساء، الآية: 93.

الشرك[1]، كما حمل لفظ القتال على جهاد المشركين لا على ما يقع بين المسلمين. ودليل ذلك ما رواه البخاريّ[2] عن سعيد بن جبير قال: "خرج علينا –أو إلينا– ابن عمر فقال رجل: كيف ترى في قتال الفتنة؟ فقال: وهل تدري ما الفتنة؟ كان محمّد صلى الله عليه وآله وسلم يقاتل المشركين وكان الدخول عليهم فتنة وليس كقتالكم على الملك".

3- أن تتعدد دلالات اللفظ القرآني اشتراكا بالوضع، فتختلف عبارات الصحابة تنوّعا لا تضادا، فينقلها البخاريّ كلّها لعدم ثبوت مرجّح فيقول بها جميعا لإمكان اجتماعها دون تعارض. مثاله[3]: ما رواه عن ابن عبّاس قوله: قسورة؛ ركز الناس وأصواتهم، وكل شديد قسورة. وقال أبو هريرة: القسورة قسور الأسد". فالقولان وإن تنوّعا في التعبير عن مسمّى القسورة فقد اتفقا على معناه وهو الشدّة.

المبحث الثاني: البخاري ومقاصد الاستدلال بأقوال الصحابة:

لقد وظّف البخاريّ تفاسير الصحابة للقرآن لتحقيق مقاصد أهمّها:

1- توجيه القراءة القرآنية:

- أن ينقل قول الصحابيّ الذي مستنده القرآن ليوجّه معني قراءتين ثابتتين، مثاله قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ، وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾[4]، فقد روى[5] عن ابن أبي مليكة قال: قال ابن عبّاس رضي الله عنه: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ خفيفة[6] ذهب بها وتلا: ﴿حَتَّى يَقُولُ

---

[1] ومن نظائر الآيات التي معنى دلالتها يشير إلى تفسير الفتنة بالشرك قوله تعالى: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة" سورة البقرة، الآية: 193 – وقوله تعالى: "والفتنة أشد من القتل" سورة البقرة، الآية: 191 – وقوله تعالى: "ألا في الفتنة سقطوا" سورة التوبة، الآية: 49 – وقوله تعالى: "فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم" سورة النّور، الآية: 63 – وقوله تعالى: "ولكنكم فتنتم أنفسكم" سورة الحديد، الآية: 14. ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص: 473 – ابن العربي، أحكام القرآن، ج1، ص: 154.

[2] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 310.

[3] المصدر نفسه،ج8، ص: 676.

[4] سورة يوسف، الآية: 110.

[5] ابن حجر، الفتح، باب "أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ... نصر الله قريب"، ج8، ص: 188.

[6] وقوله تعالى: "كذبوا" مخففة، قراءة أهل الكوفة: عاصم وحمزة والكسائي. أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، حجة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني، ، بيروت، مؤسسة الرسالة ، ط2، ج1، ص: 366.

الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾[1] وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: ﴿قَدْ كُذِّبُوا ...﴾، قال: "استيأس الرسل من إيمان قومهم وظنّ قومهم أن الرّسل قد كذّبوهم"[2]. وقد روى الطبري أن سعيد بن جبير سئل عن هذه الآية فقال: "يئس الرسل من قومهم أن يصدقوهم، وظنّ المرسل إليهم أن الرسل كذبوا. فقال الضحاك بن مزاحم لما سمعه: لو رحلت إلى اليمن في هذه الكلمة لكان قليلا"[3]. أما آية البقرة التي استدل بها ابن عباس "فقد حملها طائفة من العلماء على أن في كلام تقديما وتأخيرا، والتقدير: حتى يقول الذين آمنوا متى نصر الله فيقول الرسول ألا إن نصر الله قريب، فقدّم الرسول على الرتبة للمكانة، ثمّ قدم قول المؤمنين لأنه المتقدّم في الزمان ..."[4]. أما عائشة رضي الله عنها فكانت تقرأ قوله تعالى: ﴿... وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ مثقلة[5]، فقد أخرج البخاريّ[6] عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت له: "وهو يسألها عن قول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ ... ﴾ قال: قلت: أكُذِبُوا أم كُذِّبُوا؟ قالت عائشة رضي الله عنها: كذّبوا. قلت: فقد استيقنوا أن قومهم كذّبوهم فما هو بالظنّ، قالت: أجل لعمري لقد استيقنوا بذلك. فقلت لها: وظنّوا أنهم قد كذبوا؟ قالت معاذ الله: لم تكن الرسل تظن ذلك بربها، قلت: فما هذه الآية؟ قالت: هم أتباع الرّسل الذين آمنوا بربّهم وصدّقوهم، فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر، حتى إذا استيأس الرسل ممّن كذّبهم من قومهم وظنّت الرسل أن أتباعهم قد كذّبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك".

---

[1] سورة البقرة، الآية: 214.
[2] جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، بيروت، دار الفكر، ط1993م، ج4، ص: 597.
[3] السيوطي، الدر المنثور، ج4، ص: 597. وقد رجح الواحدي قول سعيد بن جبير رضي الله عنه. ينظر: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داودي، ، دمشق، دار القلم ، ط1، 1415هـ ج1، ص: 563.
[4] القرطبي، جامع أحكام القرآن، ج1، ص: 181.
[5] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص: 410. وقراءة كذّبوا بالتشديد لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر،. عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ج2، ص: 261.
[6] ابن حجر، الفتح، باب "إذا استياس الرسل"، ج8، ص: 367.

2- دفع موهم التعارض:

- أن ينقل قول الصحابيّ مستصحبا فهمه للقرآن ليدفع به موهم التعارض بين الآيات بسبب اختلاف مواضيعها ومقامات أحكامها[1]. مثاله ما أخرجه[2]: عن المنهال عن سعيد قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ؟ قال: ﴿فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَآءَلُونَ﴾[3]، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾[4]، ﴿وَلاَ يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً﴾[5]، ﴿رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[6] فقد كتموا في هذه الآية، وقال: ﴿أَمِ السَّمَآءُ بَنَاهَا –إلى قوله– دَحَاهَا﴾ [7] فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ثم قال: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ –إلى قوله– طَآئِعِينَ﴾[8]، وقال : ﴿وَكَانَ اللهِ غَفُوراً رَّحِيمًا – إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً – إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[9] فكأنه كان ثمّ مضى. فقال: ﴿فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ في النفخة الأولى "ثم ينفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون" ثم في النفخة الآخرة "أقبل بعضهم على بعض يتساءلون". وأما قوله تعالى: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ – وَلاَ يَكْتُمُونَ اللهَ ﴾... فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم. وقال المشركون: تعالوا نقول لم نكن مشركين، فختم الله على أفواههم فتنطق أيديهم، فعند ذلك عرف أن الله لا يكتم حديثا وعنده ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾... الآية. وخلق الأرض في يومين، ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهنّ في يومين آخرين، ثم دحا

---

[1] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص: 55 – عبد الرحمن السعدي، القواعد الحسان، ص: 37.

[2] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 555. وفهم ابن عباس فهمه للنص له حكم الرفع لوروده فيما لا مجال للرأي فيه من مباحث العقيدة، وعلى هذا فقوله حجّة مقدّم على قول غيره. قال ابن حجر: "والحق أن ضابط ما يفسّره الصحابي إن كان مما لا مجال للرأي فيه ولا منقولا عن لسان العرب فحكمه الرّفع وإلا فلا. كالإخبار عن الأمور الماضية من بدء الخلق، وقصص الأنبياء، وعن الأمور الآتية كالملاحم والفتن والبعث وصفة الجنة والنار ... فهذه الأشياء لا مجال للاجتهاد فيها فيحكم لها بالرفع"النكت، ج2، ص: 531.

[3] سورة المؤمنون، الآية: 101.

[4] سورة الطور، الآية: 25.

[5] سورة النساء، الآية: 42.

[6] سورة الأنعام، الآية: 23.

[7] سورة النازعات، الآية: 27-30.

[8] سورة فصلت، الآية: 09-11.

[9] سورة النساء، آيات: 100 -56 – 58.

الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلقت السموات في يومين. و ﴿كَانَ اللهُ غَفُورًا﴾ سمّى نفسه ذلك، وذلك قوله، أي لم يزل كذلك، فإن الله لم يرد شيئا إلا أصاب به الذي أراد. فلا يختلف عليك القرآن فإن كلاً من عند الله"[1].

3- دفع سوء الفهم:

أن يورد قول الصحابيّ الذي أدرك ملابسات النزول القرآنيّ ليدفع سوء الفهم الحاصل في درجة الحكم الشرعيّ. مثاله[2]: باب قوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَّطَوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[3] فقد فهم عروة بن الزبير[4] رضي الله عنه من هذه الآية الإباحة "لاقتصارها على رفع الجناح، فلو كان واجبا -السعي- لما اكتفى بذلك؛ لأن رفع الإثم علامة المباح"[5]. لكن عائشة رضي الله عنها خطّأته وصحّحت له الفهم. ولقد بوّب البخاريّ لفهمها رضي الله عنها بباب[6] وجوب الصفا والمروة وجعل من شعائر الله، ثمّ ساق الحديث عن عروة قال: "سألت عائشة رضي الله عنها فقلت لها: أرأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَّطَوَّفَ بِهِمَا﴾ فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوّف بالصفا والمروة؟ قالت: بئس ما قلت يا ابن أختي، إن هذه لو كانت كما أوّلتها عليه كانت لا جناح عليه أن لا يطوّف بهما. ولكنّها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلّون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلّل، فكان من أهلّ يتحرّج أن يطوف بالصفا والمروة، فلمّا أسلموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك فقالوا: يا رسول الله، إنا كنّا نتحرّج أن نطوف بين الصفا والمروة

---

[1] ولا يقدر على إزالة الإشكال والتعارض بين نصوص الشرع إلا "من رسخ قدمه في معرفة خطاب العرب واستعمالاتها، وفنون اللغة، ورزق فهما وبصيرة ...". السيوطي، التحبير في علم التفسير، ص: 96.

[2] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 175.

[3] سورة البقرة، الآية: 158.

[4] أبو عبد الله عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، سمع أباه وأخاه، وروى عنه ابنه هشام والزهري. الذهبي، المقتنى في سرد الكنى، ج1، ص: 349 – مسلم بن الحجاج، الكنى والأسماء، ج1، ص: 474..

[5] ابن حجر، الفتح، ج3، ص: 499.

[6] ابن حجر الفتح،ج3، ص: 497.

فأنزل الله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللهِ﴾ الآية، قالت عائشة رضي الله عنها: وقد سنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما، ثمّ أخبرت أبا بكر بن عبد الرحمن فقال: إن هذا العلم ما كنت سمعته ولقد سمعت رجالا من أهل العلم يذكرون أن الناس- إلا من ذكرت عائشة ممن كان يهلّ بمناة- كانوا يطوفون كلّهم بالصفا والمروة، فلمّا ذكر الله الطواف بالبيت ولم يذكر الصفا والمروة في القرآن، قالوا: يا رسول الله، كنّا نطوف بالصفا والمروة، وإن الله أنزل الطواف بالبيت فلم يذكر الصفا فهل علينا من حرج أن نطّوف بالصفا والمروة؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللهِ﴾ الآية. قال أبو بكر: فأسمع هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما؛ في الذين كانوا يتحرّجون أن يطوفوا في الجاهلية بالصفا والمروة، والذين يطوفون ثمّ تحرّجوا أن يطوفوا بهما في الإسلام من أجل أن الله تعالى أمر بالطواف بالبيت ولم يذكر الصفا حتّى ذكر ذلك بعدما ذكر الطواف بالبيت".

4- بيان اللفظ المبهم:

أن ينقل قول الصحابيّ ليفسّر به دلالة نصّ قرآني مبهم لاسم جنس، ثمّ يؤكده بالسنة القولية. مثاله[1]: باب قول الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[2] ثمّ فسّر الإبهام الحاصل في عدد أشهر الحجّ بقول عبد الله بن عمر رضي الله عنه: "أشهر الحجّ: شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجّة". ثمّ أكّد تفسير ابن عمر بما روته عائشة رضي الله عنها قالت: "خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشهر الحجّ وليالي الحجّ وحرم الحجّ، فنزلنا بسرف ...". قال ابن حجر: "فإن هذا كلّه يدلّ على أن ذلك كان مشهورا عندهم معلوما"[3].

---

[1] ابن حجر، الفتح، ج3، ص: 4198.
[2] سورة البقرة، الآية: 189.
[3] ابن حجر، الفتح، ج3، ص: 421.

وقد ينقل قول الصحابيّ الذي ليس من دائرة الاجتهاد والنظر، فيفسر به الفاظا مبهمة من القرآن. مثاله[1]: قال عليّ عليه السّلام[2]: "الذاريات؛ الرّياح".

5- بيان اللفظ المشترك:

يورد البخاريّ قول الصحابيّ الذي علم أحوال الجاهلية وأعرافها ليزيل الاشتراك العارض في النصّ القرآني من قبل تركيب الكلام وبناء بعض الألفاظ على بعض[3]. مثاله: قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَآءِ، قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَآءِ اللاَّتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾[4]، فلفظ الرغبة يحتمل معنيين متضادين، أحدهما الميل إلى الشيء، وثانيهما الميل عنه، وإنما يبيّنه الحرف الذي يعديه. ففي الأول الرغبة في نكاحهن لجمالهن ومالهنّ. وفي الثاني الرغبة عنهنّ لدمامتهن وقلّة مالهنّ. وبالرجوع إلى القرينة الحالية -ما كان عليه العرب من عادات وأعراف- يترجّح المعنى المراد[5]. واستنادا إلى قول الصحابيّ الذي نقل القرينة الحالية علمنا أن الشارع أراد المعنيين كليهما، فقد أخرج البخاريّ[6] عن الزهريّ قال: "كان عروة بن الزبير يحدث أنه سأل عائشة رضي الله عنها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَآءِ﴾[7]؟ قالت: هي اليتيمة في حجر وليّها، فيرغب في جمالها ومالها ويريد أن يتزوّجها بأدنى من سنّة نسائها، فنهوا عن نكاحهنّ إلا أن يقسطوا لهنّ في إكمال الصداق، وأمروا بنكاح من سواهنّ من النساء. قالت عائشة: ثمّ استفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد، فأنزل الله

---

[1] المصدر نفسه، ج8، ص: 598.

[2] أبو الحسن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، من العشرة المبشرين بالجنة، ورابع الخلفاء الراشدين، قاضي الصحابة وأعلمهم، صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه ورافع رايته يوم خيبر، مناقبه كثيرة لا تحصى، قتل شهيدا سنة 40هـ. مسلم، الكنى والأسماء، ج1، ص: 173 – البخاري، التاريخ الكبير، ج6، ص: 259 – أبو نعيم، حلية الأولياء، ج1، ص: 61 – ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب ، ج2، ص: 257.

[3] البطليوسي، التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين، تحقيق: أحمد حسن كحيل، حمزة عبد الله النشرتي، القاهرة، مكتبة المتنبي، ط1402/2هـ-1982م، ص: 34.

[4] سورة النساء، الآية: 127.

[5] محمد الخضري، أصول الفقه، سوسة، تونس، دار المعارف، الطبعة 19، ص: 181.

[6] ابن حجر، الفتح، ج5، ص: 391 – وج8، ص: 238-256.

[7] سورة النساء، الآية: 03.

تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَآءِ، قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾[1]، قالت: فبيّن الله في هذه أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنّتها بإكمال الصداق، فإذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء. قال: فكما يتركونها حين يرغبون عنها، فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها إلا أن يقسطوا لها الأوفى من الصداق ويعطوها حقها"[2].

6- بيان بقاء العام على عمومه:

يستدل البخاريّ بقول الصحابيّ ليبيّن بقاء لفظ العموم على عمومه واستغراقه لجميع أفراده. مثاله[3]: باب ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأنصَابُ وَالأزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾[4]، ثمّ استدل من آثار الصحابة ما يدل على حكم العموم في حرمة جميع أنواع الخمر، فصدّر كتاب الأشربة بقوله: باب[5] الخمر من العنب وغيره، ثمّ روى عن ابن عمر رضي الله عنه قوله: "لقد حرّمت الخمر وما بالمدينة منها شيء". ثمّ قول عمر رضي الله عنه: "إنه قد نزل تحريم الخمر وهي من خمسة أشياء: العنب والتمر والحنطة والشعير والعسل. والخمر ما خامر العقل". وبهذا فقد فهم البخاريّ من قول عمر أن لفظ الخمر لا يقصر على مسمّى العنب، بل يعمّ كل مسكر، ولهذا صدر الباب بذلك، وأكد عموم اللفظ بقول ابن عمر رضي الله عنه، ثم أكد عموم الحكم بعموم العلة من خلال قول عمر رضي الله عنه.

---

[1] سورة النساء، الآية: 127.

[2] وقد يتساءل المسلم عن العلاقة بين العدل في اليتامى والتعدد في الزواج لكن بمعرفة القرينة الحالية -سبب النزول-، تظهر الحكمة الشرعية فالسياق القرآني يعالج ظاهرة أكل أموال اليتامى، وقد يكون الزواج ذريعة لذلك، فحرم الإسلام ذلك. ينظر: محمد بن لطفي الصباغ، بحوث في أصول التفسير بيروت، المكتب الإسلامي، ط1، 1408هـ-1988م، ص: 116.

[3] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 278.

[4] سورة المائدة، الآية: 90.

[5] ابن حجر، الفتح، ج10، ص: 34.

7- بيان التخصيص بملاحظة الصحابيّ:

يورد البخاريّ قول الصحابيّ الذي يدل على حكم التخصيص مبينا بالقراءة القرآنية. مثاله[1]: باب ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2]. ثمّ استدل بقول ابن عبّاس رضي الله عنه على أن الآية مخصصة غير منسوخة. فأخرج عن عطاء سمع ابن عبّاس يقرأ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطَوَّقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ قال ابن عباس: ليست بمنسوخة. هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا"[3]. وعلى قراءة ابن عباس فالآية محكمة؛ لأن الفدية على من تكلّف الصوم دون قدرة فيفطر ويفدي، وهذا خاص كما ذكر ابن عباس بالشيخ الكبير والمرأة الكبيرة[4].

8- بيان التقييد المطلق:

يستدل البخاريّ بفعل الصحابيّ الذي له حكم الرّفع ليثبت حكم تقييد المطلق. مثاله[5]: باب قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾[6] وفي كم تقطع؟ ثمّ قال: "وقطع عليّ من الكفّ". فلفظ اليد في الآية مطلق يتناول الرسغ والمرفق والمنكب ، لكنّه مقيّد بفعل الصحابيّ بمحلّ الكفّ. وهذا مذهب الجمهور الذي نقل بعضهم فيه الإجماع[7].

---

[1] المصدر نفسه، ج8، ص: 179.
[2] سورة البقرة، الآية: 184.
[3] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 180 و ج4، ص: 188. وقرأ عكرمة: "(يطوّقونه) قال: يكلّفونه، وقال: ليس هي منسوخة. الذين يطيقونه يصومونه، والذين يطوّقونه عليهم الفدية". الطبريّ، جامع البيان، ج3، ص: 430.
[4] ابن حجر، الفتح، ج12، ص: 96.
[5] المصدر نفسه، ج12 ، ص: 98.
[6] سورة المائدة، الآية: 38.
[7] ابن حجر، الفتح، ج12 ، ص: 98.

9- بيان الناسخ والمنسوخ:

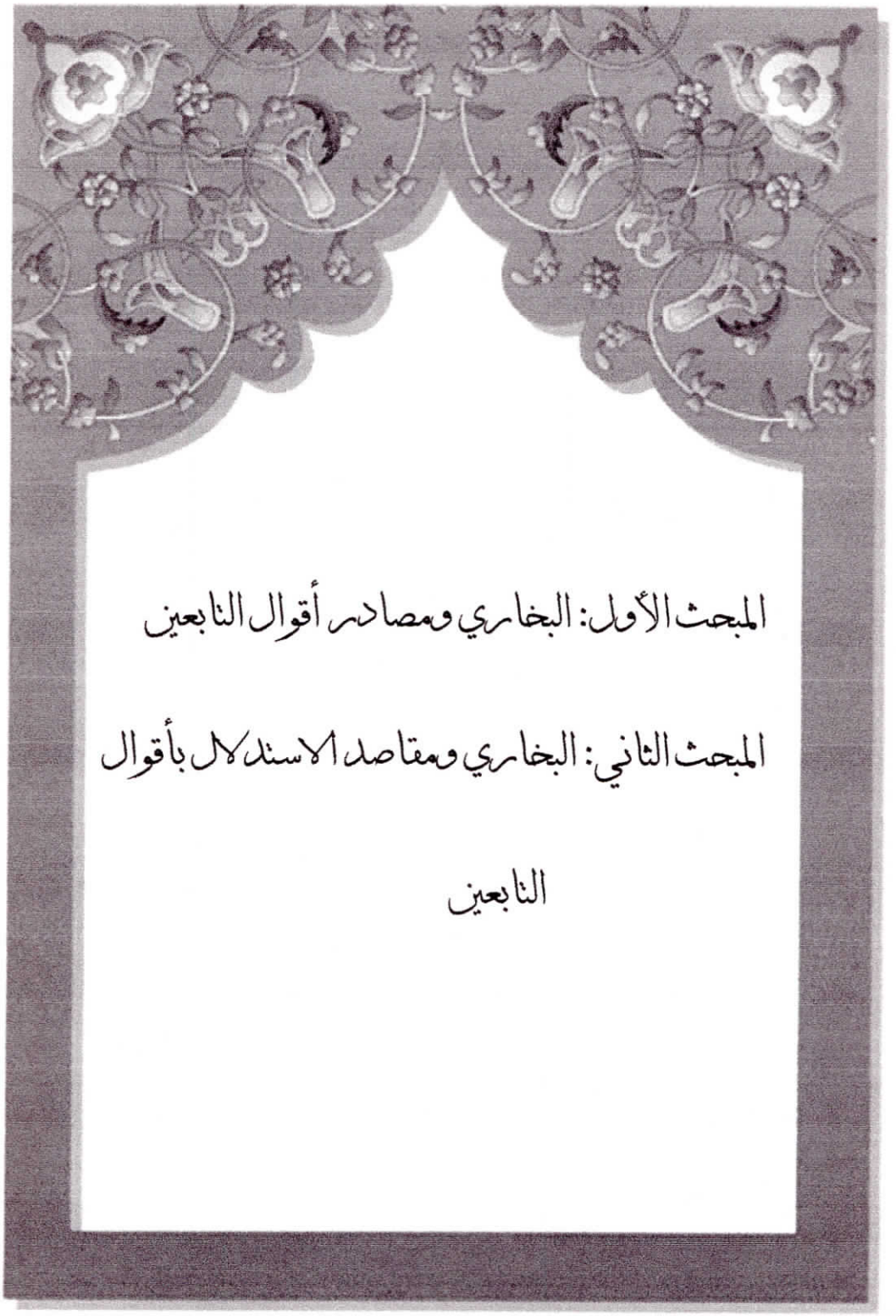
ينقل البخاري قول الصحابي الذي مستنده القرآن ليبين حكم النسخ. مثاله[1]: باب ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي- أَنفُسِكُمْ- أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَّشَآءُ وَيُعَذِّبْ مَن يَّشَآءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]، ثم نقل عن مروان الأصفر عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن عمر رضي الله عنه أن الآية قد نسخت، ثم صرّح بذكر الناسخ من طريق الصحابي، فبوّب له بباب: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَّبِّهِ ...﴾[3] فعن مروان الأصفر عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم -قال أحسبه ابن عمر-: "﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي- أَنفُسِكُمْ- أَوْ تُخْفُوهُ﴾ قال: نسختها الآية التي بعدها[4]".

---

[1] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 205-206.
[2] سورة البقرة، الآية: 284.
[3] سورة البقرة، الآية: 285.
[4] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 205.

الفصل الخامس

البخاري وتفسير القرآن بأقوال القارئين



المبحث الأول: البخاري ومصادر أقوال التابعين

المبحث الثاني: البخاري ومقاصد الاستدلال بأقوال التابعين

الفصل الخامس: تفسير القرآن بأقوال التابعين[1]:

إن من المعلوم شرعا أن التابعين أفضل الأمة بعد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد نص القرآن والسنة على ذلك، أما القرآن فقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2]، أما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته"[3]، وازداد التابعون فضلا بمصاحبتهم الصحابة وملازمتهم لهم، إذ هم تلامذتهم في العلم والفهم والتقوى والصلاح. روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "يأتي على الناس زمان يغزون فيقال: فيكم من صحب الرسول صلى الله عليه وسلم، فيقولون نعم، فيفتح عليهم، ثم يغزون فيقال لهم: هل فيكم من صحب من صحب الرسول صلى الله عليه وسلم فيقولون نعم، فيفتح لهم"[4].

وإضافة إلى فضلهم، فقد بلغوا ذروة الفصاحة، وملكوا سليقة البلاغة، فأضحت أقوالهم حجة في اللغة، فمن كان مقامه بهذه المنزلة صح أن ينزل منزلة من شاهد القرائن والأحوال, وعرف أسباب نزول الآيات وسمع الأخبار[5]، وقد اجتهد التابعون في طلب فهم القرآن. روى ابن أبي مليكة، قال: "رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه. فقال: ابن عباس: أكتب. حتى سأل عن التفسير كله"[6]. ولقد وظفوا كل وسائل العلم في طلب التفسير، قال سعيد بن جبير: "كنت أكتب عند ابن عباس في ألواحي حتى أملأها ثم اكتب في نعلي"[7].

---

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص: 504 – صفي الرحمن المباركفوري، المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، الرياض، دار السلام، ط2، 1421هـ/2000م، ص: 12.
[2] سورة التوبة، الآية: 100.
[3] ابن حجر، الفتح، ج7، ص: 03.
[4] ابن حجر، الفتح، ج6، ص: 610.
[5] آرثر جفري، مقدمتان في علوم القرآن، ص: 195.
[6] ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ص: 66.
[7] ابن سعد، الطبقات، ج6، ص:257.

وقال كذلك: "كنت أسير بين ابن عمر وابن عباس، فكنت اسمع الحديث منهما فأكتبه على واسطة الرحل حتى أنزل فأكتبه"[1].

ولقد مهدت حركة جمع التراث التفسيري في عهد التابعين إلى قيام حركة التدوين الرسمي بقرار من الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه[2]، ورغم ما للتابعين من السبق إلا أن العلماء اختلفوا في الاستشهاد بأقوالهم[3]، والملاحظ على منهج البخاري تقديمه أقوال التابعين مطلقا على من دونهم خاصة في التفسير، وكثرة إيراده لأقوالهم شاهد على ذلك، فما من باب في التفسير إلا وقد صدّره بقول التابعي، أو عضد به قولا، أو رجح به رأيا[4]. وهذا مذهب جمهور المفسرين فقد جعلوا العدول عن أقوال الصحابة و التابعين مما يوقع في خطأ فهم الدليل والمدلول[5]. فالأحرى في صواب العلم والعمل مراعاة فهم خير الأمة[6].

المبحث الأول: البخاري ومصادر أقوال التابعين:

مما يلاحظ على منهج البخاري عند إيراده أقوال التابعين أن يجتهد ما استطاع في ذكر أدلة التابعين ومصادر أقوالهم لينزلها منزلة القبول، ويعد البخاري من العلماء الذين اهتموا بجمع الكثير من أقوال التابعين في التفسير، فقد ذكر أقوال التابعين في أغلب أبواب جامعه التي يفسر فيها القرآن، إما مصدرا بها الباب أو مرجحا أو مؤكدا.

---

[1] ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ج1، ص: 72.

[2] ابن حجر، الفتح، ج1، ص: 194 - محمد أبو شهبة، الوسيط في علوم مصطلح الحديث، جدة، السعودية، ط1/1983م، ص: 65 - وقد روى القاضي الحسن الرامهرمزي عن عبد الله بن دينار قال: "كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل المدينة: أنظروا ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبوه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء". أنظر: الرامهرمزي، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق عجاج الخطيب، بيروت، دار الفكر، ط3، 1404هـ-1984م، ص: 373.

[3] أقوال التابعين مراتب: 1- ما أجمعوا عليه فهو حجة.
2- ما اختلفوا فيه، فلا حجة لأحدهم على غيره إلا بمرجح قوي.
3- ما رجعوا فيه لأخبار أهل الكتاب، فحكم أقوالهم حكم أخبار أهل الكتاب.
4- ما انفرد به الواحد دون مخالف، فمقدم على من بعده.
أنظر: ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين، ج4، ص: 119.

[4] وكثرة إيراد البخاري لأقوال التابعين هو من باب جعل الدلالة الواردة -أو الحكم- في حكم المستفيض خاصة في مواضع الاختلاف وهذا منهج شيخه أحمد بن حنبل، ابن حجر، الفتح، ج9، ص: 381-386.

[5] ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ص: 54.

[6] الشاطبي، الموافقات، ج3، ص: 57.

ولقد ذكر أقوال التابعين مسندة إلى أدلتها على النحو التالي:

تفاسير التابعين المسندة إلى القرآن:

وقد أورد البخاري في صورتين:

أ) أن ينقل تفسير التابعي متضمنا مستنده من القرآن تلميحا وإشارة، مثاله[1]: باب في النجوم، وقال قتادة: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾[2]: خلق هذه النجوم لثلاث: جعلها زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها. فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به.

ب) أن ينقل تفسير التابعي المقتصر على تفسير الآية بذكر نظيرتها في الدلالة المشتركة، مثاله[3]: قال مجاهد: فراشا؛ مهادا كقوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾[4]. ونقل كذلك[5] عنه قوله: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾[6]. سيحضرون للحساب. ثم استدل لدلالة تحقق الحساب بقوله تعالى: ﴿جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾[7] عند الحساب.

وقد يستشهد البخاري بقول التابعي في تفسير اللفظ القرآني مستندا على القراءة القرآنية، فقد نقل قول مجاهد : "الزخرف؛ الذهب"[8]. ومستند تفسير مجاهد قراءة ابن مسعود، فقد روى عبد الله بن حميد عن مجاهد قال: "كنا لا ندري ما الزخرف حتى رأيتها في قراءة عبد الله–أو يكون لك بيت من ذهب–"[9].

---

1 ابن حجر، الفتح، ج6، ص: 295.
2 سورة الملك، الآية:05.
3 ابن حجر، الفتح، ج6، ص:695. ومثال التصريح بتفسير القرآن بالقرآن قول مجاهد: "كتابه بشماله، يأخذ كتابه من وراء ظهره. ففسر آية الحاقة بآية الانشقاق". ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 696.
4 سورة البقرة، الآية: 36.
5 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 542.
6 سورة الصافات، الآية: 158.
7 سورة يس، الآية: 75.
8 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 565.
9 المصدر نفسه،ج8، ص: 568.

تفاسير التابعين المسندة إلى السنة النبوية:

قال البخاري[1]: باب من أصاب دون الحد فأخبر الإمام فلا عقوبة عليه بعد التوبة إذا جاء مستفتيا. قال عطاء: "لم يعاقبه النبي صلى الله عليه وسلم"، وقوله إشارة إلى حديث الذي عصى الله فعفا عنه بسبب صلاة العصر.

ومثاله كذلك: قول ابن جريج: "قلت لعطاء صيد الأنهار وقلات السيل أصيد بحر هو؟، قال: نعم ثم تلا: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾"[2].

تفاسير التابعين المسندة إلى أقوال الصحابة:

لقد اعتمد التابعون في التفسير على الصحابة لما خصهم الله تعالى من عمق الفهم وسداد الرأي وعدالة النفس وسلاسة الخطاب والإحاطة بأحوال الخلق وأعرافهم، ولقد كان الصحابة مصدر التابعين في التفسير للرابطة العلمية التي كانت بينهم، والناقل لتفاسير التابعين يلحظ أثر الصحابة في ذلك خاصة فيما لا مجال للرأي فيه.

مثاله[3]: ما أخرجه عن سليمان الشيباني قال: "سألت زرا عن قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ اَوَ اَدْنَى فَأَوْحَىٰٓ إِلَى عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَى﴾[4] قال أخبرنا عبد الله أنه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل له ستمائة جناح".

مثاله[5]: كذلك ما رواه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر: "هو الخير الذي أعطاه الله". قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير: فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إيّاه". قال

---

[1] المصدر نفسه، ج12، ص: 131.
[2] المصدر نفسه، ج9، ص: 614.
[3] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 610.
[4] سورة النجم، الآية: 09-10.
[5] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 731.

القسطلاني[1]: "وهذا التأويل من سعيد جمع به بين حديثي عائشة وابن عباس رضي الله عنهما، فلا تنافي بينهما لأن النهر فرد من أفراد الخير الكثير".

تفاسير التابعين المستندة إلى اللغة العربية:

بما أن للقرآن عرف خاص، ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها، اجتهد البخاري في إسناد أقوال التابعين الى شواهدها اللغوية، مثاله: ما أخرجه عن مجاهد قال: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾[2] قال: الوعيد[3]. فقد خرج الأمر عن حقيقته إلى معنى الوعيد والتهديد.

ومن وجوه الاستعمالات اللغوية عند العرب في خطابها وصف الشيء بضد صفته قصد الاحتقار والاستهزاء، مثاله[4]: ما أخرجه عن الحسن البصري قال: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ...﴾ [5] يستهزؤون به.

وقد ينقل البخاري تفسير التابعي مصرحا بذكر مستند اللغة من طريق الصحابي، مثاله[6]: ما أخرجه عن عكرمة قال: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾[7] ملأى متتابعة، ثم نسب إلى ابن عباس قوله: "سمعت أبي يقول في الجاهلية: اسقنا كأسا دهاقا".

تفاسير التابعين المستندة إلى الاجتهاد:

إن الملاحظ لتفسير التابعين يشهد أن اجتهادهم التفسيري قام على فهم عميق لكتاب الله تعالى مع دقة ملاحظاتهم للعلاقات القائمة بين النصوص الشرعية ومقاصد الشرع وإتقانهم لاستعمالات الخطاب العربي، ومن نماذج اجتهاد التابعين في التفسير ما رواه البخاري

---

1 القسطلاني، إرشاد الساري، ج7، ص: 435.
2 سورة فصلت، الآية: 40.
3 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 559. ومما خرج مخرج الوعيد قوله تعالى: "سنفرغ لكم أيها الثقلان" سورة الرحمن، الآية: 31، قال نقلا عن أبي عبيدة –وهو أثر عن ابن عباس– "سنحاسبكم، لا يشغله شيء عن شيء وهو معروف في كلام العرب. يقال: لأتفرغن لك وما به شغل. يقول: لآخذنك على غرتك". ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 621.
4 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 348.
5 سورة هود، الآية: 87.
6 ابن حجر، الفتح، ج ، ص: .
7 سورة النبأ، الآية: 34.

قال[1]:﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾[2]. قال مجاهد: الحلال والحرام. وروى كذلك عنه[3]: "كل شيء خلقه فهو شفع، السماء شفع، والوتر: الله تبارك وتعالى".

تفاسير التابعين المسندة إلى القياس:

واستعمال القياس نوع من أنواع الاجتهاد، مثاله[4]: باب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ حَرِّضِ الْمُومِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَّكُنْ مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَّكُنْ مِّنكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾[5]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: "لما نزلت: ﴿إِن يَّكُنْ مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ فكتب عليهم أن لا يفر واحد من عشرة، فقال سفيان غير مرة: ألا يفر عشرون من مائتين، ثم نزلت: ﴿ الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنكُمْ﴾، فكتب أن لا يفر مائة من مائتين. وزاد سفيان مرة: نزلت: ﴿حَرِّضِ الْمُومِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَّكُنْ مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾، قال سفيان وقال ابن شبرمة: وأرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا". فقد حمل ابن شبرمة حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الجهاد، لأن "الجامع بينهما إعلاء كلمة الحق وإخماد كلمة الباطل"[6].

تفاسير التابعين المسندة إلى الأعراف والعادات:

إن العلم بأعراف الناس وقت نزول الوحي من أهم وسائل فهم القرآن، إذ مقصد النزول القرآني إصلاح ما فسد من عاداتهم، مثال[7]: ما رواه البخاري باب: ﴿مَا جَعَلَ اللهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلا سَآئِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ﴾[8]. ثم روى عن سعيد بن المسيب قوله: "البحيرة؛ التي يمنع

---

1 البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب: "منه آيات محكمات" – ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 209.
2 سورة آل عمران، الآية: 07.
3 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 701.
4 البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب: "يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال"، رقم: 4285.
5 سورة الأنفال، الآية: 65.
6 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 312.
7 البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب: "ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام"، رقم الحديث: 4257 – وكتاب المناقب، باب قصة خزاعة، رقم الحديث: 3259.
8 سورة المائدة، الآية: 117.

درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة؛ التي كانوا يسيّبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شيء، والوصيلة؛ الناقة البكر تبكّر في أول نتاج الإبل بأنثى ثم تثني بعد بأنثى، وكانوا يسيبونهم لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر، والحام؛ فحل الإبل يضرب الضراب المعدود، فإذا قضى ضرابه ردوه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلم يحمل عليه شيء وسموه: الحامي".

المبحث الثاني: البخاري ومقاصد الاستدلال بأقوال التابعين:

لقد وظف البخاري أقوال التابعين في تفسير القرآن ليحقق جملة من المقاصد العلمية أهمها:

1- دفع فساد التأويل:

أن يستدل بقول التابعي ليدفع تأويلا فاسدا لنص قرآني، مثاله[1]: ما أخرجه باب: "لا يتزوج أكثر من أربع لقوله تعالى: ﴿مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾[2]" وقال علي بن الحسين عليهما السلام، يعني مثنى أو ثلاث أو رباع، وقوله جل ذكره: ﴿أولِي- أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾[3] يعني: مثنى أو ثلاث أو رباع". وقد فهم الرافضة من الآية جواز جمع الرجل بين تسعة نسوة في عصمة واحدة، وزعموا أن الواو للجمع فدفع البخاري فهمهم الفاسد بقول التابعي مؤكدا بمجموع مرجحات:

أ) استدلاله بقول علي بن الحسين رضي الله عنه، وهذا الاستشهاد منه يدل على عظمة فطنته وعلو فهمه، "إذ هو من أحسن الأدلة في الرد على الرافضة لكونه من تفسير زين العابدين، وهو من أئمتهم الذين يرجعون إلى قولهم ويعتقدون عصمتهم..."[4]. ولقد حمل زين العابدين حرف الواو بمعنى أو على التنويع.

---

1 ابن حجر، الفتح، ج9، ص: 139.
2 سورة النساء، الآية: 03.
3 سورة فاطر، الآية: 01.
4 ابن حجر، الفتح، ج9، ص: 139.

ب) تأكيده قول التابعي زين العابدين بنقله عن اللغة، فساق قول أبي عبيدة: "مثنى وثلاث ورباع يعني إثنين وثلاثا وأربعا ولا تجاوز العرب الرباع"[1].

ج) تأكيده قول التابعي زين العابدين من خلال استدلاله بنظير الآية القرآنية، فساق قوله تعالى : ﴿أُولِي۪ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾[2]. "فقد علم على القطع أنه لم يرد هنا توزيع هذه الأعداد على الملائكة حتى يكونوا هم أولي تسعة أجنحة يشتركون فيها، ولا أنه جمع كل واحد من آحاد الملائكة تسعة أجنحة، وتلزم هذه الفضائح من قال بالجمع في النكاح إذ لا فرق بين هاتين الآيتين في هذا اللفظ"[3].

2- دفع موهم التعارض:

أن يستدل بقول التابعي ليرفع التعارض المتوهم في دلالة النص القرآني، مثاله[4]: قال: "وكان العلاء بن زياد يذكر النار فقال رجل: لم تقنط الناس؟ وأنا أقدر أن أقنط الناس؟ والله عز وجل يقول: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾، ويقول: ﴿وَإِنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ۟ أَصْحَابُ النَّارِ﴾، ولكنكم تحبون أن تبشروا بالجنة على مساوئ أعمالكم، وإنما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم مبشرا بالجنة لمن أطاعه ومنذرا بالنار لمن عصاه". وفهم السلف لنصوص القرآن حجة مقدمة على كل قول من هو دونهم[5]، فهم أعلم بتفسير معاني القرآن "كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم، فمن

---

1 المصدر نفسه، ج8، ص: 237، وأنظر ابن العربي، أحكام القرآن، ج1، ص: 408 – الشاطبي، الموافقات، ج3، ص: 294 – وأنظر: ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، بيروت، دار الجيل، ط1، 1409هـ- 1989م، ج2، ص: 65.

2 سورة فاطر، الآية: 01.

3 أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق: محي الدين ديب مستو، أحمد محمد السيد، يوسف علي بديوي، محمد إبراهيم بزال، بيروت، دار ابن كثير، ط2، 1420هـ-1999م، ج7، ص: 329. ومما يلاحظ على منهج البخاري في هذا المثال: الاستدلال بالقرآن لتوكيد قول التابعي. والله أعلم.

4 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 553. ولقد حمل البخاري لفظ التأويل على معناه الأصلي وهو التفسير دون معناه الاصطلاحي الحادث (إذ لا يجوز حمل ألفاظ الكتاب –القرآن- على اصطلاح حادث). الفتح، ج3، ص: 318. فعلى كل من يريد تحقيق الفهم الصحيح لدلالات ألفاظ القرآن أن يتتبع الاصطلاحات التي حدثت في الملة ليفرق بينها وبين ما ورد في القرآن. محمد رشيد رضا، تفسير المنار، بيروت، دار المعرفة، ج1، ص: 21.

5 ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين، ج4، ص: 118.

خالف فهمهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعا"[1]. ولما لم يسق قولا مخالفا لقول العلاء بن زياد، كان حجة على أصح قولي أحمد رحمه الله[2].

3- بيان دلالة المشترك:

*- الاشتراك في دلالة الحرف.

أن يستدل بقول التابعي وفهمه ليبين دلالة الحرف المشترك بين معنى الوقف والاستئناف، مثاله[3]: ما رواه عن مجاهد قال: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾[4]. يعلمون تأويله و ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾. ولقد وقع الاشتراك في الحرف تبعا للاختلاف في مفهوم المتشابه على قولين:

أ) المتشابه ما أشبه بعضه بعضا من المعاني فهو من التصديق والتأكيد، روى البخاري[5]: عن مجاهد فسر قوله تعالى: ﴿كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ﴾[6]، قال: "ليس من الاشتباه ولكن يشبه بعضه بعضا في التصديق"، وعلى هذا المعنى ينزل أغلب كلام علماء السلف في مفهوم المتشابه، فقد ثبت عن ابن عباس وابن مسعود وقتادة والربيع والضحاك والسدي: أنهم فسروه بالمنسوخ[7]. وعلى هذا المعنى يكون حمل الواو على العطف في قوله تعالى: "والراسخون في العلم..." أولى وأرجح، إذ من المعلوم قطعا أن الراسخين يعلمون المتشابه بهذه الدلالة وإن تفاوتت منازل فهمهم، ويؤكد هذا دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"[8]. وقول عمر رضي الله عنه

---

1 ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ص: 55.
2 آل تيمية، المسودة، ص: 176.
3 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 209.
4 سورة آل عمران، الآية: 07.
5 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 548.
6 سورة الزمر، الآية: 23.
7 الطبري، جامع البيان، ج6، ص: 174.
8 ابن حجر،الفتح،ج1، ص169

فيه: "هو أعلم أمة محمد صلى الله عليه وسلم بما أنزل على محمد"[1]. وكان ابن عباس يعد نفسه من الراسخين القلائل الذين يعلمون تأويله[2].

ب) المتشابه ما استأثر الله تعالى بعلمه دون خلقه، وكل ما "لا طريق لدركه حتى سقط طلبه ووجب اعتقاد الحقية فيه سمي متشابها"[3]. وينزل على هذا آيات الصفات في كيفياتها، وعلامات الساعة وأحوالها، والحروف المقطعة[4]. وبهذا فإن الوقف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ﴾. تام وواجب، وما على أهل العلم والإيمان إلا التسليم، والخوض فيه فتح لباب الفتنة التي ذكرها القرآن، وتأكيدا لهذا المعنى ساق البخاري[5] حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ... -إلى قوله- أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم)"[6].

*- الاشتراك في دلالة التركيب

أن يقع الاشتراك في اللفظ القرآني من قبل تركيب الكلام وبناء بعضه على بعض[7]، فتتعدد معانيه وتتضاد، كاحتمال الآية لضميرين كل منهما يرجع إلى ما لا يرجع إليه الآخر،

---

1 ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، القاهرة، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، ط1328/1هـ، ج2، ص: 332.

2 وذكر السيوطي عن ابن المنذر من طريق مجاهد عن ابن عباس قوله: "وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم".قال: أنا ممن يعلم تأويله. السيوطي، معترك الأقران، ج1، ص: 138 – ابن سعد، الطبقات، ج2، ص: 366. وإذا ورد تأويل النص -بمعنى تفسيره- في إطار صلاح النية وسلامة القصد ورجاحة الفهم، فهو مما مدح الله به الراسخين في دينه. رؤوف شلبي، جواهر العرفان في الدعوة وعلوم القرآن، القاهرة، دار الطباعة المحمدية، ط1، 1406هـ-1986م، ص: 395.

3 عبد العزيز بن أحمد البخاري، كشف الأسرار على أصول فخر الإسلام البزدوي، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1417هـ-1997م، ج1، ص: 148.

4 محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1416هـ-1996م، ج2، ص: 291.

5 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 209.

6 وقد حمل السيوطي قوله تعالى: "وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون..." على الوقف والعطف باعتبار تقسيمه المتشابه إلى ثلاثة أضرب:

- ضرب لا سبيل إلى العلم به كوقت الساعة وخروج الدابة. - ضرب سبيل الإنسان معرفته كالألفاظ الغريبة. - ضرب يختص بالعلم به بعض الراسخين دون الباقي. وينزل عليه دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل". السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص: 05.

7 البطليوسي، التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين، ص: 38.

فيورد قول التابعي ليرجح أحد الاحتمالين، مثاله[1]: قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[2] قال مجاهد: "العمل الصالح يرفع الكلم الطيب"، فيجوز أن يكون الضمير الفاعل عائدا على الكلم، والضمير المفعول عائدا على العمل فيكون معناه: إن الكلم الطيب يرفع العمل الصالح، ويجوز أن يكون الضمير الفاعل عائدا على العمل والمفعول عائدا على الكلم فيكون معناه أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، وكلا المعنيين صحيح، إلا أن البخاري رجح المعنى الثاني بقول مجاهد.

4- بيان المجمل:

أن يستدل بقول التابعي ليبين لفظا مجملا[3] من القرآن، مثاله[4]: ما أخرجه عن مجاهد قال: "الآية الكبرى؛ عصاه ويده"[5].

5- بيان بقاء العام على عمومه:

أن يستدل بقول التابعي ليوضح بقاء اللفظ القرآني العام على عمومه، مثاله[6]: ما أخرجه في كتاب المحصر قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾[7]. وقال عطاء: "الإحصار من كل شيء يحبسه". وقال البخاري: "حصورا؛ لا يأتي النساء"[8]. ولقد اختلف العلماء في حكم الإحصار على قولين[9]:

---

1 ابن حجر، الفتح، ج13، ص: 415.
2 سورة فاطر، الآية: 10.
3 وقد يكون اللفظ مبهما فيبينه البخاري بقول التابعي، مثاله قول مجاهد: "وأنت حل بهذا البلد" سورة البلد، الآية: 02، قال: مكة. الفتح، ج8، ص: 703.
4 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 690.
5 سورة النازعات، الآية: 20.
6 ابن حجر، الفتح، ج4، ص: 03.
7 سورة البقرة، الآية: 196.
8 وهذا تفسير سعيد بن جبير لقوله تعالى: "وسيدا وحصورا...". ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 207.
9 أنظر: الماوردي، النكت والعيون، تحقيق: عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت، دار الكتب العلمية،ج1، ص: 254 – ابن العربي، أحكام القرآن، ج1، ص: 171 – القرطبي، جامع القرآن، ج2، ص: 371 – الألوسي، روح المعاني، ج1، ص: 80.

أ) أنه بالعدو دون المرض، وهو قول ابن عباس وابن عمر والشافعي[1].

ب) أنه بكل حابس من عدو أو مرض أو عذر، وهو قول مجاهد وقتادة وعطاء وأبي حنيفة[2]. وعلى هذا المعنى حمل البخاري حكم الآية، فكل من الحصر والإحصار يطلق على المنع الذي يتعذر معه الفعل، ويكفي في عموم لفظ الإحصار حذف متعلقه –المعمول فيه– ليفيد عموم المعنى المناسب له[3].

6- بيان الخاص من العام:

أن يستدل بملاحظة التابعي ليبين تخصيص عموم اللفظ القرآني مثاله[4]: ما أخرجه عن مجاهد قال: "ووالد" آدم "وما ولد".

7- بيان بقاء المطلق على إطلاقه:

أن يستدل بقول التابعي ليبين أن الأصل في اللفظ القرآني إبقاء المطلق على إطلاقه، مثاله[5]: باب: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [6]. وقال عطاء: "يفطر من المرض كله كما قال الله تعالى". فقد حمل البخاري لفظ المرض على إطلاقه، ثم أكد بقاء المطلق دون تقييد بقول عطاء.

---

1 محمد ابن إدريس الشافعي، أحكام القرآن، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، بيروت، دار الكتب العلمية، ط/1400هـ، ج1، ص: 130.

2 أبو بكر محمد بن أبي سهل السرخسي، المبسوط، بيروت، دار المعرفة، ط/1406هـ، ج4، ص: 108 – ومحمد بن أبي بكر الرازي، تحفة الملوك، تحقيق: عبد الله نذير أحمد، بيروت، دار البشائر الإسلامية ط1، 1417هـ، ج1، ص: 175 – أبو جعفر النحاس، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني،مكة، مكتبة جامعة أم القرى، ط1، 1409هـ، ص: 116.

3 السعدي، القواعد الحسان، ص: 43.

4 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 703.

5 المصدر نفسه، ج8، ص: 179.

6 سورة البقرة، الآية: 184.

8- بيان دلالة اللفظ ومتعلقه:

أن يستدل بقول التابعي ليفسر دلالة اللفظ القرآني ومتعلقه[1] مثاله[2]: ما أخرجه عن أبي العالية قال: "مطهرة"[3] من الحيض والبول والبصاق". فقد فصل التابعي كل ما يتعلق بدلالة الطهارة من خلال ذكر ما يحترز منه بها.

---

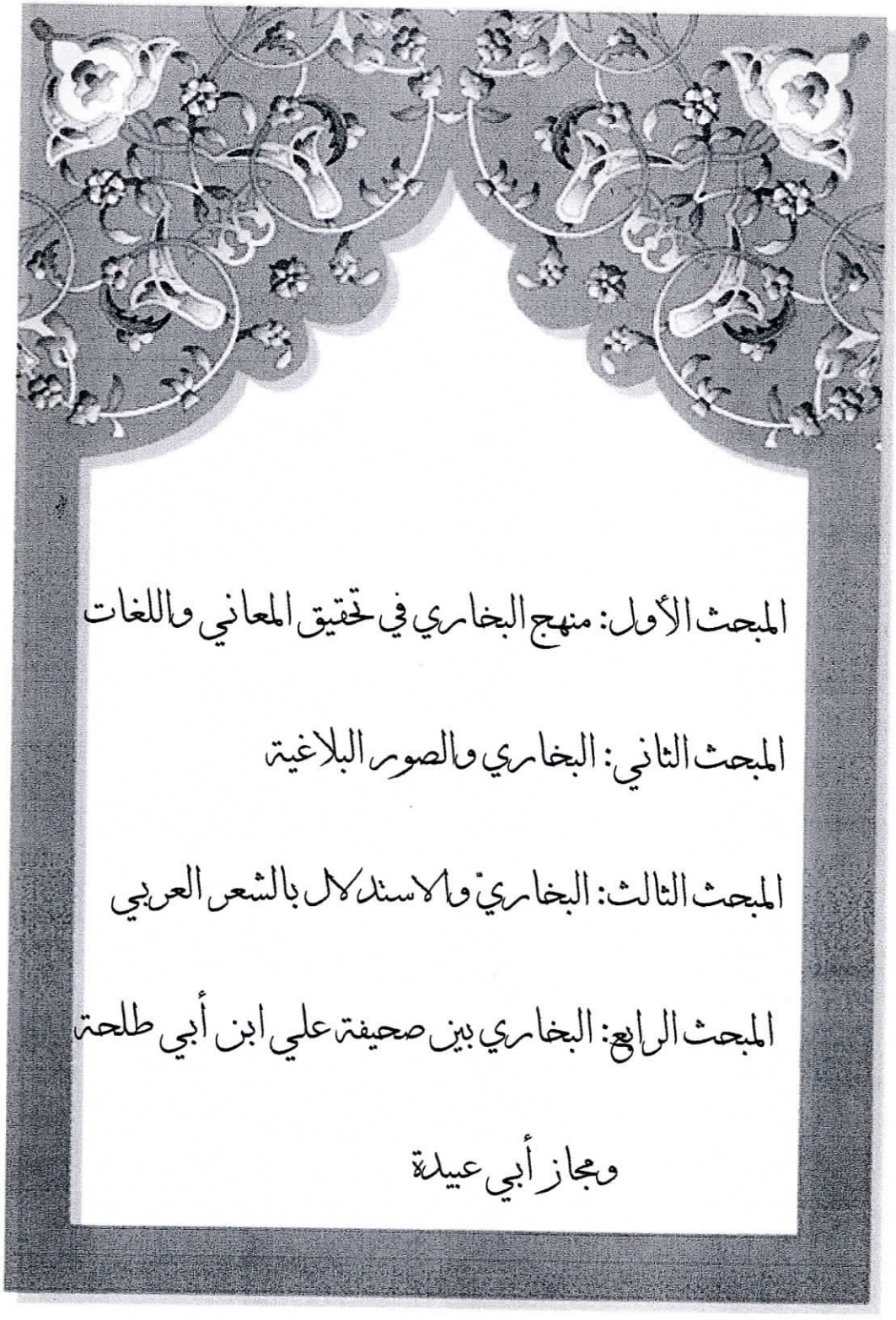
1 الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج2، ص: 71. ومن ذلك ما نقله البخاري عن الحسن في قوله تعالى: "... ولقاهم نضرة وسرورا" سورة الإنسان، الآية: 11، قال: "النضرة في الوجه، والسرور في القلب". ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 683.

2 ابن حجر، الفتح، ج6، ص: 317.

3 سورة آل عمران، الآية: 15.

الفصل السادس

البخاري وتفسير القرآن باللغة العربية



المبحث الأول: منهج البخاري في تحقيق المعاني واللغات

المبحث الثاني: البخاري والصور البلاغية

المبحث الثالث: البخاري والاستدلال بالشعر العربي

المبحث الرابع: البخاري بين صحيفة علي ابن أبي طلحة

ومجاز أبي عبيدة

الفصل السادس: البخاري وتفسير القرآن باللغة العربية

لقد نزل القرآن عربيا مبينا قال تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[1]، ولقد خاطب الله العرب بلغتهم التي بلغت ألفاظها أرقى درجات الفصاحة، ومعانيها أعلى منازل التعبير.

وبما أن القرآن عربي وجب تفسيره وفهمه وفق قواعد الخطاب عند العرب، إذ لا يجوز شرعا الإقدام على تفسيره دون الإحاطة بلغة العرب[2]، قال مجاهد: "لا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب"[3]. ولقد أدت العجمة وضعف العلم بلغة العرب إلى مفاسد التأويل، قال الحسن: "أهلكتهم العجمة، يتأوّلون القرآن على غير تأويله"[4].

وتدل النصوص الشرعية والآثار على تقدّم التفسير اللّغوي في نشأته، إذ أول من اعتمد على اللّغة العربية في فهم القرآن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد روى البخاريّ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لمّا نزلت ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أيّنا لا يظلم نفسه؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[5].

ويمثّل الاتجاه اللّغوي أصلا قويا أسس عليه البخاريّ منهجه في التفسير، فقد اعتمد كثيرا على أقوال الصحابة اللّغوية، فعربيّتهم أرجح إذ هي طبيعة فيهم وسليقة، وهم أعرف الخلق

---

[1] سورة فصلت، الآية: 03.
[2] الفيروزأبادي، القاموس المحيط، بيروت، دار الجيل، ج1، ص: 03.
[3] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 292. وقد نقل عن الإمام مالك رحمه الله قوله: "لا أوتى برجل يفسّر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا". وقال الشاطبي: "فمن اراد تفهّمه –القرآن– فمن جهة لسان العرب يفهم ولا سبيل لطلب فهمه من غير هذه الجهة ... فإن للعرب في لسانهم عرف مستمر فلا يصحّ عنه في فهم الشريعة ... وهذا جار في المعاني والألفاظ والأساليب" الموافقات، ج2، ص ص: 50-62.
[4] الشاطبي، الاعتصام، تحقيق: أحمد عبد الشافي، الجزائر، دار شريفية، ج2، ص: 473.
[5] ابن حجر، الفتح، ج1، ص: 87.

باللّغة دقها وجلّها[1]، أخرج البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "كنّا نقول للحي إذا كثروا في الجاهلية أُمِرَ بنو فلان"[2].

ولقد عرض البخاريّ مباحث لغوية متعدّدة شكلت ركائز علمية بنى عليها تفسيره اللّغوي، وأظهرت تمام فطنته في توظيف أرجح الاستعمالات اللّغوية في تفسير القرآن[3].

المبحث الأول: منهج البخاري في تحقيق المعاني واللغات.

الأدوات العلمية لبيان المعاني القرآنية:

ويتلخص منهج البخاريّ في دراسة المعاني على النّحو التالي:

1- أن يأتي باللّفظ القرآني ثمّ يذكر معانيه المتعددة مستدلا لكل معنى بالقرآن ثمّ يرجّح المعنى المناسب منها بقرينة السياق القرآني، مثاله[4]: باب: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَى بَنِي ٓ إِسْرَائِيلَ﴾ أخبرناهم أنّهم سيفسدون، والقضاء على وجوه: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾؛ أمر ربّك. ومنه الحكم ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾، ومنه الخلق ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ خلقهنّ.

2- أن يأتي باللّفظ القرآني الذي يدلّ ظاهره على معنى غير مراد ثمّ يذكر المعنى الآخر له فيرجّحه لدلالة سياق القصة عليه، مثاله[5]: باب ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي ٓ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا، حَتَّى إِذَآ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُۥ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ٓ آمَنَتْ بِهِۦ بَنُو ٓ إِسْرَآئِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿نُنجِيكَ﴾ نلقيك على نجوة من الأرض، وهو النّشز المكان المرتفع).

---

[1] صديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج1، ص: 18.

[2] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 394.

[3] الطاهر بن عاشور، التفسير ورجاله، ص: 62. وقال: "جعل البخاريّ أساس عمله في التفسير اللغة بتحقيق معاني الألفاظ المحتاجة إلى بيان وضبط مراجع اشتقاقها ومواقع استعمالها وتحري ما هو مأثور عن الصحابة أو مرفوع إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم".

[4] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 388.

[5] المصدر نفسه، ج8، ص: 348. وقد ذكر البخاريّ معنى "تنجيك" على المكان المرتفع احترازا من حمله على معنى النجاة، وهو معنى مرجوح لعدم دلالة السياق القرآن عليه. والله أعلم. قال أبو الطيب عبد الواحد بن عليّ اللّغوي: "والنّجو الارتفاع من الأرض". أنظر: شجر الدرّ في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة. تحقيق: محمّد عبد الجواد، القاهرة، دار المعارف، الطبعة 2/1968م، ص: 66.

3- أن يأتي باللفظ القرآني فيذكر معانيه المتعدّدة ثمّ يرجّح أحدها بقرينة سبب النزول، مثاله[1]: باب ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً﴾. وقال معمر[2]: "موالي أولياء ورثة، والمولى المعتَق، والمولى المليك، والمولى مولى في الدين". ثم نقل سبب النزول عن ابن عبّاس ليرجح به تفسير معمر بن المثنّى للفظ الموالي . فروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ قال: ورثة، ﴿وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصاري دون ذوي رحمه للأخوة التي آخى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بينهم، فلما نزلت: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ نسخت، ثمّ قال: ﴿وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من النّصر والرفادة والنّصيحة وقد ذهب الميراث ويوصي له.

4- أن يأتي باللفظ القرآني فيذكر جميع معانيه المشتركة، فيحمله عليها كلّها عند عدم تعارضها، مثاله[3]: قوله: "إلا القرابة والذمّة والعهد"، فقوله تعالى: ﴿لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُومِنٍ إِلاً وَلاَ ذِمَّةً﴾[4]، فلفظ الإلّ يشمل هذه المعاني كلها، والصّواب حمله على جميعا لعدم تعارضها، فالكفار لا يراقبون في مؤمن قرابة ولا ذمّة ولا عهدا.

---

[1] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 247. وفهم ابن عبّاس رضي الله عنهما للنص بحمل لفظ المولى على الوارث يدلّ على حجيّة أقوالهم في الاستدلال في مواضع التفسير اللغوي ورجحان تقديمها، وصنيع البخاريّ في تأكيد قول ابي عبيدة بقول ابن عباس رضي الله عنهما يدلّ على ذلك. والله أعلم.

[2] أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري النحوي العلامة، ولد سنة 110هـ، قربه الرشيد فأكرمه، خارجي المذهب، نسب إلى الشعوبية، صحح ابن المديني روايته ووثقه ابن حبان وأبو داود، له مساجلات مع أقرانه خاصة الأصمعي، برع في شرح الغريب ورواية أخبار العرب، له مصنف المجاز وغريب القرآن، مات سنة 209هـ. ينظر: أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،بيروت، دار الفكر العربي، ط1، 1406هـ-1986م، ج3، ص: 277 – أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1998م، ص: 95 – الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة، دار الفكر العربي، ج5، ص: 280.

[3] ابن حجر، الفتح، ج6، ص: 367 – ج8، ص: 313.

[4] سورة التوبة، الآية: 10.

5- أن يأتي باللفظ القرآني الذي من الأضداد، ثمّ يذكر فروق معانيه اللّغوية، ثم يوظفها حسب سياقات النّصوص القرآنية. مثاله[1]: قوله : "﴿بَلَآءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ ما ابتليتم به من شدّة، وفي موضع البلاء الابتلاء والتمحيص من بلوته ومحّصته؛ أي استخرجت ما عنده. يبلو؛ يختبر، مبتليكم؛ مختبركم. وأما قوله: ﴿بَلَآءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ النعم، وهي من أبليته وتلك من ابتليته".

6- أن يأتي باللفظ القرآني ثمّ يذكر معناه من طريق دلالة اشتقاقه ليستنبط به حكما شرعيا، مثاله[2]: باب "﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾[3]. والكلالة من لم يرثه أب أو ابن وهو مصدر من تكلله النسب"[4].

وقد يأتي باللفظ القرآني فيذكر معناه الاشتقاقي ليرجّح به استنباطا شرعيا، مثاله[5]: "ما أخرجه في كتاب المحصر قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾[6]، وقال عطاء: "الإحصار من كلّ شيء يحبسه". وقال البخاريّ: حصورا لا يأتي النساء"[7].

7- أن يأتي باللفظ القرآني فيذكر دلالته ثمّ يذكر الفروق اللّغوية -الدلالية- التي بينه وبين غيره، مثاله[8]: ما رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "نفشت رعت ليلا". وهذا احترازا

---

1 ابن حجر، الفتح، ج7، ص: 187.
2 المصدر السابق، ج8، ص: 267.
3 سورة النساء، الآية: 176.
4 ولقد اختلف العلماء في بيان دلالة لفظ الكلالة تبعا لاختلافهم في أصل اشتقاقه، فقد رجّح البخاريّ قول أبي بكر رضي الله عنه، وبالرجوع إلى اختلاف العلماء حول لفظ الكلالة يدرك المسلم أهميّة البحث الاشتقاقي للمادة اللّغوية ودوره في تنوّع الاجتهاد الفقهي بين علماء الشريعة الإسلامية، وعلى هذا فإن الوقوف على مواقع الاشتقاق هو إدراك لوجوه الخلاف بينهم. والله أعلم.
5 ابن حجر، الفتح، ج 4، ص: 03.
6 سورة البقرة، الآية: 196.
7 ولقد حمل البخاريّ لفظ الإحصار على معناه العام دون أن يخصّصه بعدو أو مرض، فالحصر يطلق على الحبس مطلقا. قال الزمخشري: "وأحصر الحاج إذا حبسوا عن المضي بمرض أو خوف أو غيرهما ... ورجل حصور لا يرغب في النساء". الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، بيروت، دار المعرفة، ص: 85. وانظر: مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، شركة الإعلانات الشرقية، الطبعة 3/1305هـ-1985م، ج1، ص: 185.
8 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 435.

منه عن قوله هملت إذا رعت نهارا بلا راع[1]. وقال[2]: "الجذوة قطعة غليظة من الخشب ليس فيها لهب، والشهاب فيه لهب".

8- أن يأتي باللفظ فيذكر دلالته العامة ثمّ يشرع في التمثيل لها ثمّ التدقيق في بيان حدودها، مثاله[3]: قوله: "والماعون؛ المعروف كلّه". فهذه دلالة عامّة لكلّ معنى الخير، ثمّ مثّل للمعروف بقوله: "وقال بعض العرب: الماعون؛ الماء". ثمّ ذكر الحد الأعلى والأدنى للدلالة فقال: "وقال عكرمة: أعلاها الزكاة المفروضة، وأدناها عارية المتاع".

9- أن يأتي باللفظ القرآني ثمّ يوظف منهج التدقيق في بيان الفرق الدلالي بين الألفاظ المتشابهة -المتفقة في مبنى اللفظ المختلفة في حركات الشكل-، مثاله[4]: ما نقله ّ عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: "وريشا؛ المال"[5]. ثمّ نقل عن أبي عبيدة قوله: "الرّياش والرّيش واحد، وهو ما ظهر من اللّباس".

مناقشة علمية لاجتهادات البخاري في مبحث المعاني:

1- تفسير قوله تعالى : ﴿وَيُبْرِئُ الأَكْمَهَ ...﴾[6] فقد نقل عن مجاهد قوله: "والأكمه من يبصر بالنّهار ولا يبصر بالليل". ونقل عن أبي عبيدة: "هو من يولد أعمى"[7].

ونقل البخاريّ للقولين المختلفين يوحي بعدم جزمه في دلالة اللّفظ، وجمهور العلماء على خلافه، فقد حملوا لفظ الأكمه على المولود أعمى قطعا[8]، أمّا قول مجاهد فهو شاذ[9] يصح

---

1 وقال ابن قتيبة: سرحت الإبل والماشية بالغداة وراحت بالعشي ونفشت بالليل وهملت إذا أرسلتها ترعى ليلا ...". أدب الكاتب، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ، مطبعة السعادة، الطبعة 1382/4هـ-1963م، ص: 175.

2 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 506.

3 المصدر نفسه،ج8، ص: 730.

4 المصدر نفسه،ج8، ص: 297.

5 ونقل البخاريّ عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قوله: "ورياشا؛ المال" وهذا بدل قوله ريشا مما يشير إلى تساوي دلالتهما. الفتح، ج6، ص: 361.

6 سورة آل عمران، الآية: 49.

7 ابن حجر، الفتح، ج6، ص: 471.

8 الثعالبي، فقه اللّغة، ص: 138 - الزمخشري، أساس البلاغة، ص: 398 - أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، المخصّص، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ج1، ص: 105.

9 ابن حجر، الفتح، ج6، ص: 372.

إطلاقه على لفظ الأعشى. والتحقيق عند علماء اللّغة أن يحمل قول مجاهد على لفظ الأعشى ويحمل قول أبي عبيدة على لفظ الأكمه.

2- تفسير قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ فقد نقل عن سعيد بن جبير قوله: "كرسيّه؛ علمه"[1]. وقد ينازع البخاريّ فيما نقله عن ابن جبير. إذ قد ضعّف ابن تيميّة تفسير الكرسيّ بالعلم[2]، ووصفه ابن حجر بالغرابة[3]، ويترجّح حمل لفظ الكرسيّ على دلالة ظاهره للاعتبارات التالية:

أ- أنّ أغلب الآثار الواردة في لفظ الكرسي ثابتة في وصفه على حقيقته. قال مجاهد: "ما السماوات والأرض والكرسيّ إلا بمنزلة حلقة ملقاة في الأرض الفلاة"[4].

ب- أن الآثار الواردة في تفسير لفظ الكرسيّ على ظاهره صحيحة مستفيضة وصريحة واضحة.

ج- أن مقام المعنى العام للسياق القرآني الذي ورد فيه اللفظ القرآني تناسبه صفة القدرة لا العلم[5]، والقرينة اللفظية اللاحقة تدل عليه وهي: ﴿وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا...﴾.

د- أن الاستعمال المعهود عند العرب في الخطاب لا يرجّح حمل لفظ الكرسيّ في دلالته على معنى العلم[6].

3- تفسير قوله تعالى: ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي ˜ أُخْرَاكُمْ﴾ قال: "وهو تأنيث آخركم"[7]، ولقد تبع أبا عبيدة في قوله، ولعلّه ذهل في النقل عنه دون تحرير[8]. إذ لفظ أخرى تأنيث آخَرَ بفتح الخاء لا كسرها[9].

---

1 المصدر نفسه، ج8، ص: 199.
2 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج6، ص: 584.
3 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 199.
4 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص: 180.
5 ابن تيمية، المجموع، ج6، ص: 584.
6 الشاطبيّ، الموافقات، ج3، ص: 294.
7 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 227.
8 العيني، عمدة القاري، ج8، ص: 527.
9 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 227.

4- تفسير قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ ... خِطْئاً كَبِيراً﴾[1]، قال : "خطئا: إثما، وهو اسم من خطئت، والخطأ مفتوح مصدره من الإثم، خطئت بمعنى أخطأت"[2].

فتسوية البخاريّ بين خطئ وأخطأ فيه نظر[3]، إذ التحقيق أن يقال[4]: خطئ الرّجل إذا تعمّد الذنب فهو خاطئ من الخطيئة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾[5]، وعلى هذا المعنى تحمل دلالة الآية، إذ سياقها يقطع بأن المشركين قتلوا أولادهم عمدا، وإلا لم يكن للنهي فائدة. أمّا لفظ أخطأ يخطئ إذا أراد شيئا فأصاب غيره،فيشهد له قوله صلى الله عليه وآله وسلّم: "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثمّ أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثمّ أخطأ فله أجر"[6].

5- تفسير قوله تعالى: ﴿صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا ...﴾[7]، قال البخاريّ: "صفراء إن شئت سوداء، ويقال صفراء كقوله: ﴿جِمَالَاتٌ صُفْرٌ﴾[8] وقد ينازع البخاريّ في حمله الصفرة على السواد من خلال ما يلي:

أ- استدلاله بقوله تعالى: ﴿جِمَالَاتٌ صُفْرٌ﴾ أي؛ -السوداء المشوبة بالصفرة-، فقياس البقر على النوق في السواد والصفرة قياس مع الفارق إذ هو مقصور على الإبل[9] حتى وإن حملت الآية الأولى على الثانية فإن قوله تعالى: ﴿فَاقِعٌ لَوْنُهَا ...﴾ يردّ ذلك باعتبارين:

---

[1] سورة الإسراء، الآية: 31.
[2] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 388.
[3] المصدر نفسه،ج8، ص: 390.
[4] ابن الجوزي، تقويم اللسان، تحقيق: عبد العزيز مطر، القاهرة، دار المعرفة، ص: 122. ونقل قول الشاعر:

لا تخطونّ إلى خطئ ولا خطأ ... من بعد ما الشيب في خوديك قد وخطا
فأي عذر لمن شابت مفارقه ... إذا جرى في ميادين الهوى وخطا

المشهور المستعمل في مصدر خطئ خطئا إذا تعمّد، وهذا هو الذي اختاره أبو طالب القيسي، وعليه الأكثر كما ذكر. مكي ابن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج2، ص: 45 - نجاة عبد العظيم الكوفي، أبنية الأفعال، دراسة لغوية قرآنية، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط/409هـ-1989م، ص: 200.
[5] سورة يوسف، الآية: 91.
[6] ابن حجر، الفتح، ج13، ص: 318.
[7] سورة البقرة، الآية: 69.
[8] سورة المرسلات، الآية: 33.
[9] الطبري، جامع البيان، ج1، ص: 284 - ابن الجوزي، زاد المسير، ج1، ص: 97.

أولهما: تفسير البخاريّ[1]: (فاقع: صاف) أي؛ صفراء صافية، والجمالات الصفر توصف بالسواد إذا كانت مشوبة بالصفرة.

ثانيهما: أن العرب لا تقول أسود فاقع، وإنّما تقول أسود حالك وأصفر فاقع.

ب- استدلاله بقوله تعالى: ﴿جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ أي سود، وحمله لفظ الجمالات على معنى الجمال يناقض تفسيره الصريح للآية في بابها، إذ نقل قول مجاهد[2]: (الجمالات: الحبال)، وأكّده بقول ابن عباس رضي الله عنهما: (حبال السفن تجمع حتى تكون كأوساط الرّجال)[3]".

6- تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ...﴾[4] فالمعنى الغالب في الاستعمال العربي حمل لفظ التنور على ما يخبز فيه، إلاّ أن البخاريّ حمله على معنيين مخالفين لظاهره هما:

أ- نبوع الماء وانبجاسه، فروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: "فار التنور: نبع الماء"[5] والمشاهد لقول ابن عباس يجده قد فسّر اللفظ بلازمه دون ظاهره، وهذا منهج غلب على السلف الصالح[6].

ب - وجه الأرض عموما، فروى عن عكرمة قال: "وفار التنور: وجه الأرض"[7].

منهج البخاري في عرض لغات القرآن:

البخاري والمعرب في القرآن:

ولقد تعرض البخاريّ للغات واللهجات العربية الواردة في القرآن فحقق مقاصد متعددة من خلال ذكر مباحثها على النحو التالي:

---

1 ابن حجر، الفتح، ج6، ص: 439.
2 المصدر نفسه، ج8، ص: 285.
3 المصدر نفسه، ص: 688.
4 سورة هود، الآية: 40.
5 ابن حجر، الفتح، ج6، ص: 370.
6 ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، ص: 50.
7 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 348.

1- أن يذكر اللغات الواردة في اللفظ القرآني دون تعقيب أو ترجيح، مثاله[1]: "قوله تعالى: ﴿عُرُباً﴾[2] مثقلة واحدها عروب مثل -صبور وصبر- يسميها أهل مكّة: العَربة، وأهل المدينة: الغَنِجَة، وأهل العراق: الشَكِلَة".

2- أن يذكر اللغات الواردة في اللفظ القرآني معقبا بتساويها عند العرب في خطابها المعهود، مثاله[3]: "قوله: ﴿فِي ضَيْقٍ﴾[4]، يقال: أمر ضيْق وضيّق، مثل: هيْن وهيّن، وليْن وليّن، وميْت وميِّت ..."[5].

وقد يذكر اللغات الواردة في اللفظ القرآني معقبا بتساويها مستدلا عليها بالشعر العربي، مثاله[6]: قوله: "سجّيل؛ الشديد الكبير، سجّيل وسجّين واحد، واللام والنون أختان، وقال تميم بن مقبل:

ورجلة يضربون البيض ضاحية ضربا تواصى به الأبطال سجينا"[7].

3- أن يذكر اللفظ القرآني على لغة ثمّ يفسّره بمعنى من لغة أخرى، مثاله[8]: قولهّ: "ويقال الضريع نبت، يقال له الشبرق يسميه أهل الحجاز الضريع إذا يبس، وهو سمّ".

4- أن يذكر اللفظ القرآني مصرّحا بنسبته إلى لغة معيّنة دون غيرها، مثاله[9]: باب ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ لغة أهل الحجاز هلمّ للواحد والإثنين والجمع.

---

[1] المصدر نفسه، ص: 625. ومنه كذلك قوله تعالى: "وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا..." قال البخاريّ: خلافك وخلفك سواء. قال ابن حجر: وهما لغتان بمعنى. الفتح، ج8، ص: 393. وكذلك قوله: "كَرها وكُرها واحد". الفتح، ج8، ص: 313.

[2] سورة الواقعة، الآية: 37.

[3] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 384.

[4] سورة النحل، الآية: 127.

[5] ومنه قول البخاريّ: (تملى عليه) تقرأ عليه من أمليت وأمللت. ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 490. وقال أبو العباس ثعلب : "وأمللت وأملّ إملالا لغتان جيّدتان جاء بهما القرآن، قال تعالى(اكتتبها فهي تملى عليه) سورة الفرقان، الآية: 05، فهذا من أمليت. وقال الله عزّ وجلّ: (أن يملّ هو فليملل وليّه بالعدل) سورة البقرة، الآية: 282، فهذا من أمللت، وهاتان لغتان لأهل الحجاز وبني أسد". أنظر: الفصيح، تحقيق: صبحي التميمي، الجزائر، دار الشهاب، ص: 163.

[6] ابن حجر، الفتح، ج8 ، ص:352.

[7] عزة حسن، ديوان ابن مقبل، دمشق، مطبعة الرقي، ص: 333. وذكر البيت: القرطبي في تفسيره، ج19، ص: 258.

[8] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 700.

[9] المصدر نفسه،ج8، ص: 296.

ومما تعرّض له البخاريّ في اللغات مبحث المعرب[1] -اشتراك اللغات- فقد ذكر نماذج كثيرة، ومما يلاحظ على منهجه بعد استقراء النماذج أنه:

أ- يقول بثبوت المعرب في القرآن، وإكثاره من إيراده له يدلّ على ذلك دلالة صريحة[2].

ب- أنه يعتمد على قول الصحابيّ أوالتابعيّ في إثبات المعرب ، مثاله[3]: ما فسّر به لفظ الناشئة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾[4]، قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: "نشأ؛ قام بالحبشية". أمّا التابعون فقد أكثر النقل عنهم، مثاله[5]: ما نقله عن مجاهد قال: "الطور؛ الجبل بالسريانية".

ج- أنّه يحصر قوله بالمعرب في دائرة أسماء الأعلام والأجناس[6]، مثاله[7]: ما نقله عن سعيد بن جبير قال: "بالنبطية طه؛ يا رجل". وكذلك ما نقله[8] عن عكرمة: "الجبت بلسان الحبشة؛ شيطان، والطاغوت؛ الكاهن". وقوله كذلك[9]: "جبر وميك وسراف؛ عبد. إيل؛ الله".

---

[1] قال الإمام السيوطي: "المعرب ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها". أنظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، بيروت، المكتبة العصرية، ط/1987م، ج1، ص: 268.
والعلماء في المعرب فريقان: فريق رفض المعرب مطلقا بحجّة عربية القرآن وشدّد الشافعيّ في ذلك، وذهب فريق آخر إلى جواز وقوع ذلك، وجعلوه من جنس توارد اللغات. أنظر: الشافعي، الرسالة، ص: 41-42 – جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية، منار الهدى، بيروت،العدد 32، سنة95، ص52 -أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط/1982م، ص: 12.-السيوطي المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب،تحقيق:محمد التونجي،بيروت، دار الكتاب العربي ط1/1416هـ-1995م ص32

[2] ومن نماذج المعرب ما يلي: ابن حجر، الفتح، ج3، ص: 21، ج6، ص: 329 و 386 و 479، ج8، ص: 252 و 348 و 363 و 431 و 436 و 446 و 601 و 602 و604.

[3] ابن حجر، الفتح، ج3، ص: 21.

[4] سورة المزمّل، الآية: 06.

[5] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 601.

[6] المصدر نفسه،ج8، ص: 252. واقتصار البخاريّ على أسماء الأعلام والأجناس يوحي بأنه يقول باشتراك اللغات وتواردها، خاصة وأن "العربية أقدم اللغات السامية على الإطلاق"، بل بلاغتها وحسن أساليبها يؤكّد أنها "اللغة السامية الأمّ، وأن سائر اللغات السامية لهجات" وكونها الأصل والأخرى فرع يقتضي الاشتراك في الألفاظ. والله أعلم. أنظر: عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، الطبعة 1/1965م، ج1، ص: 32 – محمد عزة دروزة، عصر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وبيئته قبل البعثة، بيروت، دار النهضة العربية، ط/1964م، ص: 60.

[7] ابن حجر ، الفتح،ج8، ص: 431.

[8] المصدر نفسه،ج8، ص: 251.

[9] المصدر نفسه،ج8، ص: 165.

البخاري ومقاصد الاستدلال بعلم الاشتقاق:

ويعتبر علم الاشتقاق "من أشرف علوم العربية وأدقها، وعليه مدار علم التصريف في معرفة الأصليّ والزائد والأسماء والأفعال "[1].

ولقد تعرّض البخاريّ لظاهرة الاشتقاق اللغوية قاصدا جملة من الفوائد:

1- أن يذكر اشتقاق اللفظ القرآني لبيان دلالة شرعية، مثاله[2]: قوله: "باب ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ﴾، وقال ابن عباس: أسفل النار. نفقا سربا". فقد فسّر لفظ النفاق -إظهار غير ما يبطن- بالسرب الذي هو معنى مشتق من لفظ النفق[3].

2- أن يذكر اشتقاق اللفظ القرآني لبيان الفروق الدلالية بين الألفاظ القرآنية، مثاله[4]: "باب قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[5]، القواعد؛ أساسه، واحدتها قاعدة. والقواعد من النساء واحدها قاعد".

3- أن يذكر اشتقاق اللفظ القرآني ليرجّح فهما صحيحا ويدفع آخر خاطئا، مثاله[6]: "قوله: (ننجّيك) نلقيك على نجوة من الأرض، وهو النشز المكان المرتفع".

---

[1] بدر الدين الزركشي، البحر المحيط، القاهرة، دار الكتبي، ط1، 1414هـ-1994م، ج2، ص: 312 - أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، رسالتان في اللغة، تحقيق: إبراهيم السامرائي، عمان، دار الفكر، ، ط1984م، ص: 69 - مجلة المنطلق، العدد: 91/78، تصدر عن الاتحاد اللبناني للطلبة المسلمين، لبنان،ص: 07 - عبد القاهر الجرجاني، كتاب المفتاح في الصرف، تحقيق: علي توفيق الحمد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ، ط1، 1407هـ-1987م، ص: 62.

[2] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 266. وقول ابن عباس رضي الله عنهما: نفقا بمعنى السرب هو تفسير لقوله تعالى: "وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ..."سورة الأنعام، الآية: 35.

[3] ينظر: الأمثلة القرآنية التي فسرها بالاشتقاق، الفتح، ج8، ص: 389 - 703 - 730.

[4] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 169.

[5] سورة البقرة، الآية: 127.

[6] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 348.

4- أن يذكر اشتقاق اللفظ القرآني لبيان مواقع الاستعمال الافرادي والتركيبي[1]، مثاله[2]:باب قول الله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً﴾[3] وقوله: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ﴾[4] الحجر موضع ثمود، وأما ﴿حَرْثٌ حِجْرٌ﴾[5]؛حرام، وكلّ ممنوع فهو حجر، ومنه ﴿حِجْراً مَحْجُوراً﴾[6].

والحجر كلّ بناء بنيته، وما حجرت عليه الأرض فهو حجر ومنه سمّي حطيم البيت حجرا كأنه مشتق من محطوم، مثل: قتيل من مقتول، ويقال للأنثى من الخيل حجر، ويقال للعقل: حجر وحجى، وأمّا حجر اليمامة فهو المنزل".

المبحث الثاني: البخاري والصور البلاغية

من علوم العربية معرفة علم البيان في تحقيق التفسير القرآني ، فهو أداة تطلع المفسر على أسرار النظم القرآني، ومقاصد الاستعمال العربي، وبدائع الإعجاز. ولقد عرض البخاريّ في تفسيره موضوعات من علم البيان موجزة على النحو التالي:

1- المجاز[7]:

قال البخاريّ[8]: باب ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾[9] إلى أهل مدين بلد، ومثله ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ ﴿وَاسْأَلِ الْعِيرَ﴾[10] يعني أهل القرية والعير.

---

[1] ومما خالف فيه البخاريّ علماء عصره، -أنّهم يقتصرون في تفسيرهم على الوجه الواحد الذي يقتضيه النّظم القرآني باعتبار المعنى اللغويّ- أنه كان يدقق في بيان دلالات الألفاظ القرآنية، ضابطا مصادر اشتقاقها، معدّدا مواقع استعمالها و توظيفها في الافراد والتركيب.

[2] ابن حجر، الفتح، ج6، ص: 378 وج8، ص: 296.

[3] سورة الأعراف، الآية: 73.

[4] سورة الحجر، الآية: 80.

[5] سورة الأنعام، الآية: 138.

[6] سورة الفرقان، الآية: 22. ونصّ الآية: "ويقولون حجرا محجورا".

[7] أبو عبد الله جلال الدين محمد بن سعد القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ، بيروت، دار إحياء العلوم ، ط4، 1998م، ص: 31.

[8] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 353.

[9] سورة الأعراف، الآية: 85.

[10] سورة يوسف، الآية: 82. وتمام الآية: "واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون".

ففي الآيات القرآنية التي أوردها البخاريّ مجاز حذف -حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه-[1] وعند الحذف لا يصح معنى اللفظ إلا بعد معرفة مصدر الإسناد[2]، فلا يصح الكلام عقلا سؤال القرية أو العير، فلابدّ من تقدير كلمة أهل لتستقيم الدلالة[3]، وقد يكون سياق الآية يشير إلى مقتضى التقدير[4]. والمجاز في الآيات السابقة دلالة علاقته محلية، فقد ذكر المحلّ -القرية، العير، مدين- وأراد به الحال فيه وهم الأهل.

ومن الأمثلة كذلك: قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾[5]، قال البخاريّ -نقلا عن أبي عبيدة-[6]: "ذوقوا: باشروا وجربوا وليس هذا من ذوق الفمّ"، فهذا مجاز فقد وصف المعاني بالذوق، و"الذوق الحقيقي إدراك طعوم المطعومات ثمّ تجوّز به عن إدراك ألم المؤلمات وضرر المضرات وخزي المخزيات"[7].

ومن النماذج كذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ...﴾[8]، قال [9]: "قال قتادة: الريح الحرب"، وهذا تفسير مجازي، إذ المراد بالريح القوّة في الحرب، ولازمها الدولة والنصر، وذهابها هو عين الجبن المعبر عنه بالفشل[10].

وبما أن العقل يمنع حمل لفظ الريح على ظاهر معنى لفظ الحرب حقيقة تعيّن القول بالمجاز، إذ حمل الألفاظ العربية على مجازها عند العلم به متعيّن[11].

---

[1] الزركشي، البرهان، ج3، ص: 148.
[2] جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج1، ص: 264.
[3] فتحي الدريني، المناهج الأصولية، ص: 230.
[4] الإمام الشافعي، الرسالة، ص: 62 – الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق: محمد عبد الغني حسن، ، القاهرةن دار إحياء الكتب العربية ، ط1، 1374هـ-1955م، ص: 173.
[5] سورة الأنفال، الآية: 13-14.
[6] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 306 و ج6، ص: 333.
[7] العز بن عبد السلام، الإشارة إلى المجاز، ص: 101.
[8] سورة الأنفال، الآية: 46.
[9] ابن حجر، الفتح، ج6، ص: 162 و ج8، ص: 306.
[10] ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ط/1958م، عيسى الحلبي، ص: 179.
[11] العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تحقيق: محمد بن تلامين الشنقيطي، بيروت، دار المعرفة، ج2، ص: 113 – القرضاوي، كيف نتعامل مع السنّة النبوية، الجزائر، دار المطبوعات الجميلة، ط/ 1991م، ص: 162.

2- الكناية[1]:

وهي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك[2]. ومن نماذج الكناية ما يلي:

قال البخاريّ[3]: باب ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾[4] وقال مجاهد: حمّالة: تمشي بالنميمة، فهي تسعى بالنميمة وكنى على ذلك بالحطب لجامع الضرر بينهما، ولقد نبّهت الكناية على سوء المصير وعظمة الوعيد[5].

ومن النماذج كذلك قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا ...﴾[6]، قال البخاريّ -نقلا عن أبي عبيدة-[7]: "سوءاتهما كناية عن فرجيهما".

3- التقديم والتأخير[8]:

إن من أساليب الكلام عند العرب استعمال خطاب التقديم والتأخير، وإنّ من سننها تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخّر وتأخيره وهو مقدّم[9]، والأصل العام في معهود الخطاب العربي

---

[1] ينظر: أبو بكر تقي الدين الحموي، خزانة الأدب، تحقيق: عصام شعيتو، بيروت، دار الهلال، ط1، 1987م، ج2، ص: 263 – أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد الموصلي، المثل السائر، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية ، ط/1995م، ج2، ص: 181 – أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد التنجي، بيروت، دار الكتاب العربي ، ط1، 1995م، ج1، ص: 66.

[2] صفي الدين الحليّ، شرح الكافية البديعة في علوم البلاغة ومحاسن البديع، تحقيق: نسيب نشاوي، ، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط2، 1989م، ص: 201.

[3] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 738 – شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق: فتحي أنور الدابولي، ، القاهرة، دار الصحابة للتراث ، ط1، 1992م، ص: 481.

[4] سورة المسد، الآية: 04.

[5] السيوطي، معترك الأقران، ج1، ص: 289 – الزركشي، البرهان، ج2، ص: 308 – صبحي صالح، مباحث في علوم القرآن، ص: 331.

[6] سورة الأعراف، الآية: 20.

[7] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 297.

[8] ابن قيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ، بيروت، دار الكتب العلمية ، ص: 82.

[9] أبو الحسين أحمد بن فارس، الصاجي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق: أحمد حسن بسبع، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة 1418/1هـ-1997م، ص: 189.

الترتيب وإقرار الكلام على نظمه دون تغيير إلا لقرينة تثبت التقديم أوالتأخير دفعا للقدح في البيان وسدا للالتباس على السامع[1].

ولقد أورد البخاريّ مثالا على التقديم والتأخير فقال[2]: "وقال غيره -أبو عبيدة - ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[3]، هذا مقدّم ومؤخر وذلك أنّ الاستعاذة قبل القراءة ومعناها الاعتصام بالله".وقرينة اتصال الكلامين تدل على تقديم الاستعاذة على القراءة، فالمعنى من الله جلّ ثناؤه إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ قبل أن تقرأ، فقدّم القراءة قبل الاستعاذة[4]، والحكمة من التقديم والتأخير في هذه الآية تحقيق مصلحة الاعتناء[5]، فقدّم قراءة القرآن لما له من الفضل والمقام، وأخرت الاستعاذة لقرينة السياق بعدها للدلالة بها على الاعتصام من سلطان الشيطان، "والقراءة وإن قدّمت في الخطاب فليست مقدّمة في الحدوث أو الحكم"[6].

المبحث الثالث: البخاريّ والاستدلال بالشعر العربي:

لقد تعرض البخاريّ -في التفسير اللغوي للقرآن- إلى قضية الاستشهاد بالشعر العربي والعلماء في حكمه على قولين، وصنيع البخاريّ يشير إلى اعتقاده حكم الجواز شرط أن يكون ممدوحا غيرَ مذموم[7]، وأن يقصر حكم الاستشهاد على بيان الغريب من القرآن، وعلى تأصيل ألفاظ الوحي في اللغة. ولقد استدل على حكم الجواز بنص القرآن مؤكدا له بأقسام السنّة -

---

1 ابن تيمية، دقائق التفسير، تحقيق: محمد السيد الجليند، دمشق، مؤسسة علوم القرآن،ط1404/2هـ، ج6، ص: 123 و مجموع الفتاوى، ج12، ص: 218.

2 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 384.

3 سورة النحل، الآية: 98.

4 الحارث بن أسد المحاسبي، العقل وفهم القرآن، تحقيق: حسين القوتلي، بيروت، دار الكندي، ، ط3، 1402هـ-1982م، ص: 484 - أبو النصر أحمد بن محمد السمرقندي، المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى، تحقيق: صفوان عدنان داودي، بيروت، دار العلوم، ط1، 1408هـ-1988م، ص: 194.

5 صديق بن حسن القنوجي، الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبّار زكّار، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة 1978/2م، ج2، ص: 509. وهذه الآية تنزّل منزلة قوله تعالى: "إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا ..." - الزمخشريّ، الكشاف، بيروت، دار المعرفة، ج2، ص: 428.

6 الإمام الشوكاني، فتح القدير، ج1، ص: 109.

7 قال ابن عباس رضي الله عنهما: "قال لي عمر بن الخطاب: أنشدني لأشعر شعرائكم، قلت: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير، قلت: وكان كذلك؟ قال: كان لا يعاظل بين الكلام، ولا يتّبع حوشيته، ولا يمدح الرّجل إلا بما فيه ". السيوطي، المزهر في علوم اللغة، ج2، ص: 472.

القولية والفعلية والتقريرية- قال[1]: باب (ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه) وقوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَآءُ يَتَّبَعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُواْ اللهَ كَثِيراً وَانتَصَرُواْ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[2].

أما دليل السنّة القولية فما رواه عن أبي بن كعب رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وآله وسلّم: "إن من الشعر حكمة". وأما السنّة الفعلية فما رواه عن جندب رضي الله عنه قال: بينما النبي صلى الله عليه وآله وسلّم يمشي إذ أصابه حجر فعثر فدميت إصبعه فقال:

هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

أما السنة التقريرية فما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم: أصدق كلمة قالها الشاعر لبيد: ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل، وكاد أميّة ابن أبي الصلت أن يسلم.

ضوابط الاستدلال الشعري عند البخاري

ومن خلال استقراء أدلة البخاريّ في حكم الاستشهاد بالشعر تبين أنه يعلقه على:

1- تحقيق مصلحة شرعية راجحة، كتأكيد حكم عقائدي[3] أو الإعانة على عبادة، وحديث جندب وأبي هريرة وسلمة بن الأكوع يشير إلى هذا.

---

[1] ابن حجر، الفتح، ج10، ص: 536.

[2] سورة الشعراء، الآية: 224-227. ولقد قرأ ابن عباس الآية: "والشعراء يتبعهم الغاوون..." ثمّ قال: فنسخ من ذلك واستثنى فقال: "إلا الذين آمنوا ...ينقلبون". أنظر: البخاري: الأدب المفرد، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، الرياض، مكتبة المعارف، الطبعة 1419/1هـ-1998م، ج2، ص: 468.

[3] روى مسلم عن أبي هريرة قوله صلى الله عليه وآله وسلّم: "أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل وكاد أميّة ابن أبي الصلت أن يسلم". قال الإمام النووي: "ومقصود الحديث أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم استحسن شعر أميّة واستزاد من إنشاده لما فيه من الإقرار بالوحدانية والبعث". النووي، شرح صحيح مسلم، ج15، ص: 12.

2- إعلاء كلمة الدين والانتصار للإسلام من المشركين، ويشير إلى ذلك باب[1] هجاء المشركين، حيث استدل بثلاثة أحاديث منها ما رواه البراء رضي الله عنه أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم قال لحسّان: "أهجهم -أو قال هاجهم- وجبريل معك".

3- عدم تفويت مصلحة محققة كضياع علم أو قرآن أو ذكر، ويشهد لذلك[2]: باب (ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتّى يصدّه عن ذكر الله أو العلم أو القرآن)، ثمّ من بين ما استدل به قول ابن عمر رضي الله عنهما أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم قال: "لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا"[3].

ورغم كل هذه الشروط المقيّدة لحكم الجواز في الاستشهاد بالشعر الممدوح، فان البخاريّ غلب على منهجه ترك الشواهد الشعرية إذا استشهد باللغة ، وصنيعه بالمأثور عن ابن عباس وأبي عبيدة يشهد لذلك[4].

مقاصد الاستدلال الشعري عند البخاري:

لقد اقتصر استشهاد البخاري بالشواهد الشعرية على:

1- بيان غريب اللفظ القرآني وتوضيح دلالته، مثاله[5] قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ... ﴾[6]، فقد فسّره بقوله: لأوّاه شفقا وفرقا، ثمّ استشهد بقول الشاعر المثقب العبدي:

---

[1] ابن حجر، الفتح، ج10، ص: 546.
[2] ابن حجر، الفتح، ج10، ص: 548.
[3] وقال النووي: "والمذموم من الشعر الذي لا فحش فيه إنما هو الإكثار منه وكونه غالبا على الإنسان، بحيث يشغله عن القرآن والعلوم الشرعية وذكر الله تعالى". النووي، شرح صحيح مسلم، ج15، ص: 12.
[4] رغم أن الشعر الممدوح حكمه الجواز إلا أن العلماء قللوا الأخذ به. سئل الإمام مالك عن إنشاد الشعر فقال: "يخفف منه ولا يكثر، ومن عيبه أن الله سبحانه يقول: (وما علّمناه الشعر وما ينبغي له) سورة يس، الآية: 69". أبو محمد عبد الله بن زيد القيرواني، كتاب الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، تحقيق: محمّد أبو الأجفان، عثمان بطيخ، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة 1403/2هـ-1983م، ص: 262.
وسئل أحمد بن حنبل عن القرآن يتمثل له الرجل بشيء من الشعر فقال: "ما يعجبني". آل تيمية، المسوّدة، ص: 175. والكراهة المنقولة عن الإمام أحمد محمولة على إخراج الآية عن ظاهرها المتبادر إلى دلالات بعيدة لا توجد غالبا إلا في الشعر، ويكون الظاهر المتبادر خلافها. محمد الحضري الدمياطي، رسالة في مبادئ التفسير ومنظومة في مشابهات القرآن، دمشق، دار البصائر، الطبعة 1404/1هـ، 1984م، ص: 15.
[5] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 313.
[6] سورة التوبة، الآية: 114.

إذا ما قمت أرحلها بليل تأوّه آهة الرجل الحزين

2- تحديد دلالة لغوية معيّنة، فقد ذكر البخاريّ تفسيرين لفواتح السور حم[1].

القول الأول: أنّها فواتح مثل جميع فواتح سور القرآن، واستدل بقول مجاهد: مجازها مجاز أوائل السور.

القول الثاني: أنها اسم، واستشهد له بقول الشاعر شريح ابن أبي أوفى العبسي:

يذكّرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم

3- إثبات لغة واردة في القرآن، مثاله[2]: قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَنضُودٍ ...﴾ [3]، قال: سجّيل الشديد الكبير، سجيل وسجّين واحد، واللام والنون أختان، وقال تميم بن مقبل:

ورجلة يضربون البيض ضاحية ضربا تواصى به الأبطال سجينا

وفي موضع آخر اثبت هذه اللغة بالمعرّب فنقل عن ابن عباس قوله: "من سجيل هي سنك وكل"[4]، "والسنك الحجارة وكل هو الطين، وهذه لغة الفرس"[5].

المبحث الرابع: البخاري والاستدلال النحوي والصرفي:

الاستدلال النحوي:

وكما بحث البخاريّ في معاني الألفاظ المفردة والمركبة بحث كذلك في معاني الحروف من حيث تناولها وتضمّن بعضها لبعض على حسب الأحوال الداعية إليه والمسوّغة له[6].

معاني الحروف:

ومن نماذج ذلك ما يلي:

---

1 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 553.
2 المصدر نفسه، ج8، ص: 553.
3 سورة هود، الآية: 82.
4 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 729.
5 بدر الدين بن احمد العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج19، ص: 314.
6 أبو الفتح عثمان بن جنّي، الخصائص، تحقيق: محمد عليّ النجّار، بيروت، دار الكتاب العربي، ج2، ص: 308.

1- قوله تعالى: ﴿... وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ...﴾[1]، قال: "على جذوع النّخل"[2]، فحرف "في" يفيد الظرفية لكنّه دلّ على معنى "على" ليفيد شدّة التمكّن في الظرفية[3].

2- قوله تعالى: ﴿... مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ...﴾[4]، ذهب جماهير أهل الأدب إلى أن الواو تفيد الجمع المطلق غير المقتضي للترتيب ولا المعية[5]. ولقد حمل البخاريّ حرف "الواو" على "أو" للتنويع ليفيد التخيير بين المعطوفين مع امتناع الجمع[6]، وأكدّ دلالة التنويع بقول زين العابدين رضي الله عنه: "يعني مثنى أو ثلاث أو رباع"[7].

3- قوله تعالى: ﴿... لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ ...﴾[8] فحمل حرف "عن" الذي يفيد المباعدة والمجاوزة[9]، على معنى حرف "بعد"[10]، ثمّ أكّده بقول ابن عباس المرفوع: "حالا بعد حال. قال هذا نبيّكم"[11].

4- قوله تعالى: ﴿... حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي ...﴾[12]، فحمل حرف "عن" على معنى "من" الذي يفيد التبعيض، وهذا الحمل منه ترجيح لأحد التفسيرين وهو قول ابن عبّاس: فطفق

---

1 سورة طه، الآية: 71.
2 ابن حجر، الفتح، ج6، ص: 426.
3 أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاج، كتاب حروف المعاني، ص: 12.
4 سورة النساء، الآية: 03.
5 الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ج1، ص: 63.
6 السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص: 157. ووضعت أو للتنويع لتفيد التخيير بعد الطلب في قوله: "فانكحوا ما طاب لكم من النساء"، جمال الدين بن هاشم الأنصاري، شرح قطر الندى وبلّ الصدى، ، الجزائر، دار رحاب ، ص: 331 – أبو سعيد صلاح الدين بن عبد الله العلائي الدمشقي، الفصول المفيدة في الواو المزيدة، تحقيق: حسن موسى الشاعر، عمان، دار البشير، ، ط1، 1990م، ص: 72 – مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، بيروت، المكتبة العصرية ، ط23، 1410هـ-1990م، ج3، ص: 246.
7 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 237، وقد ترد الواو عاطفة على العامل، والتقدير: "فانكحوا ما طاب لكم من النساء اثنتين، انكحوا ما طاب لكم من النساء ثلاث ..."، ابن حجر، الفتح، ج9، ص: 139.
8 سورة الانشقاق، الآية: 19.
9 بهاء الدين عبد الله بن عقيل، شرح ألفية بن مالك، بيروت، دار الفكر، ط/1411هـ-1991م، ج2، ص: 555. وقال ابن مالك:

على للاستعلا ومعنى في وعن ... بعن تجاوز عنى من قد فطن
وقد تجيء موضع بعد وعلى ... كما على موضع من قد جعلا

10 ابن الجوزي، المدهش، تحقيق: مروان قباني، بيروت، دار الكتب العلمية ، ط2، 1985م، ص: 30.
11 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 698.
12 سورة ص، الآية: 32.

مسحا بالسوق والأعناق، قال: "يمسح أعراف الخيل وعراقيبها"وزاد ابن جرير: "حبّا لها"[1]، ويخرّج على تفسير ابن عباس أنّ حبّ سليمان للخيل هو من ذكر الله، وبهذا ينزّل معنى حرف "عن" على معنى "من".

5- قوله تعالى: ﴿... بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ...﴾[2]، قال البخاريّ: "يقال أوحى لها وأوحى إليها، ووحى لها ووحى إليها واحد"[3]. فاللام هنا بمعنى إلى وإنّما أوثرن على إلى موافقة للفواصل[4].

6- قوله تعالى: ﴿... هَلْ أَتَى عَلَى الإنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ...﴾[5]، قال البخاريّ[6]: "يقال معناه أتى على الإنسان، وهل تكون جحدا وتكون خبرا وهذا من الخبر، فحرف "هل" يأتي تارة ليفيد التقرير، وتارة أخرى ليفيد الاستفهام الإنكاري. وقد جاءت في هذه الآية لتفيد تقرير الخبر على معنى حرف "قد"، أي قد أتى على الإنسان حين"[7].

الاستدلال الصرفي:

وعلم التّصريف أن تجيء إلى الكلمة الواحدة فتصرفها على وجوه شتى[8]، ويكفي المفسّر عند توظيفه علم الصّرف أن يضبط صيغ الألفاظ فيحقق البلاغة بدفع اللحن عند النّطق والخطاب[9]، ولقد ظهر عمل البخاريّ التصريفي كعمل الصائغ الذي يصوغ من الأصل الواحد دررا ونفائس مختلفة، إذ استطاع بأوجز كلمة وأقصر عبارة أن يبيّن أحوال اللفظ القرآني وما يطرأ عليه من تغيّرات صرفية وما فيه من أصول وزوائد.

---

1 الطبري، جامع البيان، بيروت، دار الفكر، ط/1405هـ ج23، ص: 156،.
2 سورة الزلزلة، الآية: 05.
3 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 726.
4 القسطلاني، إرشاد الساري، ج7، ص: 431 – الزجاج، كتاب اللامات، تحقيق: مازن المبارك، دمشق، دار الفكر، ط2، 1985م، ص: 32.
5 سورة الإنسان، الآية: 01.
6 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 683.
7 ابن جني، الخصائص، ج2، ص: 462 – أبو حامد الغزالي، المنخول، ص: 91.
8 ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج4، ص: 550 – مجلة كلية اللغة العربية، عدد7/1408هـ– 1988م، ص: 319 – وانظر: الخلاف في مسمى الصرف من: أبي البقاء العكبري، مسائل خلافية في النحو، تحقيق: محمد خير الحلواني، ، بيروت، دار الشرق العربي ، ط1، 1992م، ص: 103.
9 محمد عظيمة، المغني في تصريف الأفعال، ص: 31.

منهج البخاري في عرض مباحث الصرف:

لقد عرض مباحث الصرف في تفسيره على الوجه التالي:

1- بيان المسائل الصرفية بأسلوب واضح مختصر لا يشوبه غموض ولا يلحقه لبس، مثاله[1]: قوله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ ... فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ... عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]، ونقل عن أبي عبيدة: "السكينة فعيلة من السكون"[3].

2- بيان دلالة اللفظ القرآني من خلال توظيف التدقيق الصرفي، فقد استطاع بالعمل التصريفي التفريق بين معاني الألفاظ، بل حتى معاني اللفظ الواحد، مثاله[4]: قوله نقلا عن أبي عبيدة: "وزلفا ساعات بعد ساعات، ومنه سميت المزدلفة. الزلف منزلة بعد منزلة، وأما زلفى فمصدر من القربى..."[5].

3- بيان أصل حروف اللفظ القرآني وزوائده من خلال الدرس الصرفي، مثاله[6] قوله: "إعتراك؛ افتعلت من عروته أي أصبته ومنه يعروه واعتراني". ففعل اعترى جاء على معنى فعل، عرى أي أصابه بشيء فألمّ به[7]، فجاء فعل اعترى مزيدا على وزن افتعل ليدلّ معنى الفعل المجرد عرى على وزن فعل، والحروف الزائدة على الأصل دلت على الزيادة في المعنى[8].

4- بيان دلالة عامّة متولّدة من معنيين دلّ عليها التصريف، مثاله[9] قوله: "خفية من الإخفاء"، فقد فسّر قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[10]، فلفظ

---

1 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 325.
2 سورة التوبة، الآية: 40.
3 ونقل كذلك قوله: إجرامي من قوله تعالى: "قل ان افتريته فعلي إجرامي" سورة هود، الآية: 35، قال: "هو مصدر من أجرمت". ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 353.
4 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 355.
5 المعجم الوسيط، ج1، ص: 412 – الثعالبي، فقه اللغة، ص: 343 –القاموس الجديد، ص: 429.
6 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 352.
7 المعجم الوسيط، ج2، ص: 619.
8 محمد عبد الخالق عظيمة، المغني في تصريف الأفعال، القاهرة، دار الحديث، ط3، 1382هـ-1962م، ص: 128.
9 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 298.
10 سورة الأعراف، الآية: 55.

خفية من الخفاء وهو من الأضداد، يقال خفيت الشيء إذا أظهرته[1]، وأخفى بمعنى ستر، والهمزة هنا للإزالة، أي أزلت الخفاء فتحقق الظهور، وهذا من باب السلب، أي إزالة الخفاء الذي هو تحقيق معنى الستر[2]. وينزل على هذا قول الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[3]، قال البخاريّ[4]: "تكنّ؛ تخفي أكننت الشيء أخفيته، وأكننته أخفيته وأظهرته". فمن معاني أكننت السلب؛ أي سلب الظهور ليتحقق الخفاء والستر[5]. ولعلّ القرينة اللفظية في كلا الآيتين –الأعراف والقصص– ترجح المعنى الذي أثبته التصريف.

المبحث الخامس: البخاري بين صحيفة علي ابن أبي طلحة ومجاز أبي عبيدة:

البخاري وصحيفة علي بن أبي طلحة[6]:

لقد ازدهر التفسير في عهد الصحابة، فنبغ منهم الخلفاء الأربعة، وأشهر الأربعة عمر رضي الله عنه، ولولا تقدم وفاته لكان أعلم الصحابة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم على الإطلاق، ثم بعده علي رضي الله عنه، إذ كثرت حاجة الناس إلى علمه في زمانه لاتساع الأمصار وكثرة العجم المسلمين، قال أبو الطفيل: "شهدت عليا يخطب وهو يقول: سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل أنزلت أم بنهار، أفي سهل أم في جبل"[7]، ثم اشتهر بعدهم ابن مسعود ويكفيه علما قوله: "والذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين انزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم في من أنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه"[8]، ثم بعده أبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري، وأشهرهم على الإطلاق الصحابي الشاب عبد الله بن عباس رضي الله عنه، صاحب العلم والحكمة، المؤيد من الرسول صلى الله

---

1 ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص: 267.
2 عظيمة، المغني في تصريف الأفعال، ص: 113.
3 سورة القصص، الآية: 69.
4 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 506.
5 محمد عبد الخالق عظيمة، اللباب في تصريف الأفعال، القاهرة، دار الحديث، ط 1375هـ–1955م، ص: 24.
6 محمد فؤاد عبد الباقي، معجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح البخاري، القاهرة، دار الحديث، ص: 14.
7 السيوطي، الإتقان، ج2، ص: 239.
8 ابن حجر، الفتح، ج9، ص: 47.

عليه وسلم بالدعاء، العالم المجتهد و الشاعر الفصيح، روى أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "لو بلغ ابن عباس أسناننا ما عاشره منا رجل، نعم الترجمان ابن عباس للقرآن"[1]، وما بلغ ابن عباس منزلة الترجمان إلا لحاجة الناس الى علمه بعد اتساع رقعة الإسلام واستبحار العمران ساعد على ذلك كله تأخر وفاته[2].

ولقد ظلت تفاسير الصحابة عصورا متناثرة مروية في مؤلفات الفقه والحديث، فأدخل فيها ما ليس منها، فوجبت الحيطة في النقل عنهم، خاصة فيما ثبت عن ابن عباس في تفسير غريب القرآن، وتعتبر صحيفة علي بن أبي طلحة أصح ما نقل عن ابن عباس في هذا المجال، قال أحمد بن حنبل رحمه الله: "بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة، لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدا ما كان كثيرا"[3]. وتعتبر هذه الصحيفة من أقدم المدونات التفسيرية عن ابن عباس، وقد عرفت في دائرة محدودة بين العلماء، ذلك لأن ناقل الصحيفة معاوية بن صالح قضى معظم حياته بالأندلس، وأن الناقل عن معاوية وهو كاتب الليث بن سعد –عبد الله بن صالح– كان يعيش في مصر، وعادة أهل المشرق عدم اهتمامهم بعلماء أهل المغرب[4]، وقد نقل البخاري الشيء الكثير من هذه الصحيفة في صحيحه تعليقا، وهي عنده عن أبي صالح كاتب الليث عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[5]، ولعل البخاري أخذ الصحيفة عن أبي صالح بين سنة 210 و 323هـ، وهي سنة وفاة كاتب الليث، وقد دخل البخاري مصر مرتين، أولهما مع أمه وأخيه في أول رحلة للحج سنة 210هـ[6]، ومما تجدر الإشارة إليه أن شهرة الجامع الصحيح كانت سببا في اشتهار الصحيفة وانتشارها بين طلبة العلم، وبهذا فقد جمع صحيح البخاري أصح الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصح النقول التفسيرية، وقد اقتصر البخاري في نقله من الصحيفة على بيان غريب القرآن

---

[1] أحمد ابن حنبل، فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، ، الرياض، دار ابن الجوزي ، ط2، 1420هـ-1999م، ج2، ص: 1069.

[2] محمد عبد الرحيم، تفسير الصحابة، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، ، ص: 06.

[3] النحاس، الناسخ والمنسوخ، ص: 12.

[4] محمد فؤاد عبد الباقي، معجم غريب القرآن، ص: 16.

[5] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 438.

[6] محمد فؤاد عبد الباقي، معجم غريب القرآن، ص: 24 – ابن حجر،هدي الساري، ص: 479.

دون آيات الأحكام، وقد عزمت على جمع غريب القرآن من الجامع الصحيح لأؤكد هذه الحقيقة فوجدت الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي قد أغناني عن ذلك فجزاه الله خيرا.

البخاري ومجاز أبي عبيدة معمر بن المثنى:

يعتبر مجاز القرآن لأبي عبيدة من أهم المصادر اللغوية التي اعتمد عليها البخاري في تفسيره، فما من لفظ قرآني غريب إلا وقد استشهد له من المجاز إما استقلالا، وإما مؤكدا به أقوال الصحابة والتابعين[1].

ولقد نهج البخاري في نقله عن أبي عبيدة منهجا معينا يقوم على:

1- الإبهام المطلق لاسم أبي عبيدة، وفي هذا القسم من المنقول يحس القارئ أن المنقول قول البخاري، مثل: باب: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، قال: يعني زنة ذرة[2].

2- الإبهام المطلق لاسم أبي عبيدة مع التصرف في النقل عنه، مثل: تفسيره قوله تعالى: "سرادقها"، قال: "مثل: السرادق والحجرة التي تطيف بالفساطيط". قال ابن حجر: "هو قول أبي عبيدة، لكنه تصرف فيه، قال أبو عبيدة: كسرادق الفسطاط، وهي الحجرة التي تطوف بالفسطاط ..."[3].

3- الإبهام مع الإشارة إليه بصيغة معينة عرفت بالاستقراء، وهذه الصيغة قوله: "وقال غيره"، فلفظ الغير صيغة أطلقها البخاري على أبي عبيدة وهي الغالبة عليه عند النقل عنه، مثل قوله: "وقال غيره: تذروه؛ تفرقه"[4].

4- الإبهام عند ذكر اسمه فقط دون كنيته أو اسم أبيه، مثل قوله: "وقال معمر: موالي أولياء ورثة عاقدت أيمانكم، ومولى اليمين وهو الحليف، والمولى أيضا ابن العم، والمولى المنعم المعتق، والمولى المعتق، والمولى المليك، والمولى مولى في الدين"[5].

---

[1] ولقد أشار ابن حجر صراحة باعتماد البخاري على مجاز أبي عبيدة في الفتح، ج5، ص: 239، و ج8، ص: 299 و 314 و 432.

[2] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 249. وقال ابن حجر: "هو تفسير أبي عبيدة"، ج8، ص: 250.

[3] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 408.

[4] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 598.

[5] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 247. وأنظر: ص: 714.

ولقد نقل البخاري كذلك عن أبي زكرياء يحي بن زياد الفراء، وعن القاسم بن سلام، إلا أن نقله عنهما كان قليلا جدا[1].

ولعل تقديم البخاري لأبي عبيدة عليهما كان لأسباب منها:

أ- اشتهار الفراء بمذهب الاعتزال وانتهاجه منهج علم الكلام في تصانيفه[2]، يؤكد ذلك تقريب المأمون له، ومصاحبته لأحد رؤوس المعتزلة ثمامة بن أشرس[3]، أما أبو عبيدة فقد انضبط في مجازه بقواعد الرواية والسماع دون قواعد المدارس النحوية[4].

ب- أسبقية أبي عبيدة في تأليف معاني القرآن، إذ يعد الذين ألفوا في شرح غريب القرآن عالة على مصنفاته، ويكفي تفوقه على القاسم بن سلام أنه جمع كتابا فيه أربعة عشر ألف مثلا، بينما جمع أبو عبيدة القاسم بن سلام ألف مثل[5]، ولقد فاق أبو عبيدة أقرانه في سعة رواية العلم وحرية الفهم في اللغة، فهو أعلم الثلاثة بأخبار العرب، أبي زيد الأنصاري والأصمعي، إذ يرجح الرواة عنهم أبا عبيدة إذا قاسوه بصاحبيه[6]، ويشهد لتفوقه وعلو منزلته في العلم بأخبار العرب شيوخه الذين أخذ عنهم، منهم: أبو عمرو بن العلاء ويونس بن الحبيب[7].

ج- البيان المتنوع لدلالات اللفظ، فقد سبق أبو عبيدة أقرانه في ذلك، إذ يعين دلالة اللفظ المتفق عليها والشائع استعمالها، ثم يشيرالى دلالة أخرى للفظ في موطن آخر، مثاله: باب: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَى بَنِي ٓ إِسْرَائِيلَ﴾ أخبرناهم أنّهم سيفسدون، والقضاء على وجوه: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾؛

---

[1] مثال ما نقله عن الفراء، ينظر: الفتح، ج8، ص: 728. أما عن أبي عبيد القاسم بن سلام، ج6، ص: 474.

[2] ابن النديم، الفهرست، ص: 99 – منيع عبد الحليم محمود، مناهج المفسرين، القاهرة، دار الكتاب المصري ، ط1، 1978م، ص: 23.

[3] ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج2، ص: 19.

[4] عبد العال سالم مكرم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، الإسكندرية، دار المعارف، ص: 247.

[5] القفطي، إنباه الرواة على أنباء النحاة، ج3، ص: 284.

[6] أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ومحمد علي النجار، ، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ط1964، ج1، ص: 14.

[7] عيسى شحاتة، عيسى علي، الدراسات اللغوية للقرآن الكريم في أوائل القرن الثالث الهجري، القاهرة، دار قباء، ص: 44 – مصطفى الصاوي الجويني، مناهج في التفسير، الإسكندرية، دار المعارف، ص: 60.

أمر ربّك. ومنه الحكم ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾، ومنه الخلق ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ خلقهن"[1].

وعند استقراء ما نقله البخاري عن أبي عبيدة، نجده نهج منهجا معينا في الاستفادة منه وتتلخص نقاط منهجه في ما يلي:

أ- الاقتصار على البيان اللغوي، دون الشاهد الشعري، وهذا يرجع إلى سببين:

*- أن الشواهد الشعرية في مجاز أبي عبيدة لا توافق قواعد القبول التي وضعها البخاري[2].

*- لحنه في الشعر وعدم اتقانه له[3]. قال ابن قتيبة: "كان الغريب أغلب عليه وأيام العرب، وكان مع معرفته ربما لم يقم البيت إذا أنشده حتى يكسره ..."[4].

ب- الاقتصار على البيان الذي يوافق أصول التفسير وقواعده دون ما شذ عنه،و هذا من فقه البخاري وتضلعه في اللغة والتفسير، فقد فسر أبو عبيدة قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً﴾، قال: فارغا من الحزن لعلمها أنه لم يغرق، فنقل عنه البخاري فقال: فارغا إلا من ذكر موسى[5]، فأكد مخالفته له بإثبات الحزن لأم موسى من خلال اجتماع قلبها عليه ، واستشهد لذلك بما فسر به قوله تعالى: ﴿لَوْلاَ أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾، قال: فألهمها الله صبرا لأنها كادت أن تبدي به"[6]. فالربط على قلبها يقتضي غلبة ذكرها له وحزنها عليه، وإلا فلا فائدة من قوله: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾.

---

1 ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 388.
2 ينظر: مبحث البخاري والاستدلال بالشعر العربي.
3 القفطي، إنباه الرواة بأنباء النحاة، ج3، ص: 282 – نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص: 96.
4 العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج10، ص: 222.
5 ابن حجر، الفتح، ج6، ص: 423 وج8، ص: 506.
6 ابن حجر، الفتح، ج6، ص: 406.

الجزء السادس

البخاري وتفسير القرآن بالرأي المحمود

المبحث الأول: لبخاري ووجوه التفسير بالرأي

الفصل السابع: تفسير القرآن بالرأي الممدوح[1]

ونقصد بالتفسير الممدوح؛ "ما يراه المفسر بعد فكر وتأمل وطلب لمعرفة الصواب مما تتعارض فيه الأمارات"[2]، وينحصر مجال عمل الرأي في بيان وجه الدلالة وتوضيح مقاصدها وتسهيل طرق الاستنباط، قال ابن المبارك: "ليكن الذي تعتمد عليه الأثر، وخذ من الرأي ما يفسر لك الحديث"[3].

ويعتبر البخاري من العلماء الذين اجتهدوا في فهم القرآن معتمدا على أصول الشريعة وقواعد الخطاب عند العرب، ولقد أشار إلى هذه الحقيقة بما رواه عن علي رضي الله عنه حينما سأله أبو جحيفة قال: "قلت لعلي هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم أو ما في هذه الصحيفة. قال: العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر"[4].

وتتأكد صحة الرأي إذا اجتمع عليه أهل العلم فصوبوه أو ورد موافقا لشواهد القرآن والسنة أو استنبط من مقتضى دلالة الكلام واقتضب من قوة الشرع[5]. ومن حسن فقه البخاري وصواب رأيه حرصه على بيان دلالة اللفظ، فإن كان قد ذكر أصول التفسير الثلاثة –اللفظي، المعنوي، الإشاري– فقد ركز على إبراز لازم الألفاظ، وهذا منهج السلف من الصحابة والتابعين[6].

---

[1] قال الطاهر بن عاشور: "وشروطه –التفسير بالاجتهاد– أن لا يخرج عما يصلح له اللفظ عربية، ولا يبعد عن الظاهر إلا لدليل، ولا يكون تكلف بينا، ولا خروجا عن المعنى الأصلي ..." التحرير والتنوير، ج1، ص: 44.

[2] ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج1، ص: 53.

[3] المصدر نفسه،ج1 ص: 65.

[4] البخاري، الجامع الصحيح، باب كتابة العلم، رقم: 108، وفي رواية أخرى برقم: 2820 قال: "إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن"، وفي رواية ثالثة برقم: 6394 قال: "إلا فهما يعطى رجل في كتابه". ينظر: ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 736.

[5] جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة, دار إحياء الكتب العربية،ط/1957م، ج1، ص: 07.

[6] ابن قيم الجوزية، التفسير القيم لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتب العلمية ، ط/1398هـ–1978م، ص: 284. ينظر: نماذج تفسير البخاري باللازم، الفتح، ج5، ص: 394، ج6، ص: 04و473 و 504، ج8، ص: 206، 208، 286، 354، 406، 504، 548، 563، 660.

المبحث الأول: البخاري ووجوه التفسير بالرأي:

لقد شمل تفسير البخاري بالرأي مواطن متعددة غالبها يدخل تحت:

1- بيان دلالة النص خاصة عند عارض الخفاء أو الإجمال.

2- رفع موهم التعارض بين النصوص الشرعية.

3- إستنباط الأحكام الشرعية.

4- بيان الفروق بين الأشباه من الكلمات والدلالات.

ولقد سلك البخاري في التفسير بالرأي وجوها متعددة منها:

1- التفسير بدلالة السياق القرآني:

قال[1]: باب "من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر" لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [2]، قال: يعني الشيب. فقد فسّر لفظ النذير بدلالة الشّيب لقرينة السياق اللفظية السابقة، وهي: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ﴾، وهذا الحمل أولى وأرجح لأنّه معنى أصلي مؤسس، أما بمعنى الرّسول فقد ذكرته قرينة السياق اللاحقة حينما أخبرت عن كفر المشركين وجحودهم لرسالات المنذِرين، قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِن إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُوراً﴾ [3]. وبصنيع البخاريّ تقرر المعنى العام للنص في بيان انقطاع الحجة عن الكافرين وذهاب العذر عنهم بدلالتين:

الأولى: بلوغهم مبلغ الشيب بالتعمير.

والثانية: بلوغهم دعوة الرسول النذير. والله أعلم.

---

[1] ابن حجر، الفتح، ج11، ص: 238.
[2] سورة فاطر، الآية: 37.
[3] السورة نفسها، الآية: 42.

2- التفسير بدلالة الإشارة والإيماء[1].

فالمفسر قد يستنبط معنى النص من باب الاعتبار فيجريه ويوظفه فيما لم ينزل فيه لأنه يجامعه في القصد أو يقاربه[2]، فقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[3]، دل ظاهرها على أن الملائكة الذين أنزلوا القرآن طاهرون، يؤكده تفسير البخاري لقوله تعالى: ﴿مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾[4]، قال: "لا يمسها إلا المطهرون وهم الملائكة، وهذا مثل قوله: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾[5]، جعل الملائكة والصحف مطهرة، لأن الصحف يقع عليها التطهير فجعل التطهير لمن لمسها أيضا"[6].

ولقد استنبط البخاري من آية الواقعة بدلالة الإشارة والإيماء تفسيرا صحيحا يجمع معنى الطهارة القلبية بالطهارة الحسية فقال: "لا يمسه؛ لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن بالقرآن، ولا يحمله بحقه إلا الموقن لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ...﴾[7]"[8].

وبهذا فقد جمع البخاري مع المعنى الأصلي وهو طهارة الملائكة طهارة حامل القرآن على درجات هي:

1- طهارة العقل، فلا تحل فيه نجاسة الكفر والشبهات.

2- طهارة القلب، فلا تحل فيه نجاسة المعصية والشهوات.

3- طهارة البدن، فلا تحل فيه الخبائث و النجاسات.

وهذه المعاني كلها من مستتبعات المعنى الأصلي لظاهر اللفظ.

---

[1] وشروط قبول هذا النوع من التفسير هي: 1- عدم مناقضته لمعنى الآية. 2- أن يكون معنى صحيحا في نفسه، 3- أن يكون في اللفظ إشعار به، 4- أن يكون بينه وبين معنى الآية إرتباط وتلازم. أنظر: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ، بيروت، دار الكتب العلمية ، ط1، ج2، ص: 421.

[2] الموافقات، المعهد الوطني العالي لأصول الدين، جوان 1992م، عدد: 01، ص: 375.

[3] سورة الواقعة، الآية: 77.

[4] سورة عبس، الآية: 14.

[5] سورة النازعات، الآية: 05.

[6] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 691.

[7] سورة الجمعة، الآية: 05.

[8] ابن حجر، الفتح، ج13، ص: 507. وأنظر: ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، ص: 144، وإعلام الموقعين عن رب العالمين، ج1، ص: 172.

3- التفسير بما يخالف المعنى الظاهر القريب:

إن من خصائص الاستعمال عند العرب في بعض وجوه الخطاب عندها أن يطلق اللفظ فيدل على معنيين، أحدهما قريب ظاهر، وثانيهما بعيد خفي، مثاله قوله تعالى: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[1]. فلفظ الرجم في الآية يحمل على معنيين[2]:

أ- الرجم بالحجارة.

ب- الرجم بالقول القبيح، ولقد رجح البخاري المعنى الثاني وهو بعيد خفي فقال: "لأرجمنك؛ لأشتمنك"[3]. ولعل من أسرار هذا الترجيح أن الدلالة القريبة الظاهرة قد يستوي في العلم بها الجميع أما الدلالة الخفية فلا يدركها إلا النظار، فأراد البخاري بيانها وهذا عين عمل المفسر[4].

4- تفسير اللفظ القرآني بذكر ضده.

من وجوه البيان عند البخاري، تفسير اللفظ القرآني بذكر ضده من دليل آخر مستقل ليستنبط معنى تشهد له أدلة الشرع ومقاصد الدين مثاله[5]: باب: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[6]. ثم روى عن ابن عباس قال: "قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إنا من هذا الحي من ربيعة ولسنا نصل إليك إلا في الشهر الحرام فمرنا بشيء نأخذه عنك وندعوا إليه من وراءنا، فقال: آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع: الإيمان بالله -ثم فسر لهم- شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا إلي خمس ما غنمتم، وأنهى عن الدباء والحنتم والمقير والنقير".

---

[1] سورة مريم، الآية: 46.

[2] ينظر: تفسير الطبري، ج16، ص: 91 – تفسير ابن كثير، ج2، ص: 458 – ابن الجوزي، زاد المسير، ج4، ص: 154 – تفسير النسفي، ج2، ص: 169.

[3] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 426.

[4] ولقد استنبط البخاري حكم الرهن في الحضر وهذه دلالة خفية أشار إليها وترك ظاهر معنى الآية وهو الرهن في السفر لوضوحه، ابن حجر، الفتح، ج5، ص: 140.

[5] ابن حجر، الفتح، ج2، ص: 07.

[6] سورة الروم، الآية: 31.

فنص الآية دل على أن ترك الصلاة من أفعال المشركين، ولهذا قرنت الآية بين نفي الشرك وإقامتها، ثم فسر البخاري هذا المعنى بذكر ضده من دليل السنة، إذ قرن إثبات التوحيد بإقامة الصلاة.

5- التفريق بين الألفاظ المتشابهة والدلالات المتقاربة.

قد ترد في القرآن ألفاظ متشابهة فيقع الالتباس بحملها على معنى واحد والأصل فيها التعدد والتباين في المعنى، وإن من حسن الفهم وضع الشيء موضعه، ولقد أصاب البخاري برأيه إذ جعل المعاني في مواضعها مع تشابه ألفاظها، فقد فسر قوله تعالى: ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ...﴾ [1]. قال: هو الهوان، والهون الرفق[2].

وإن من تمام الحكمة وحسن الرأي إتقان التفريق بين المعاني المتقاربة، فكثيرا ما نبه البخاري على الكلمات المتشابهة بإيضاح الفروق المعنوية بينها، مثل: تفريقه بين لفظ الجذوة والشهاب، قال: "الجذوة قطعة غليظة من الخشب ليس فيها لهب، والشهاب فيه لهب"[3].

6- توظيف الكليات القرآنية في التفسير[4].

ونقصد بالكليات معرفة الألفاظ المستعملة في المعاني الكثيرة، ويعبر عنها المفسرون بلفظ "كل كذا" في القرآن فهو معنى كذا. ولقد وظف البخاري الكليات في بيان معاني القرآن، مثاله[5]: باب: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَآءِ

---

[1] سورة الأنعام، الآية. 93.
[2] ابن حجر، الفتح، ج3، ص: 231. وأنظر كذلك لفظ: أقبر وقبر، ص: 255، ولفظ: كب وأكب، ص: 351.
[3] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 506.
[4] الزركشي، البرهان في علوم القرآني، ج1، ص: 102.
[5] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 308 – وأنظر: لفظ اللسان بمعنى الحجة ص: 389، وكل باطل مزين زخرف، ص: 299، وأنظر لفظ الغيابة، ص: 357، ولفظ العقدة، ص: 431.

أو ائتِنَا بعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]، قال ابن عيينة: ما سمى الله مطرا في القرآن إلا عذابا، وتسميه العرب الغيث وهو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾"[2].

7- إزالة الإشكال باستعراض أسباب النزول.

إن مما يعين المفسر الوقوف على المراد علمه بأسباب النزول، بل قد لا يكفي العلم به إلا بحسن الفهم في الربط بين السبب والنص من خلال رعاية نظم القرآن وسياقاته، إذ قد ينزل النص لسببين غير متعارضين[3]، ولقد استعمل البخاري هذا المعنى فقال: باب: ﴿لاَ تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوْا﴾ [4]، ثم روى حديثين أولهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجالا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله، فإذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت: ﴿لاَ تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوْا﴾.

أما الحديث الثاني فعن علقمة بن وقاص أن مروان قال لبوابه: "إذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يعمل معذبا لنعذبن أجمعون، فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه؟ إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ثم قرأ ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ كذلك حتى قوله: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾"[5].

---

[1] سورة الأنفال، الآية: 32.
[2] سورة الشورى، الآية: 28.
[3] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص: 32.
[4] سورة آل عمران، الآية: 188.
[5] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 233. ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 27. ومن نماذج ما جمع فيه البخاري النص القرآني على سببين، الآية 179 من سورة آل عمران، أنظر: الفتح، ج6، ص: 31 – والآية 101 من سورة المائدة، الفتح، ج8، ص: 380.

8- الجمع والتوفيق بين الآراء التفسيرية.

قد يرد اللفظ القرآني محتملا لمجموع دلالات فيذكر كل مفسر دلالة على حسب ما أداه إليه اجتهاده، مع أن قواعد التفسير لا تلغي القول بمجموعها بحسب مواقعها وسياقاتها مع انتفاء مانع التعارض[1]، مثاله: تفسير قوله تعالى: ﴿وَالبَحْرِ المَسْجُورِ﴾[2] وقوله: ﴿وَإِذَا البِحَارُ سُجِّرَتْ﴾[3] ففي الآيتين تفسيران هما[4]:

1- المسجور: المملوء

2- المسجور: الموقد نارا.

ولقد أخذ البخاري بالتفسيرين جميعا[5]، وبما أن الآيتين وردتا في سياق الإخبار عن أحوال يوم القيامة فإن للبحار أحوالا: منها أنها يفضي بعضها إلى بعض فتمتلئ لتصير بحرا واحدا، ومنها أنها تسجر نارا فيذهب ماؤها فلا يبقى فيها قطرة، وكلا التفسيرين يحمل على ما يؤول إليه البحر يوم القيامة[6].

---

[1] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج13، ص: 333.

[2] سورة الطور، الآية: 06.

[3] سورة التكوير، الآية: 06.

[4] الشنقيطي، أضواء البيان، ج7، ص: 450. عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تفسير القرآن، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، ، الرياض، مكتبة الرشد ، ط1، 1410هـ، ج3، ص: 246.

[5] ابن حجر، الفتح، ج7، ص: 601 – 693.

[6] ينظر: الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ، ط1، 1493هـ-1973م، ص: 520 – ابن قيم الجوزية، أقسام القرآن، ص: 169. ومن نماذج ذلك: لفظ القسورة، الفتح، ج8، ص: 676 – ولفظ أولي الإربة، ج8، ص: 446.

الخاتمة:

لقد عشت في رحاب البحث والدراسة أعواما عرفت فيها أوقاتا طيبة كان العطاء فيها يافعا مثمرا، وهذه نعمة ربانية لا أحصي الثناء عليها، وأوقاتا أخرى ضيقة تسربلت فيها بمصيبة وفاة الوالدة العزيزة -قدس الله روحها ونور ضريحها- وهذا قدر ليس لنا فيه إلا الرضى والتسليم، ولئن كان فقدها قد زلزلني، وعن الدراسة أثقلني، فإن عهدها لي بالعلم والمعرفة من أنقاض حزني قد أنقذني، وإلى رياض البحث في القرآن قد سيرني، وهذه نعمة أسأل الله أن يوفقني لشكرها.

وإن من الحكمة أن يعرف المرء قدر نفسه، فما قدمته لا يعدو أن يكون جهد المقل، ويأبى الله إلا أن يكون الكمال لكتابه والعصمة لرسوله.

البحث دراسة علمية من سبعة فصول تتناول جوانب المنهج العلمي عند البخاري في التفسير مفتتحة بفصل تمهيدي تاريخي مختصر، يشير إلى مختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية في عصر البخاري.

أما الفصول السبعة الباقية فهي ملخصة كما يلي:

الفصل الأول: خصصته لحياة الإمام البخاري، فذكرت نسبه ومولده ثم نشأته وتعلمه ثم جهوده العلمية وآثاره في نشر المعرفة الشرعية ثم خصاله الطيبة وموقفه من فتنة خلق القرآن قبل وفاته.

الفصل الثاني: بينت من خلاله آليات تفسير القرآن بالقرآن مع أدوات البيان ثم ختمته بمنهج البخاري في تعامله مع القراءات القرآنية من حيث كيفية عرضها وتوجيهها ومقاصد الاستدلال بها.

الفصل الثالث: ذكرت فيه وجوه تفسير القرآن بالسنة من حيث بيان الإجمال ودفع الإبهام وترجيح المحتمل عند الاشتراك، ثم عددت أدوات تفسير القرآن بالسنة وعلاقتهما.

الفصل الرابع والخامس: أبرزت فيهما دور أقوال الصحابة والتابعين في بيان القرآن وتصحيح الأفهام، مع إسناد أقوالهم الى مصادرها وبيان مقاصد الاستدلال بها.

توظيف أسس النقد الحديثي في قبول الروايات اللغوية ورواة اللغة بدءا بالصحابة ثم التابعين ثم العلماء المشهورين كأبي عبيدة والفراء، وبهذا كان أساس عمله تحقيق معاني الألفاظ وضبط مصادر اشتقاقها ومواقع استعمالها.

7- أن البخاري من العلماء الذين وظفوا الرأي المحمود في التفسير، و تركز ذلك في بيان الألفاظ المبهمة، وتوضيح الدلالات المجملة,وإظهار الفروق بين الألفاظ المتشابهة والمعاني المتقاربة، و دفع موهم التعارض بين النصوص، وتصحيح سوء الفهم للقرآن الكريم.

8- أن البخاري قد بحث أغلب علوم القرآن والتي منها:

أ- علم القراءات القرآنية، فقد أكثر من إيرادها بمختلف أنواعها المتواترة والآحادية والشاذة وأتقن منهجية عرضها وكيفية توجيهاو الاستنباط منها.

ب- علم أسباب النزول، فقد أحسن توظيفه في تصحيح الأفهام، ودفع الأوهام، وبيان المعاني عند الإجمال، وتعد روايات أسباب النزول عند البخاري من الحديث المرفوع المسند.

ج- علم المعرب، فقد استقصى الألفاظ القرآنية فبين المعرب منها بالنقل عن الصحابة و التابعين.

وفي الختام أرجو أن تقبل مني بعض الاقتراحات التي أراها جديرة بالدراسة والبحث والتي منها:

1- ضرورة الاهتمام بعلوم القرآن وخاصة التفسير.

2- توجيه البحوث العلمية نحو دراسة تفاسير المحدثين ببيان مناهجهم في التعامل مع القرآن.

3- دراسة المباحث العلمية التي تعرض لها البخاري في تفسيره كالأمثال القرآنية والمعرب والكليات والتفسير الموضوعي ... إلخ.

فهرست المصادر والمراجع

1) إبراهيم بن حسن، تفسير المأثور عن عمر بن الخطاب، الدار العربية للكتاب.

2) إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتاوي، عبد الحميد يونس، دائرة المعارف الإسلامية، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

3) ابن أبي داود أبو بكر عبد الله بن الأشعث، المصاحف، مصر، مؤسسة الخانجي.

4) ابن أبي شيبة أبو بكر عبد الله الكوفي، المصنف، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة 1/1416هـ-1995م.

5) ابن الأثير أبو الحسين علي ، الكامل في التاريخ، بيروت، دار الكتاب العربي، ط2/1967م.

6) ابن الجزري أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد ، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، وضع حواشيه: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ-1999م.

7) ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ، تحقيق: صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1415هـ.

8) ابن الجوزي ، المدهش، تحقيق: مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1985م.

9) ابن الجوزي ، تقويم اللسان، تحقيق: عبد العزيز مطر، دار المعرفة، القاهرة.

10) ابن الجوزي ، صفة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري، محمد رواس قلعة جي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1399هـ-1979م.

11) ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1404هـ - 1984م.

12) ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1399هـ-1979م.

13) ابن الجوزي، منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: محمّد الصفطاوي وفؤاد عبد المنعم أحمد، الإسكندرية، مطبعة المعارف.

14) ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري، أحكام القرآن ، تحقيق: عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط/1416هـ-1996م.

15) ابن العماد أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار المسيرة، ط 2، 1399هـ-1979م.

16) ابن النديم أبو الفرج محمد بن إسحاق، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، ط، 1398هـ - 1978م،

17) ابن تيمية أبو العباس عبد الحليم، دقائق التفسير، تحقيق: محمد السيد الجليند، دمشق، مؤسسة علوم القرآن، ط1404/2هـ.

18) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد النجدي، الرياض، دار علم الكتب،طبعة1412هـ/1991م.

19) ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، الجزائر، دار الفجر، ط1، 1422هـ-2001م.

20) ابن جني أبو الفتح عثمان ، الخصائص، تحقيق: محمد عليّ النجّار، بيروت، دار الكتاب العربي.

21) ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، مطابع الأهرام، 1415هـ-1994م.

22) ابن جني، كتاب اللمع في العربية، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، ط/1972م.

23) ابن حبان أبو حاتم محمد التميمي ، مشاهير علماء الأمصار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/ 1959م.

24) ابن حبان أحمد بن عبد الله، كتاب بحر الدم، تحقيق: وصيّ الله محمّد بن عباس، الرياض، دار الراية، الطبعة 1989/1م.

25) ابن حجر العسقلاني، العجاب في بيان الأسباب، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار بن الجوزي، الدمام، ط1، 1997م.

26) ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط1، 1406هـ-1986م

27) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة 1415/1هـ-1994م.

28) ابن حجر العسقلاني، هدي الساري، بيروت، دار المعرفة.

29) ابن حجرالعسقلاني، فتح الباري، تحقيق: عبد العزيز بن باز، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

30) ابن حزم أبو محمد علي ، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تحقيق: بد الغفار سليمان البنداري ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1406هـ.

31) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، بيروت، دار الجيل، ط2، 1407هـ-1987م.

32) ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، تقديم: آرثر جغري، القاهرة، مكتبة المتنبي.

33) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر.

34) ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، بيروت، دار الجيل، ط1، 1409هـ- 1989م.

35) ابن زنجلة أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد ، حجة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2

36) ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ في القرآن، الجزائر، مطبعة دار البيضاء

37) ابن سيده، المخصّص، بيروت، دار الآفاق الجديدة.

38) ابن عبد البر النميري ، جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلمية، لبنان.

39) ابن عبد البر النميري، التمهيد، تحقيق: عبد القادر العطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1419/1هـ-1999م.

40) ابن عبد البر يوسف بن عبد الله النميري، الاستيعاب، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ، 1992م،

41) ابن عقيل أبو الوفاء، الواضح في أصول الفقه، تحقيق: جورج المقدسي، بيروت، الشركة المتحدة للتوزيع، الطبعة 1417/1هـ-1996م.

42) ابن فارس أبو الحسين أحمد، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق: أحمد حسن بسبع، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ-1997م.

43) ابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ، مطبعة السعادة، الطبعة 1382/4هـ-1963م

44) ابن قتيبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: أحمد صقر، بيروت، المكتبة العلمية، ط3، 1401هـ-1981م.

45) ابن قتيبة الدينوري، تفسير غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، ط/1958م، دار إحياء الكتب العربية عيسى الباي الحلبي، مصر.

46) ابن قدامة المقدسي، المغني، بيروت، دار الكتاب العربي، ط/1403هـ-1983م.

47) ابن قدامة المقدسي، روضة الناظر وجُنّة المناظر، حسين داي الجزائر، مطبعة السلفية، ط1، 1991م.

48) ابن قيم الجوزية أبو عبد الله شمس الدين ، التفسير القيم لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1398هـ-1978م.

49) ابن قيم الجوزية، إغاثة اللّهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ-1999م،.

50) ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، بيروت، دار الفكر.

51) ابن قيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، بيروت، دار الكتب العلمية.

52) ابن قيم الجوزية، الفوائد، تحقيق: عبد السلام شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية.

53) ابن قيم الجوزية، جلاء الأفهام، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة 1417/1هـ-1987م.

54) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، بيروت، دار الكتب العلمية.

55) ابن كثير، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، أحمد محمد شاكر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ-1983م.

56) ابن كثير، البداية والنهاية، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1/1351هـ-1933م.

57) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مقبل بن هادي الوادعي، جدّة، دار الراية، ط1/1414هـ-1993م.

58) ابن ماجه القزويني أبو عبد الله محمد بن يزيد, السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي, بيروت، دار الفكر.

59) ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط1، 1374هـ-1955م.

60) ابن ناقيا البغدادي، الجمان في تشبيهات القرآن، تحقيق: مصطفى الصاوي الجويني، الإسكندرية، مطبعة المعارف.

61) أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء الثرات العربي، بيروت،

62) أبو العينين بدران، أصول الفقه الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة.

63) أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني،فاتح الأنوار في طبقات الأخيار، تحقيق: خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1/1997م.

64) أبو بكر كافي، منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها، بيروت دار ابن حزم، ط1/1421هـ-2000م.

65) أحمد ابن حنبل، فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، دار ابن الجوزي، الرياض، ط2، 1420هـ-1999م.

66) أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، بيوت، الدار العربية، ط3، 1980م.

67) أحمد أمين، ضحى الإسلام، بيروت، دار الكتاب العربي.

68) أحمد أمين، ظهر الإسلام، بيروت، دار الكتاب العربي، ط5، 1969م

69) أحمد بدر، مناهج البحث والرأي العام والإعلام الدولي، القاهرة، دار قبا "عبده غريب"، 1998.

70) أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، الأسامي والكنى، تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع، مكتبة دار الأقصى، الكويت، ط1، 1406هـ-1985م.

71) أحمد بن محمد البنا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، القاهرة مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1407هـ-1987م.

72) أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط11/ 1996م.

73) أحمد فريد الرفاعي، عصر المأمون، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط4/1346هـ-1968م

74) أحمد محمد الساواتي، تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق.

75) أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي الفاطمي، بيروت، دار النهضة العربية.

76) أحمد مختار عمر، عبد العال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية، الكويت، مطبوعات جامعة الكويت، ط1/1402هـ-1983م

77) آرثر جفري، مقدمتان في علوم القرآن، تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، القاهرة، مكتبة الخانجي.

78) أرمنيوس فامبري، تاريخ بغداد منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة: أحمد محمود الساداتي، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ط2/1987م.

79) الأتابكي أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: إبراهيم عليّ طرخان، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة.

80) الأزدي أبو زكرياء يزيد بن محمد بن القاسم، تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ط 1387هـ-1967م.

81) الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد ، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ومحمد علي النجار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ط/1964.

82) الاسكافي الخطيب، درة التنزيل وغرة التأويل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1493هـ-1973م.

83) الاسماعيلي أبو بكر أحمد بن إبراهيم، اعتقاد أئمة الحديث، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1412هـ.

84) الأسنوي أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن, التمهيد، تحقيق: محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1400هـ.

85) الأصبهاني أبو القاسم إسماعيل بن محمد، سير السلف الصالحين، تحقيق: كرم بن حلمي بن فرحات، الرياض، دار الراية، ط2، 1999م.

86) الأصبهاني أبو بكر أحمد بن علي بن منجويه، رجال مسلم، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1407هـ.

87) الأصبهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله, حلية الأولياء، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1405هـ.

88) الألباني، السلسلة الصحيحة، بيروت، المكتب الإسلامي، ط4/1405هـ-1985م.

89) الألباني، صحيح ابن ماجة، بيروت المكتب الإسلامي، ط3/1408هـ-1988م.

90) الألوسي، روح المعاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

91) الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، بيروت، المكتب الإسلامي، ط2/1402هـ.

92) الأمين الخولي، تاريخ فنون الحديث، دار القلم، بيروت.

93) الأنباري أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1998م.

94) الأنصاري عبد العلي نظام الدين ، فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت، بيروت، دار الفكر.

95) الأنصاري أبو زكرياء ، فتح الرّحمن بكشف ما يلتبس من القرآن، تحقيق: محمد عليّ الصابوني، الجزائر، مطبعة الرحاب، ط1408/2هـ1988م.

96) الباجي ،المنتقى شرح الموطأ، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1331/1هـ.

97) الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف ، كتاب الإشارات في أصول الفقه المالكي، تحقيق: محمد حريزي، الجزائر، دار الرسالة.

98) الباجي, التعديل والتجريح، تحقيق: أبو لبابة حسين الرياض، دار اللواء للتوزيع والنشر، ط1986/1م.

99) البارزي هبة الله بن عبد الرحيم، ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1405هـ.

100) البخاري عبد العزيز بن أحمد, كشف الأسرار على أصول فخر الإسلام البزدوي، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، بيوت، دار الكتاب العربي، ط3، 1417هـ-1997م.

101) البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، التاريخ الصغير، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، سوريا، ط1، 1397هـ-1977م.

102) البخاري محمد بن إسماعيل, التاريخ الكبير، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت، لبنان.

103) البخاري، الأدب المفرد، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، الرياض: مكتبة المعارف، ط1419/1هـ-1998م.

104) البخاري، الجامع الصحيح، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، ط3، 1407هـ-1987م.

105) البخاري، الجامع الصحيح، دار القلم، بيروت، ط/1987.

106) البرماوي محمد بن عبد الدائم الشافعي، شرح ثلاثيات الإمام البخاري، تحقيق: مصطفى مخدوم، دار الملمة للنشر والتوزيع، ط/1421هـ.

107) البطليوسي، التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين، تحقيق: أحمد حسن كحيل، حمزة عبد الله النشرتي، القاهرة، مكتبة المتنبي، ط2/1402هـ-1982م.

108) البغدادي صفي الدين عبد المؤمن, مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: محمد علي البجولي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ط1/1954م.

109) البغدادي أبو بكر أحمد بن علي الخطيب, الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ-1996م.

110) البغدادي الحافظ أبو بكر أحمد بن علي ، تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1/1417هـ-1997م.

111) البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء, معالم التنزيل، تحقيق: خالد العك، كروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1407هـ-1987م.

112) البغوي، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وزهير شاويش، ط2، 1403هـ-1983م، المكتب، بيروت، لبنان.

113) البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط1/1364هـ-1945م.

114) البهوتي منصور بن يونس، كشاف القناع عن متن الإقناع، تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1418هـ-1997م.

115) البيهقي أحمد بن حسين، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، تحقيق: أحمد عاصم الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1401هـ،-

116) التفتزاني سعد الدين، شرح التلويح على التوضيح، تحقيق: زكرياء عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1/1416هـ-1996م،

117) التميمي أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1400هـ.

118) الثعالبي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف, الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

119) الجرجاني علي بن محمد ، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ط3/1417هـ-1996م.

120) الجرجاني أبو بكر عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1995م.

121) الجصاص أحمد بن علي الرازي، الفصول في الأصول، تحقيق: عجيل جاسم النشمي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط1، 1405هـ.،

122) الجويني أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله, التلخيص في أصول الفقه، تحقيق: عبد الله النيبلي، أحمد المري، مكتبة دار الباز، مكة، ط1، 1417هـ-1997م.

123) الحازمي، الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الأخبار، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

124) الحصني أبو بكر تقي الدين بن محمد ، كتاب القواعد، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله الشعلاني، مكتبة الرشيد، الرياض.

125) الحكيم بن الاكفاني، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم، تحقيق: عبد المنعم محمد عمر، دار الفكر، القاهرة.

126) الحلي صفي الدين, شرح الكافية البديعة في علوم البلاغة ومحاسن البديع، تحقيق: نسيب نشاوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1989م.

127) الحموي أبو العباس أحمد بن عمر، القواعد والإشارات في أصول القراءات، تحقيق: عبد الكريم محمد الحسن بكار، دار القلم، دمشق، ط1، 1406هـ.

128) الحموي أبو بكر تقي الدين، خزانة الأدب، تحقيق: عصام شعيتو، دار الهلال، بيروت، ط1، 1987م.

129) الحنضلي أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك ، الجهاد، تحقيق: نزيه حماد، الدار التونسية، تونس، ط 1972م.

130) الخليلي أبو يعلى الخليل بن عبد الله بن احمد القزويني، الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تحقيق: محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشيد، الرياض، ط1، 1409هـ.

131) الدارقطني أبو الحسن علي بن عمر، ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم، تحقيق: بوران الضناوي كمال يوسف الخوت، دار الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 1985م.

132) الدامغاني الحسين بن محمد، إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1970م.

133) الداني أبو عمرو عثمان بن سعيد، المقنع في رسم مصاحف الأمصار، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

134) الداودي شمس الدين محمد بن علي، طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة وهبة، ط2، 1415هـ-1994م.

135) الدمياطي محمد الحضري, رسالة في مبادئ التفسير ومنظومة في مشابهات القرآن، دمشق، دار البصائر، ط1، 1404هـ-1984م.

136) الدهلوي ولي الله أحمد، الفوز الكبير في أصول التفسير، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط 1407/2هـ-1987م

137) الدينوري أبو حنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

138) الـــذهبي أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد ، المقتنى في سرد الكنى، تحقيق: محمد صالح عبد العزيز مراد، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط 1408هـــ.

139) الـــذهبي، المعين في طبقات المحدثين، تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد، عمان، الأردن، دار الفرقان، ط1، 1404هـــ.

140) الـــذهبي، المغني في الضعفاء، تحقيق: نور الدين عتر.

141) الـــذهبي، تذكرة الحفاظ، بيروت، دار الكتب العلمية.

142) الـــذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، صالح السمر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط4، 1406هـــ-1986م.

143) الـــذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرنؤوط، صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1404هـــ.

144) الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة.

145) الرازي أبو محمد بن أبي حاتم، الجرح والتعديل، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1/1372هـــ-1952م.

146) الرازي محمد بن أبي بكر، تحفة الملوك، تحقيق: عبد الله نذير أحمد، بيروت، دار البشائر الإسلامية ط1، 1417هـــ.

147) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـــ-1997م.

148) الرامهرمزي، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق عجاج الخطيب، بيروت، دار الفكر، ط3، 1404هـ-1984م.

149) الربعي محمد بن عبد الله بن زبر، مولد العلماء ووفياتهم، تحقيق: عبد الله أحمد سليمان الحمد، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1410هـ.

150) الرماني أبو الحسن علي بن عيسى، رسالتان في اللغة، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان، ط1984م.

151) الزجاج أبو القاسم عبد الرحمان بن القاسم . كتاب اللامات، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط2، 1985م.

152) الزجاج ، الأمالي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1403/2هـ-1983م.

153) الزجاج، كتاب حروف المعاني، تحقيق: علي توفيق أحمد، الرسالة، بيروت، ط1، 1984م.

154) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار الفكر، ط1400/3هـ-1980م.

155) الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، بيروت، دار المعرفة

156) الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بلنان، ط2،

157) الزمخشريّ، الكشاف، بيروت، دار المعرفة.

158) الزهري أبو عبد الله محمد بن سعد البصري, الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، لبنان.

159) السبكي أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي, طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي، القاهرة، مطبعة عيسى الباجي الحلبي، ط1، 1383هـ-1964م.

160) السخاوي محمد عبد الرحمن، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشكلة على الألسنة، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، لينان، ط/1405هـ-1985م.

161) السخاوي شمس الدين، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، تحقيق: محمد صلاح عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1417هـ-1996م.

162) السدوسي أبو الخطاب قتادة ابن دعامة، الناسخ والمنسوخ، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1404هـ.

163) السرخسي أبو بكر محمد بن أبي سهل، المبسوط، بيروت، دار المعرفة، ط/1406هـ.

164) السمرقندي أبو النصر أحمد بن محمد، المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار العلوم، بيروت، ط1، 1408هـ-1988م.

165) السيوطي أبو الفضل عبد الرحمن، طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ.

166) السيوطي، إسعاف المبطئ برجال الموطأ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط/ 1389هـ-1969م.

167) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، بيروت، المكتبة الثقافية، ط/1973م.

168) السيوطي، الألفية في علم الحديث، تعليق: أحمد محمد شاكر، دار الرجاء، الجزائر

169) السيوطي، التوشيح على الجامع الصحيح، تحقيق: علاء إبراهيم الأزهري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1/1420هـ-2000م.

170) السيوطي، الحاوي للفتاوي، بيروت، دار الجيل، ط1/1412هـ-1992م.

171) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، بيروت، المكتبة العصرية، ط1987م.

172) السيوطي، تدريب الراوي شرح تقريب النووي، تحقيق: أحمد عمر هاشم، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ط/1409هـ-1989م.

173) السيوطي، لباب النقول في اسباب النزول، دار إحياء العلوم، بيروت،

174) السيوطي، مفتاح الجنةفي الاحتجاج بالسنة، المدينة النبوية، مطابع الجامعة الإسلامية، الطبعة 1456/5هـ.

175) الشاطبي، الاعتصام، تحقيق: أحمد عبد الشافي، الجزائر، دار شريفية،

176) الشاطبي، الموافقات، تحقيق عبد الله دراز، بيروت، دار مكتبة الحياة.

177) الشافعي محمد ابن إدريس ، أحكام القرآن، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، بيروت، دار الكتب العلمية، ط/ 1400هـ.

178) الشريف الرضى، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق: محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1374هـ-1955م.

179) الشنقيطي عبد الله بن إبراهيم العلوي، نشر البنود على مراقي ابن السعود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1409هـ-1988م.

180) الشنقيطي محمد الأمين، أضواء البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ-1996م.

181) الشنقيطي محمد الأمين، مذكرة أصول الفقه، الجزائر، الدار السلفية.

182) الشوكاني محمد بن علي بن محمد، إرشاد الفحول، بيروت، دار المعرفة.

183) الشوكاني، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، بيروت، دار الجيل،

184) الشيرازي أبو إسحاق إبراهيم بن علي، التنبيه، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1402هـ.

185) الشيرازي، المهذب، دار الفكر، بيروت,لبنان.

186) الشيرازي، طبقات الفقهاء، تحقيق: علي الميس، دار القلم، بيروت.

187) الصالحي محمد أحمد عبد الهادي الدمشقي، طبقات علماء الحديث، تحقيق: أكرم البوشي، إبراهيم الزيبق، بيروت، مطبعة الرسالة، ط2، 1996م.

188) الصردفي محمد بن عبد الله ، المعاني البديعة في معرفة اختلاف أهل الشريعة، تحقيق سيد محمد مهنى، بيروت، دار الكتب العلمية.

189) الصنعاني عبد الرزاق بن همام، تفسير القرآن، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1410هـ.

190) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير تونس، دار الكتب الشرقية.

191) الطاهر بن عاشور، التفسير ورجاله، تونس، دار الكتب الشرقية، ط2، 1972م.

192) الطبري أبو جعفر أحمد بن عبد الله ، الرياض النضرة، تحقيق: عيسى عبد الله محمد مانع الحميري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996م.

193) الطبري محمد بن جرير، تاريخ الطبري، مكتبة خياط.

194) الطبري محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: صديق جميل العطار، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط/1415هـ-1995م.

195) العجلي أبو الحسن أحمد بن عبد الله، معرفة الثقات، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم اليستوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، السعودية، ط1، 1415هـ-1985م.

196) العراقي أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين، التبصرة والتذكرة، دار الكتب العلمية، بيروت.

197) العزّ بن عبد السلام، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، القاهرة، دار الحديث.

198) العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تحقيق: محمد بن تلامين الشنقيطي، بيروت، دار المعرفة.

199) العسكري أبو هلال، الفروق في اللغة، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط1411/7هـ-1991م.

200) العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين ، إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، بيروت، دار الكتب العلمية ط1، 1399هـ-1979م.

201) العكبري ,مسائل خلافية في النحو، تحقيق: محمد خير الحلواني، دار الشرق العربي، بيروت، ط1، 1992م.

202) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الثرات العربي، بيروت.

203) العلائي أبو سعيد صلاح الدين بن عبد الله الدمشقي، الفصول المفيدة في الواو المزيدة، تحقيق: حسن موسى الشاعر، دار البشير، عمان، ط1، 1990م.

204) الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، المنخول، تحقيق: محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ط2، 1400هـ.

205) الفيروزأبادي، القاموس المحيط، بيروت، دار الجيل.

206) القالي البغدادي، كتاب الأمالي، تحقيق: محمد عبد الجواد الأصمعي، القاهرة، دار الكتب المصرية.

207) القرضاوي، كيف نتعامل مع السنّة النبوية، الجزائر، دار المطبوعات الجميلة، ط/1991م.

208) القرطبي أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق: محي الدين ديب مستو، أحمد محمد السيد، يوسف علي بديوي، محمد إبراهيم بزال، بيروت، دار ابن كثير، ط2، 1420هـ-1999م.

209) القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد الحليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط2، 1372هـ،

210) القرطبي، جامع أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد الكريم راجح، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1406/2هـ-1986م،

211) القزويني أبو عبد الله جلال الدين محمد بن سعد, الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم، بيروت، ط4، 1998م.

212) القسطلاني شهاب الدين, إرشاد الساري شرح صحيح البخاريّ، بيروت، دار الكتاب العربيّ.

213) القفطي أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف ، إنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1406هـ-1986م.

214) القمي نظام الدين النيسابوري، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، بيروت، دار الفكر، ط1، 1398هـ-1978م.

215) القيرواني أبو محمد عبد الله بن زيد,كتاب الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، تحقيق: محمّد أبو الأجفان، عثمان بطيخ، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1403هـ-1983م.

216) القيسراني محمد بن طاهر ، تذكرة الحفاظ، تحقيق: حمدي عبد المجيد إسماعيل، دار الصميعي، الرياض، السعودية، ط1، 1415هـ.

217) القيسي ، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: محيي الدين رمضان، دمشق، مجمع اللغة العربية ط/1394هـ-1974م.

218) القيسي مكي ابن أبي طالب، الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، مكتبة نهضة مصر.

219) الكاساني علاء الدين ، بدائع الصنائع، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1982م.

220) الكاندهلوي، حجة الله البالغة، تحقيق: محمّد سالم هاشم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1/1415هـ-1995م.

221) الكرمي مرعي بن يوسف، قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، تحقيق: سامي عطا حسن، دار القرآن الكريم، الكويت، ط1400هـ:

222) الكلاباذي أبو نصر أحمد بن محمد، رجال صحيح البخاري، تحقيق عبد الله الليثي، دار المعرفة، بيروت ط1، 1407هـ.

223) الكيا الهراسي أبو الحسن علي بن محمد، أحكام القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1405/2هـ-1985م.

224) اللالكائي أبو القاسم هبة الله بن الحسن, كرامات أولياء الله، تحقيق: نشأت كمال المصري، الإسكندرية، دار البصيرة،.

225) اللغوي أبو الطيب عبد الواحد بن عليّ،شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة, تحقيق: محمّد عبد الجواد، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1968م،.

226) المارغيني إبراهيم بن أحمد ، دليل الحيران على مورد الظمآن، الجزائر، دار الكتب.

227) الماوردي، النكت والعيون، تحقيق: عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت، دار الكتب العلمية.

228) المحاسبي الحارث بن أسد، العقل وفهم القرآن، تحقيق: حسين القوتلي، دار الكندي، بيروت، ط3، 1402هـ-1982م.

229) المخزومي أبو الحجاج مجاهد بن جبر ، تفسير مجاهد، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر السورتي، المنشورات العلمية، بيروت.

230) المرتضى محمد بن إبراهيم بن علي، إيثار الحق على الخلق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987م.

231) المزي يوسف بن الزكيّ بن الحجاج ، تهذيب الكمال، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 1/1980م

232) المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر بيروت، دار الأندلس، ط4، 1401هـ-1981م.

233) المهدوي أبو العباس أحمد بن عمّار، شرح الهداية، تحقيق: حازم سعيد حيدر، الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 1416هـ-1995م.

234) الموسوعة العربية العالمية، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط2/1419هـ-1999م.

235) الموصلي أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد, المثل السائر، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط1995م.

236) النحاس أبو جعفر، معاني القرآن الكريم، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1409هـ.

237) النحاس، الناسخ والمنسوخ في القرآن، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، القاهرة، مكتبة علم الفكر، ط1/1406هـ-1986م.

238) النرشخي أبو بكر محمد بن جعفر ، تاريخ بخارى، تحقيق: أمين عبد المجيد بدوي، نصر الله مبشر الطرازي، القاهرة، دار المعارف.

239) النسائي أبو عبد الرحمن بن شعيب، تسمية فقهاء الأمصار، تحقيق: محمد إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ط1، 1369هـ.

240) النسائي، سنن النّسائيّ بشرح السيوطي وحاشية السندي، القاهرة، دار الحديث.

241) النووي، تهذيب الأسماء، بيروت، دار الفكر، ط1/1996م.

242) الهائم شهاب الدين أحمد بن محمد المصري، التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق: فتحي أنور الدابولي، دار الصحابة للتراث، القاهرة، ط1، 1992م.

243) الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، ط1، 1415هـ.

244) الواعظ أبو حفص عمر بن أحمد, تاريخ أسماء الثقات، تحقيق: صبحي السامرائي، دار السلفية، الكويت، ط1، 1404هـ-1984م

245) اليافعي أبو محمد عبد الله بن اسعد بن عليّ اليمني، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط2، 1390هـ-1970م.

246) اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر للطباعة، ط/ 1379هـ-1960م.

247) أنور الجندي، الإسلام وحركة التاريخ، بيروت، دار الكتاب العربي، ط8، 1986م.

248) أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن، بيروت، دار الكتاب لبناني، ط/1982م.

249) ثعلب أبو العباس، الفصيح، تحقيق: صبحي التميمي، الجزائر، دار الشهاب.

250) حسين الحاج حسن، حضارة العرب في العصر العباسي، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1/1414هـ-1994م.

251) رؤوف شلبي، جواهر العرفان في الدعوة وعلوم القرآن، القاهرة، دار الطباعة المحمدية، ط1، 1406هـ-1986م.

252) سعد فهمي أحمد، السراج المنير في ألقاب المحدثين، بيروت، دار ابن حزم، ط1، 1417هـ-1996م

253) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، بيروت، دار الشروق، ط7، 1402هـ-1982م.

254) شهاب الدين أحمد بن محمد عبد الغني، المسوّدة، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الكتاب العربي.

255) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، بيروت، دار العلم للملايين، ط14/1983م.

256) صبري عبد الرؤوف، محمد عبد القوي، أثر القراءات في الفقه الإسلامي، الرياض، السعودية، أضواء السلف، ط1، 1418هـ-1998م.

257) صبري متولي، منهجية أهل السنة في التفسير، دار الثقافة، القاهرة، ط86.

258) صديق بن حسن خان القنوجي,البيان في مقاصد القرآن، مراجعة: عبد الله إبراهيم الأنصاري، بيروت، المكتبة العصرية، ط/1412هـ-1992م.

259) صديق بن حسن خان القنوجي، الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبّار زكّار، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1978م.

260) صفي الرحمن المباركفوري، المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، الرياض، دار السلام، ط2، 1421هـ-2000م.

261) طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، تحقيق: كامل بكري، عبد الوهاب أبو النور، القاهرة، دار الكتب الحديثة. ط/1407هـ-1987م.

262) طه ندا، فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، بيروت، دار النهضة العربية.

263) عادل نويهض، معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية، ط1/1404هـ-1984م.

264) عبد الحميد لحمر، الإمام مالك مفسرا، بيروت، دار الفكر، ط/1415هـ-1995م.

265) عبد الرحمن السعدي، القواعد الحسان، الرياض، دار ابن الجوزي، ط2/1421هـ.

266) عبد العال سالم مكرم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، دار المعارف، الإسكندرية.

267) عبد الفتاح القاضي، أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين، القاهرة، دار المصحف، ط1.

268) عبد الله محمد شحاته، منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن، مطبعة جامعة القاهرة، 1984م.

269) عبد المجيد هاشم الحسيني، الإمام البخاريّ محدثا وفقيها، بيروت، منشورات المكتبة العصرية.

270) عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، الجزائر، الزهراء، ط3/1993م.

271) عدنان زرزور، القرآن ونصوصه، مطبعة خالد بن الوليد، ط/1400هـ-1980م

272) عزة حسن، ديوان ابن مقبل، مطبعة الرقي، دمشق

273) علوي بن السيد عباس المالكي، فيض الخبير وخلاصة التقرير على نهج التيسير شرح منظومة التفسير، بيروت، دار الفكر، ط3، 1391هـ-1978م.

274) علي محمد الزبيدي، ابن جزي ومنهجه في التفسير، دمشق، دار القلم، ط1، 1407هـ-1987م.

275) عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، ط1، 1965م.

276) عيسى شحاتة، عيسى علي، الدراسات اللغوية للقرآن الكريم في أوائل القرن الثالث الهجري، دار قباء، القاهرة.

277) فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، ترجمة: فهمي أبو الفضل، مراجعة: محمود فهمي حجازي، القاهرة، الهيئة العامة للتأليف والنشر، ط1، 1971م.

278) فاضل أحمد شاكر، فرج توفيق الوليد، المنتقى في علوم القرآن، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ط/1979م.

279) فهد بن عبد الرحمن الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، الرياض، مكتبة التوبة، ط4، 1419هـ-1999م.

280) مجدي بن منصور بن السيد الشوري، تفسير الإمام الشافعي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1/1416هـ-1998م،:

281) مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، شركة الإعلانات الشرقية، ط3، 1305هـ-1985م

282) محمّد أبو زهرة، أصول الفقه، بيروت، دار الفكر العربي.

283) محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، القاهرة، مكتبة السنّة، ط1408/04هـ

284) محمّد أديب صالح، تفسير النّصوص، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1404هـ 1984م.

285) محمد الخضري بك، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، بيروت، دار الفكر العربي

286) محمد الخضري، أصول الفقه، سوسة، تونس، دار المعارف، ط19.

287) محمد الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، دمشق، المطبعة الجديدة، 1396هـ-1976م.

288) محمّد بن علي بن سلوم، مختصر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرر المضية في عقد الفرقة المرضية، تحقيق: محمد زهري النجار، بيروت، دار الكتب العلمية، ط/1403هـ-1983م،

289) محمد بن لطفي الصباغ، بحوث في أصول التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1408هـ-1988م،

290) محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1349هـ.

291) محمد جميل غازي، من مفردات القرآن، الجزائر، شركة الشهاب.

292) محمد حبيب الله الأعظمي، إيقاظ الأعلام بوجوب إتباع رسم المصحف الإمام، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1972م

293) محمد زيان عمر، البحث العلمي مناهجه وتقنياته، بيروت، دار الشروق، ط4، 1983.

294) محمد سالم محيسن، تصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1407هـ-1987م.

295) محمد سالم مكرم، المهذب في القراءات العشر، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ط2، 1389هـ- 1978م.

296) محمد عبد الخالق عظيمة، اللباب في تصريف الأفعال، القاهرة دار الحديث، ط3، 1382هـ-1962م.

297) محمد عبد الخالق عظيمة، المغني في تصريف الأفعال، القاهرة، دار الحديث، ط3، 1382هـ-1962م.

298) محمد عبد الرحيم، تفسير الصحابة، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

299) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1416هـ-1996م.

300) محمد عبد المجيد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

301) محمد عبده، مشكلات القرآن الكريم وتفسير سورة الفاتحة، بيروت، دار مكتبة الحياة، طبعة/1969م.

302) محمد عزّة دروزة، التفسير الحديث، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ط/1381هـ-1962م.

303) محمد عزة دروزة، عصر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وبيئته قبل البعثة، بيروت، دار النهضة العربية، ط/1964م.

304) محمد علي الحسن، القراءات القرآنية وموقف المفسرين منها، بيروت، دار البيارق، ط1، 1414هـ- 1994م.

305) محمد علي السايس، تفسير آيات الأحكام، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1/1418هـ-1998م.

306) محمد فؤاد عبد الباقي، معجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح البخاري، دار الحديث، القاهرة.

307) محمد فتحي الدّريني، المناهج الأصولية، بيروت، مؤسسة الرّسالة، ط3/1418هـ-1997م.

308) محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، بيروت، دار المعرفة،

309) محمد مصطفى شلبي، أصول الفقه الإسلامي، بيروت، دار النهضة العربية، ط/1406هـ-1986م.

310) محمد مصطفى شلبي، أصول الفقه الإسلامي، بيروت، دار النهضة العربية، ط/1406هـ-1986م.

311) محمد نصر مهنا، الفتوحات الإسلامية والعلاقات السياسية في آسيا، الإسكندرية، منشأة المعارف، ط 1990.

312) محمود سعد، مباحث البيان عند الأصوليين واللغويين، الإسكندرية، منشأة المعارف.

313) محمود شيت الخطاب، سعيد بن عثمان بن عفان الأموي فاتح بخارى وسمرقند وترمذ، القاهرة، دار قتيبة، ط1، 1405هـ-1985م.

314) مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، لبنان، ط/1401هـ-1981م.

315) مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري, الكنى والأسماء، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط1، 1404هـ.

316) مصطفى إبراهيم المشيني، ابن العربي وتفسيره أحكام القرآن، بيروت، دار الجيل، ط1، 1411هـ-1991م.

317) مصطفى أحمد الزرقاء: المدخل الفقهي العام، بيروت دار الفكر، ط10.

318) مصطفى الصاوي الجويني، مناهج في التفسير، دار المعارف، الإسكندرية.

319) مناع القطان، تاريخ التشريع الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4، 1409هـ-1989م.

320) منيع عبد الحليم محمود، مناهج المفسرين، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 1978م.

321) نبيلة حسن محمد، تاريخ الدولة العباسية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط 93.

322) هبة الله بن ماكولا، الإكمال في رفع الارتياب على المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1411/1هـ-1990م.

323) ولترباتون، أحمد بن حنبل والمحنة، ترجمة: عبد العزيز عبد الحق، مراجعة: محمود محمود، القاهرة، دار الهلال.

324) Madeleine GRAWITZ, Méthodes des sciences sociales, 10e édition, dalloz, paris, 1996.

فهرست الموضوعات

المقدمة: 1
تحديد موضوع البحث: 4
أهمية البحث: 6
إشكالية البحث: 7
دوافع البحث: 8
دوافع البحث: 9
المصاعب: 11
المدخل التمهيدي: حالة الأمة الإسلامية في عصر البخاري 12
الفصل الأول: حياة الإمام البخاري 16
المبحث الأول: البخاري؛ نسبه، مولده، نشأته. 16
المبحث الثاني: البخاريّ؛ طلبه للعلم، منهجه فيه، تصانيفه. 18
المبحث الثالث: البخاريّ، أخلاقه وصفاته: 25
المبحث الرابع: البخاريّ؛ محنته ووفاته 28
الفصل الثاني: البخاري وتفسير القرآن بالقرآن 31
المبحث الأول: البخاري وآليات تفسير القرآن بالقرآن 33
المطلب الأول: التفسير من خلال السياق القرآني 33
1- ترجيح أحد المعنيين المتضادين للفظ المشترك[0]: 34
2- ترجيح دلالة التأسيس على التأكيد[0]: 35
المطلب الثاني: التفسير من خلال الأسلوب القرآني 36
1- أسلوب الالتفات: 37
2- أسلوب التفخيم والتعظيم: 37
المطلب الثالث: التفسير من خلال الدلالة الوضعية 38
1- التفسير بدلالة التضمن: 38
2- التفسير بدلالة اللازم: 39
3- التفسير بدلالة النظائر والأشباه: 40
المبحث الثاني: أنواع تفسير القرآن بالقرآن 42
المطلب الأول: التفسير ببيان المجمل 42
1- بيان اللفظ المجمل بلفظ أشهر منه عند المخاطب: 43
2- بيان الإجمال بسبب الإبهام: 43
3- بيان الإجمال في درجة الحكم: 44
4- بيان الإجمال بترجيح المعنى الشرعي على المعنى اللغوي: 45
المطلب الثاني: التفسير بحمل العامّ على الخاصّ[0] 46
المطلب الثالث: التفسير بحمل المطلق على المقيّد 47
المبحث الثالث: البخاري ومنهجه في التعامل مع القراءات القرآنية 48
المطلب الأول: منهج البخاري في عرض القراءات القرآنية: 48
المطلب الثاني: البخاري ومقاصد الاستشهاد بالقراءات القرآنية 52
1- القراءة القرآنية مصدر لاستنباط الأحكام: 52
2- القراءة القرآنية بيان للإبهام: 53
3- القراءة القرآنية بيان للإجمال: 53
4- القراءة القرآنية معضدة لدلالة السياق القرآني: 54
5- القراءة القرآنية بيان لسبب النزول: 55
6- القراءة القرآنية تصحيح للفهم، ودفع للوهم: 55
7- القراءة القرآنية مكمّلة لدلالة النصّ القرآني: 56

المطلب الثالث: البخاري ومنهجه في توجيه القراءات القرآنية 56
الفصل الثالث: البخاري وتفسير القرآن بالسنة 60
المبحث الأول: البخاري ووجوه التفسير النبوي 61
المطلب الأول: بيان مجمل القرآن بالسنة 61
1- الإجمال في دلالة الحكم: 61
2- الإجمال بسبب تردد الدلالة بين الشمول والتبعيض: 63
3- الإجمال بسبب الإبهام 64
المطلب الثاني: بيان مشترك القرآن بالسنة 64
1- الاشتراك بين حقائق شرعية متعارضة: 64
2- الاشتراك بين الحقيقة اللغوية والحقيقة الشرعية: 66
3- الاشتراك بين حقيقتين شرعيتين: 67
4- الاشتراك بين حقائق شرعية غير متعارضة: 69
5- الاشتراك بسبب الإشكال في دلالة اللفظ: 70
المطلب الثالث: بيان عموم القرآن بالسنة 71
1- الأخذ بالعموم حيث لا دلالة على التخصيص: 71
2- التمثيل بفرد من أفراد العام: 72
3- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب: 72
4- حمل العام على الخاص: 75
المطلب الرابع: بيان مطلق القرآن بالسنة 75
المبحث الثاني: البخاري وآليات التفسير النبوي 77
1- تفسير اللفظ القرآني بذكر متعلقه من السنة: 77
2- تفسير اللفظ القرآني بذكر الناسخ من المنسوخ: 78
3- تفسير اللفظ القرآني بذكر سبب النزول: 79
4- تفسير اللفظ القرآني بذكر مؤكده من السنة: 80
5- تفسير اللفظ القرآني بذكر ضده من السنة: 81
الفصل الرابع: البخاري وتفسير القرآن بأقوال الصحابة 82
المبحث الأول: البخاري وإسناد أقوال الصحابة: 82
تفاسير الصحابة المسندة إلى القرآن: 84
تفاسير الصحابة المسندة إلى السنة: 85
1- تفاسير الصحابة المسندة إلى السنة القولية : 85
2- تفاسير الصحابة المسندة إلى السنة الفعلية: 86
تفاسير الصحابة المسندة إلى الإجماع: 87
تفاسير الصحابة المسندة إلى القياس: 88
تفاسير الصحابة المسندة إلى اللغة: 88
تفاسير الصحابة المسندة إلى العلم بملابسات الوقائع وأعراف الجاهلية وأسباب النزول: 89
تفاسير الصحابة المسندة إلى الرأي والاجتهاد: 91
المبحث الثاني: البخاري ومقاصد الاستدلال بأقوال الصحابة: 93
1- توجيه القراءة القرآنية: 93
2- دفع موهم التعارض: 95
3- درء سوء الفهم: 96
4- بيان اللفظ المبهم: 97
5- بيان اللفظ المشترك: 98
6- بيان بقاء العام على عمومه: 99
7- بيان التخصيص بملاحظة الصحابيّ: 100
8- بيان التقييد للمطلق: 100
9- بيان الناسخ والمنسوخ: 101

الفصل الخامس: تفسير القرآن بأقوال التابعين: 102
المبحث الأول: البخاري ومصادر أقوال التابعين: 103
تفاسير التابعين المسندة إلى القرآن: 104
تفاسير التابعين المسندة إلى السنة النبوية: 105
تفاسير التابعين المسندة إلى أقوال الصحابة: 105
تفاسير التابعين المسندة إلى اللغة العربية: 106
تفاسير التابعين المسندة إلى الاجتهاد: 106
تفاسير التابعين المسندة إلى القياس: 107
تفاسير التابعين المسندة إلى الأعراف والعادات: 107
المبحث الثاني: البخاري ومقاصد الاستدلال بأقوال التابعين: 108
1- دفع فساد التأويل: 108
2- دفع موهم التعارض: 109
3- بيان دلالة المشترك: 110
4- بيان المجمل: 112
6- بيان الخاص من العام: 113
7- بيان بقاء المطلق على إطلاقه: 113
الفصل السادس: البخاري وتفسير القرآن باللغة العربية 115
المبحث الأول: منهج البخاري في تحقيق المعاني واللغات. 116
الأدوات العلمية لبيان المعاني القرآنية: 116
مناقشة علمية لاجتهادات البخاري في مبحث المعاني: 119
منهج البخاري في عرض لغات القرآن: 122
البخاري والمعرب في القرآن: 122
البخاري ومقاصد الاستدلال بعلم الاشتقاق: 125
المبحث الثاني: البخاري والصور البلاغية 126
1- المجاز: 126
2- الكناية: 128
3- التقديم والتأخير: 128
المبحث الثالث: البخاريّ والاستدلال بالشعر العربي: 129
ضوابط الاستدلال الشعري عند البخاري 130
مقاصد الاستدلال الشعري عند البخاري: 131
المبحث الرابع: البخاري والاستدلال النحوي والصرفي: 132
الاستدلال النحوي: 132
معاني الحروف: 132
الاستدلال الصرفي: 134
منهج البخاري في عرض مباحث الصرف: 135
المبحث الخامس: البخاري بين صحيفة علي ابن أبي طلحة ومجاز أبي عبيدة: 136
البخاري وصحيفة علي بن أبي طلحة: 136
البخاري ومجاز أبي عبيدة معمر بن المثنى: 138
الفصل السابع: تفسير القرآن بالرأي الممدوح 141
المبحث الأول: البخاري ووجوه التفسير بالرأي: 142
1- التفسير بدلالة السياق القرآني: 142
2- التفسير بدلالة الإشارة والإيماء. 143
3- التفسير بما يخالف المعنى الظاهر القريب: 144
4- تفسير اللفظ القرآني بذكر ضده. 144
5- التفريق بين الألفاظ المتشابهة والدلالات المتقاربة. 145
6- توظيف الكليات القرآنية في التفسير 145

7- إزالة الإشكال باستعراض أسباب النزول.....146
8- الجمع والتوفيق بين الآراء التفسيرية.....147
الخاتمة: 148
فهرست المصادر والمراجع.....151
فهرست الدوريات 179
فهرست الأعلام 180
فهرست الآيات القرآنية 182
فهرست الأحاديث النبوية 193
فهرست الآثار 196
فهرست الأشعار 204
فهرست الموضوعات 206